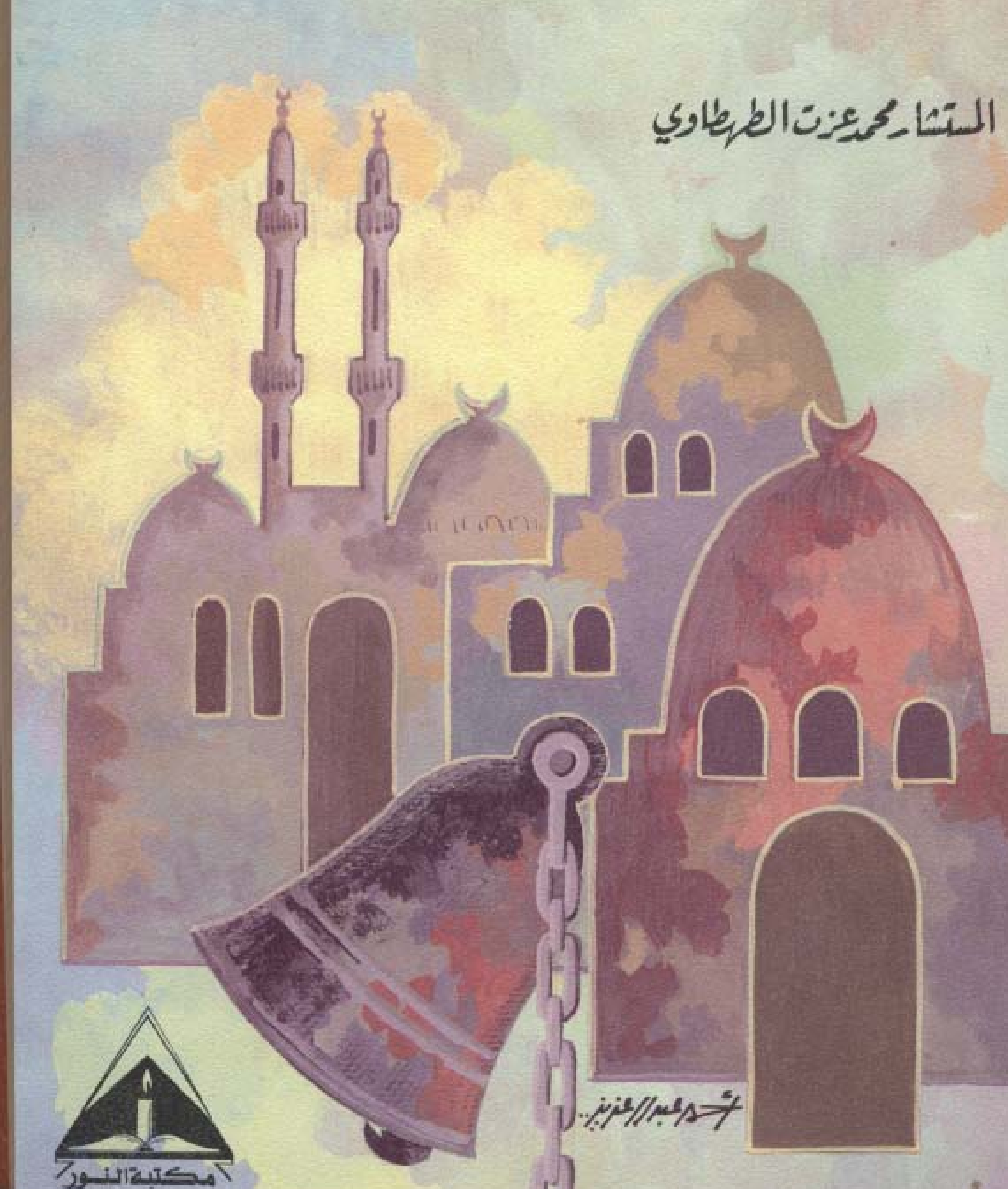
في مقارنة الأديان

النصرانية والإسلام

المستشار محمد عزت الطهطاوي



إهداء

إلى روح الصديق الوفى الأستاذ الفاضل كعبة العلم والعلماء فى عصره المرحوم الإمام الشيخ أحمد عبد المجيد المصرى رحمه الله .

أهدى هذا الكتاب جزاء ما جاهد وناضل بنفسه وبلسانه وبقلمه فى صمت وإخلاص دفاعا عن عقيدة الإسلام وشريعته قرابة نصف قرن من الزمان ،أمام النصرانية وحملاتها الضخمة فى أعماق الصعيد الأوسط بمصر دون أن يحس أو يشعر به أحد .

المستشار محمد عزت إسماعيل الطهطاوى

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى :

وقالوا اتخذ الرحمن ولدا (٨٨) لقد جئتم شيئا إدا(٨٩) تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا (٩٠) أن دعوا للرحمن ولدا(٩١) وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا(٩٢) إن كل من فى السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا(٩٣) (١)

صدق الله العظيم

---

(١) سورة مريم .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى كان رحمة للعالمين ، وكان من سامى خلقه العظيم موادة أهل الكتاب وتركهم وشأنهم وما يدينون ، رغم عدم إجابتهم دعوة الإسلام وبقائهم على ما ورثوه من تحريف وانحرافات ...

وبعد : —

فإن الأحقاد الطائفية والحروب الدينية غريبة على أرض الإسلام وبعيدة عن أخلاق المسلمين ،فقد ألف هذا الدين منذ بدأت إشراقات أنواره أن يعاشر غيره على المياسرة واللطف وأن يرعى حسن الجوار فيما يشرع من أحكام ويضع من تقاليد ، وهو فى ميدان الحياة العامة حريص على احترام شخصية من يخالفونه فى العقيدة فلم يفرض عليهم شرائعه فى الحلال والحرام ، أو يقهرهم على الخضوع لأحكامه فى العقيدة والاعتقاد ،بل ترك أهل الأديان وما يدينون .

لكن أعداء الإسلام من سلالة الصليبيين وقد هالهم ذلك الهدوء والوئام بين المسلمين وطوائف أهل الكتاب الذين يجاورونهم أو يشتركون معاً فى عمارة أوطانهم وحماية بلادهم عملوا على فتح جبهات خبيثة لهم فى أوطان المسلمين ،يستفزونهم ويثيرون الشبهات ضد الإسلام ونبيه صلى الله عليه وسلم ، وقد برعوا فى نشر الأضاليل حتى بلغت بهم الصفاقة أن يعكسوا الحقائق . مما دفعنى إلى تحرير هذا الكتاب (وهو ما لم أذكره فى مقدمة الطبعة الأولى لأسباب كانت قائمةفى وقتها)فما من بد من البيان وعدم الكتمان لأن الله أخذ الميثاق على حملة وحى السماء أن يعالنوا بالحق ويكشفوا للناس

أمر الباطل ، وذلك فى قوله تعالى : ﴿ لتبيننه للناس ولا تكتمونه ﴾ سورة آل عمران الآية ١٨٧ .

هذا وبالله التوفيق ﴿ ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ﴾ سورة آل عمران الآية ٥٣ .

القاهرة فى ٢٥ ربيع الآخر سنة ١٤٠٦ هـ.
٦ يناير سنة ١٩٨٦ م

المستشار
محمد عزت الطهطاوى

مقدمة

الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، المنزه عن الصاحبة والولد ، لا إله إلا هو وحده لا شريك له ، تقدست عن الأشباه ذاته ، وتنزهت عن مشابهة الأمثال صفاته ، وشهدت بربوبيته آياته ، ودلت على وحدانيته مصنوعاته ، المتقدس فى كمال وصفه عن الشبيه والنظير ، المنزه فى كمال ذاته عن التمثيل والتصوير ، ليس كمثله شىء وهو السميع البصير .

والصلاة والسلام على سيدنا محمد أظهر الأنبياء حجة ، وأبينهم برهانا ، وأرجحهم فى العلم والفضل ميزانا ، وأصدقهم لهجة وأكثرهم بيانا .

فهو صلى الله عليه وسلم رسول التوحيد الخالص إلى جميع الشعوب والأمم ، المنزل عليه القرآن الكريم من لدن عزيز حكيم ، فدعا الناس إلى توحيد الله سبحانه ، هذا التوحيد الذى جاءت به الكتب السماوية المقدسة ، المنزلة على من سبقه من الأنبياء والمرسلين ، فصحح بالإسلام وعقيدته السليمة ما أصاب تلك العقائد السابقة من انحراف وتبديل ومسخ وتغيير .

قال تعالى :

﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴾ (١) .

---

(١) سورة آل عمران ٦٤ .

وقال تعالى :

﴿ قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا الذى له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت ، فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهدون ﴾ (١) .

صدق الله العظيم

المستشار : محمد عزت إسماعيل الطهطاوى

---

(١) سورة الأعراف ١٥٨ .

الباب الأول

عقائد النصرانية وشعائرها وعباداتها



تمهيـــد

تنحصر عقيدة النصرانية أو المسيحية فى العناصر الآتية ، التى بدون الإيمان بها لا يكون الشخص المسيحى مسيحياً ، وهذه العناصر هى :—

أولا : التثليث — وألوهية المسيح — وألوهية الروح القدس .

ثانياً : تجسد الابن وظهوره بمظهر البشر ، ليصلب تكفيراً للخطيئة التى ارتكبها آدم أبو البشر .

ثالثاً : أن الإله الآب ترك للإله الابن حساب الناس على خطاياهم ، فالإله الابن حينما ظهر بمظهر الإنسان كان أقرب لفهم الإنسان ، وحدث هذا الحساب بعد قيامة المسيح من الأموات .

وهذه العناصر الثلاثة سنفرد لها ، فى هذا الباب ، الفصل الأول .

كما أن هناك شعائر أخرى فرضت على المسيحيين كطقوس تدخلت فى حياتهم وبعد مماتهم ، وهى لازمة للمسيحى وعليه أن يقوم بها وهى :

١ — تعميد الأطفال عقب ولادتهم .

٢ — العشاء الربانى الذى يتحول إلى دم المسيح وإلى عظامه .

٣ — الاعتراف الذى يتبعه غفران الذنوب .

٤ — حضور القسيس عند الموت .

٥ — حضور القسيس عند الزواج .

٦ — الميرون ،وهو حلول روح القدس على الكاهن المسيحى فيقوم عندئذ بمسح الشخص المسيحى بدهن الميرون المقدس .

٧ — الكهنوت وهو خلافة رسولية أخذها آباء الكنيسة الأولون عن الرسل أتباع المسيح ويسلمونها لمن هم بعدهم .

وهذه الشعائر سنفرد لها الفصل الثانى يليه الفصل الثالث عن العبادات فى المسيحية ، وقبل أن نغوص فى أمر العقيدة والشعائر تفصيلياً نبدى الملاحظات الآتية :

١ — بتقليب صفحات كتاب التوراة وما ألحق به من أسفار الأنبياء والمزامير والأناشيد بالعهد القديم يتبين أنه لا يوجد فيها قصص الآب والابن والثالوث — وألوهية المسيح وألوهية الروح القدس ، وتجسد الابن وصلبه تكفيراً لخطيئة آدم أبى البشر ، أو موت الابن وقيامه ، أو المعمودية بمفهوم المسيحية للغفران من خطيئة آدم ، أو ما يشير إلى اتحاد الابن الأزلى أو ما شابه ذلك .

٢ — أن القصص السابقة والكلمات والعبارات المشار إليها فيما سلف لا توجد فى أقوال المسيح ولا فى أقوال تلاميذه الذين آمنوا به وسمعوا منه تعاليمه ، مما يفيد أن مسائل التثليث وتأليه المسيح وتأليه روح القدس أمور لا أصل لها فى كتب الله ولكنها أمور مخترعة ، بعضها بمعرفة بولس الرسول الذى كان عدواً للمسيح والمسيحية فى أول أمره ، كما أن المسيح لم يختره من تلاميذه ، فضلا عن أنه لم ير المسيح ولم يسمع منه مواعظه ، والبعض الآخر بمعرفة آباء الكنيسة ومجامعها المسكونية فى القرون التالية للمسيحية .

٣ — أن بشائر الأنبياء التى أعلنت عن مجىء المسيح فى العهد القديم ما ذكرت إلا كونه نبياً من البشر دون أى إشارة إلى أنه سيقتل أو يصلب ، بل على العكس فإنها تدل على أن الله تعالى يحميه ويعصمه من كيد اليهود ويحفظه من شرورهم .

ويقرر الكاتب المسيحى ألفريد إلى أن تعاليم المسيح تجمعها العناصر الآتية :

١ — قيام مملكة الله حيث المساواة والعدالة .

٢ — الله هو أبو البشر وهو الأمل الذى تهفو نحوه أرواح العباد جميعاً .

٣ — الكمال التام لله والحب الشامل .

تلك هى الديانة المسيحية لا أكثر ولا أقل ، أما ما سوى ذلك من أسس دينية فقد اعتمدت المسيحية فيها على التوراة ، وقد مدح المسيح نفسه بقوله أنه جاء ليتم التوراة لا ليبدأ دينا جديدا ، « لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ، ما جئت لأنقض بل لأكمل » (انظر إنجيل متى — إصحاح ٥ عدد ١٧) .

٤ — إن المؤرخ الشهير ويلز wells يستنكر كل هذه المبادىء والشعائر ، ويرى أنها جميعها موضوعة ولا سند لها من الأناجيل ، ومن العسير أن تجد أية كلمة تنسب فعلا إلى المسيح فسر فيها مبادىء الكفارة والفداء أو حض فيها أتباعه على تقديم القرابين أو اصطناع عشاء ربانى .

٥ — إن المطلع على الأناجيل الثلاثة الأولى المنسوبة إلى متى ومرقص ولوقا يجد أنها لا تحوى أى إشارة عن التثليث أو ألوهية المسيح أو ألوهية روح القدس أو عقيدة الفداء ، وهو تجسد الابن وظهوره بمظهر البشر ليصلب تكفيراً للخطيئة ، أما ما جاء بإنجيل يوحنا من ذكر صريح لألوهية المسيح التى هى ركن أساسى من أركان التثليث ، فإن هذا الإنجيل(١) برمته لا يسلم به محققو المسيحية . فعلماء المسيحية فى أواخر القرن الثانى الميلادى أنكروا نسبة هذا الإنجيل إلى يوحنا الحوارى ، وكان بين ظهرانيهم أرينيوس تلميذ بوليكارب تلميذ يوحنا الحوارى ولم يرد عليهم بأنه سمع من أستاذه صحة تلك النسبة ، ولو كانت صحيحة لعلم بذلك تلميذه بوليكارب ، ولأعلم هذا تلميذه أرينيوس ، ولأعان هذا الأخير تلك النسبة عندما شاع إنكارها .

والنتيجة لكل ذلك أن أنجيل يوحنا هذا مزور النسبة إلى يوحنا الحوارى .

٦ — انفرد إنجيل يوحنا فى صدر إصحاحه الأول بالعبارات الآتية(٢) :

---

(١) كتاب (محاضرات فى النصرانية) للأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة .
(٢) كتاب (الفارق بين المخلوق والخالق) للأستاذ الحاج عبد الرحمن بك أفندى باجه جى زاده .

« فى البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله ، وكان الكلمة الله ، هذا كان فى البدء عند الله » هذه الفقرات متناقضة المعنى لاتتفق مع مفهوم العقل ، فإن قوله (والكلمة كان عند الله) لا يلتئم مع قوله (وكان الكلمة الله) — فإذا كان الله عين الكلمة لا يصح أن تكون الكلمة عنده ، لأن العندية تقتضى المغايرة لأنها عبارة عن حصول شىء عند شىء كحصول المال عند زيد ، ولا شك أن المال غير زيد ، وزيد غير المال ، وهذا ظاهر لا جدال فيه ، فكيف تكون الكلمة عنده وأيضا تكون عين ذاته ثم تتجسد وتكون ابنه ، والابن عين أبيه والأب عين الابن — والكلمة والكلام هنا صفة للمتكلم والصفة لاتكون عين الموصوف ، فكلمة الله ليست ذات الله تعالى ، ولم ير فى شرائع الأنبياء أو فى كتبهم إطلاق الكلمة على ذات الله تعالى ، والقول بخلاف ذلك هو مخالفة لشرائع الأنبياء والمرسلين وتجاوز على مقام رب العالمين .

٧ — ولقد قال أستادلن فى العصور المتأخرة ونقله عنه صاحب كاتلك فى صحيفة ٢٠٥ من المجلد السابع المطبوع سنة ١٨٤٤ أن كافة إنجيل يوحنا تصنيف طالب من طلبة مدرسة الإسكندرية صنفه باللغة اليونانية (تلك المدرسة التى اعتنقت مبادىء الثالوث وألوهية المسيح والروح القدس وبشرت بها) ولقد كانت فرقة ألوجين فى القرن الثانى تنكر هذا الإنجيل وجميع ما أسند إلى يوحنا من تصانيف ، ويقول بذلك أيضا المحقق (برطشيندر) .

٨ — جاء فى دائرة المعارف البريطانية التى اشترك فى تأليفها خمسمائة من علماء النصرانية ما نصه : « أما إنجيل يوحنا فإنه لا مرية ولا شك كتاب مزور أراد صاحبه مضادة اثنين من الحواريين بعضهما لبعض ، وهما القديسان يوحنا ومتى ، وقد ادعى هذا الكاتب المزور فى متن الكتاب أنه هو الحوارى الذى يحبه المسيح ، فأخذت الكنيسة هذه الجملة على علاتها ، وجزمت بأن الكاتب هو يوحنا الحوارى ووضعت اسمه على الكتاب نصاً ، مع أن صاحبه غير يوحنا يقيناً ، ولا يخرج هذا الكتاب عن كونه مثل بعض كتب التوراة

التى لا رابطة بينها وبين من نسبت إليه ، وإنا لنرأف ونشفق على الذين يبذلون منتهى جهدهم ليربطوا ولو بأوهى رابطة ذلك الرجل الفلسفى الذى ألف هذا الكتاب فى الجيل الثانى بالحوارى يوحنا الصياد الجليلى ، فإن أعمالهم تضيع عليهم سدى ، لخبطهم على غير هدى .

٩ — ويقول هورن فى تاريخ تدوين ذلك الإنجيل أنه ألف سنة ٦٨ أو سنة ٦٩ أو سنة ٧٠ أو سنة ٨٩ أو سنة ٩٨ مما يثير الشك فى هذه التواريخ جميعها ، لأنه لا يوجد تاريخ محدد لتدوينه .

١٠ — ولقد قالوا أنه كتب لغرض خاص ، وهو أن بعض الناس قد سادت عندهم فكرة أن المسيح ليس بإله ، وأن كثيرين من فرق الشرق كانت تقرر تلك الحقيقة ، فطلب إلى يوحنا أن يكتب إنجيلا يتضمن بيان هذه الألوهية فكتب هذا الإنجيل . وقد قال جرجس زوين اللبنانى فيما ترجمه « إن شيربنطوس وأبيسون وجماعتهما لما كانوا يعلمون المسيحية بأن المسيح ليس إلا إنساناً وأنه لم يكن قبل أمه مريم، فلذلك فى سنة ٩٦ اجتمع عموم أساقفة آسيا وغيرهم عند يوحنا والتمسوا منه أن يكتب عن المسيح وينادى بإنجيل مما لم يكتبه الإنجيليون الآخرون ، وأن يكتب بنوع خصوصى لاهوت المسيح » .

١١ — وقال يوسف الدبس الخورى فى مقدمة تفسيره (من تحفة الجيل) إن يوحنا صنف إنجيله فى آخر حياته بطلب من أساقفة كنائس آسيا وغيرها ، والسبب أنه كانت هناك طوائف تنكر لاهوت المسيح فطلبوا منه إثباته ، وذكر ما أهمله متى ومرقص ولوقا فى أناجيلهم .

١٢ — وقال صاحب مرشد الطالبين ، أنه لا يوجد اتفاق بين العلماء بضبط السنة التى كتب فيها يوحنا إنجيله ،فإن بعضهم يزعم أنه كتبه فى سنة ٦٥ قبل خراب أورشليم، وآخرون ممن يوجد فيهم بعض الأقدمين يروون أنه قام بكتابته فى سنة ٩٨ وذلك بعد رجوعه من النفى ، فالمقصد بكتابته إيفاء بعض مسامرات المسيح الضرورية ، ذات التروى مما لم يذكره باقى

الإنجيليين ، وإفناء لبعض هرطقات مفسدة أشهرها معلمون كذبة فى شأن ناسوت المسيح وموته ، وخاصة ترسيخ النصارى الأوائل فى الاعتقاد بحقانية لاهوت وناسوت ربهم وفاديهم ومخاصهم ، وقد قيل إن يوحنا لم يؤلف إنجيله إلا بعد صلاة عامة قلبية مع التبعية لأجل أن يوصيه الروح القدس بذلك .

١٣ — ولا نجد ما نعلق به على الوقائع السابقة أجمل مما عاق به الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة(١) إذ يقرر أنه يستنبط مما سبق الأمور الآتية :

(أ) أمر صريح وهو أن الأناجيل الثلاثة الأولى ليس فيها ما يدل على ألوهية المسيح ، أو هى كانت كذلك فى الزمان الأول للمسيحية قبل تدوين الإنجيل الرابع على الأقل ، وهذه حقيقة يجب تسجيلها ، وهى أن النصارى مكثت أناجيلهم نحو قرن من الزمان ليس فيها نص على ألوهية المسيح ، وبمعنى آخر أن الطبقة الأولى من معتنقى النصرانية إلى نهاية القرن الأول كانت تنكر ألوهية المسيح .

ويقرر الدكتور أحمد شلبى فى كتابه (مقارنة الأديان) أنه كان يستحيل أن تهمل الأناجيل الثلاثة الأولى أساساً هو فى الحقيقة أهم أسس الدين المسيحى وهو ألوهية المسيح ، فلو أن لهذه الألوهية أصلا فى الديانة المسيحية لما كان من الممكن أن تهملها هذه الأناجيل الثلاثة .

(ب) الأمر الثانى أن الأساقفة اعتنقوا فكرة ألوهية المسيح قبل وجود الإنجيل الذى يدل عليها ويصرح بها ، فلما أرادوا أن يحتجوا على خصومهم ويدفعوا هرطقتهم فى زعمهم لم يجدوا مناصا من أن يلتمسوا دليلا ناطقا يثبت ذلك ، فاتجهوا إلى يوحنا ، فكتب كما يقولون إنجيله الذى يشتمل على الحجة وبرهان القضية والبينة فيها على زعمهم ، فخالف به الطبقة الأولى الذين هم أعلم

---

(١) كتاب (محاضرات فى النصرانية) للأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة ، عليه رحمة الله .

بحقيقة المسيح وأدرى بأخباره ، وبذلك خالفت الطبقة الثانية من النصرانية الطبقة الأولى وابتدعت هذا الضلال .

وهذا ينبىء عن أن الاعتقاد بألوهية المسيح سابق لوجود نص عليه فى الكتب ،وإلا ما اضطروا اضطراراً إلى إنجيل جديد طلبوه وافتقدوه فلما لم يجدوه طلبوا من يوحنا أن يكتبه .

(ج) وبالاطلاع على رسائل الرسل التى كتبت — فى قولهم —قبل هذا الإنجيل يتبين أن فيها ما ينبىء عن ألوهية المسيح ، أفلم تكن فيها حجة لا تجعلهم فى حاجة ماسة إلى إنجيل جديد ،وفيها غناء من البيان يغنيهم عما سواه ، أم لعل تلك الرسائل المشتملة على هذه الألوهية كتبت بعد هذا الإنجيل ليؤيدوه بها وليثبت ما أتى به ويرسخ فى نفوس المسيحيين ،ثم نسبت إلى السابقين (١) .

وأما إنجيل متى (٢) فإنه كتب فى سنة (٤١) باللسان الآرامى — لكن الموجود منه الترجمة اليونانية — وأن نسخته الأصلية التى كتبت بالآرامية فقدت ثم ظهرت ترجمتها اليونانية (٣) وهذه ترجمت إلى اللاتينية ومنها إلى لغات العالم المختلفة .

١ — ولم يعلم إلى الآن كيف ترجم هذا الإنجيل .

٢ — ولا من هو المترجم له .

٣ — وما هو حال هذا المترجم فى القوة أو الضعف فى المسيحية ، فهل هو من المسيحيين أم من اليهود أو من غيرهم .

---

(١) كتاب (محاضرات فى النصرانية) للأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة .

(٢) كتاب (الفارق بين المخلوق والخالق) للأستاذ الحاج عبد الرحمن باك أفندى باجة حى زاده .

(٣) تحقيق فى أسفار العهد الجديد بين اللغات التى ألفت بها والتى ترجمت إليها للأستاذ الدكتور على عبد الواحد وافى ،نشر بمجلة الأزهر ، شوال ١٣٧٨ — إبريل سنة ١٩٥٩ — الجزء العاشر — المجلد الثلاثين .

٤ — ومع كل ذلك فالنصارى تجزم بأنه إنجيل معتمد لديهم ، وتتخذه دستورا مقدسا ترجع إليه فى عقائد دينها وأصوله مع أنه لا دليل على أنه لمتى الحوارى .

١٤ — أما إنجيل مرقص : فيقول عنه بطرس قرماج فى كتابه (مروج الأخبار فى تراجم الأبرار) المطبوع فى بيروت سنة ١٨٨٠ ما ملخصه :

« إن مرقص هذا كان يهوديا لاويا وهو تلميذ لبطرس ولد بإقليم الخمس مدن وصنف إنجيله بطلب من أهالى رومية ، كان هو وأستاذه بطرس ينكر ألوهية المسيح ،ولم يذكر فى إنجيله مدح المسيح لبطرس ، ومات مقتولا فى سجن الإسكندرية سنة ٦٨ ميلادية ، قتله الوثنيون » .

وإذا كان مرقص هذا ينكر ألوهية المسيح التى هى مدار الاختلاف بين معتنقى النصرانية وغيرهم فكيف يستقيم ذلك مع ما ورد فيه من أن المسيح ابن الله كما هو وارد مثلا فى بداية الإصحاح الأول منه ؟ والجواب على ذلك أن مثل هذه الكلمات إلحاقية وليست من أصل الإنجيل وقد ذهب إلى ذلك الرأى المفسرون من علمائهم .

ويقول ويلز : إن النقاد يميلون إلى اعتبار إنجيل مرقص أصح ما كتب عن شخص المسيح وأعماله وأجدرها بالثقة(١) .

ويقول الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة عن ذلك فى كتابه (محاضرات فى النصرانية) إن ابن البطريق وهو من المؤرخين المسيحيين الشرقيين يقرر أن الذى كتب إنجيل مرقص هو بطرس الحوارى عن مرقص ونسبه إليه ، وإن أرنوس يقرر أن الذى كتبه هو مرقص من غير تدبير بطرس ، لذلك

---

(١) هذا الإنجيل كتب باللغة اليونانية ومنها إلى اللاتينية ومنها إلى لغات العالم المختلفة = انظر بحث (تحقيق فى أسفار العهد الجديد بين اللغات التى ألفت بها والتى ترجمت إليها) للأستاذ الدكتور على عبد الواحد وافى نشر بمجلة الأزهر عدد شوال ١٣٧٨ - إبريل ١٩٥٩ .

لا يمكن الجزم فيمن كتبه ، أما زمن تأليفه فيقول عنه هورن : إنه ألف سنة ٥٦ وما بعدها إلى سنة ٦٥ أو سنة ٦٠ أو سنة ٦٣ . ويقول كتاب (مرشد الطالبين) أنه كتب سنة ٦١ (انتهى كلامه) .

والعجب أن يبتدىء الإصحاح الأول بعد ذلك بالآتى :

« كما هو مكتوب فى الأنبياء ، ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكى الذى يهيىء طريقك قدامك » .

والمكتوب فى الأنبياء مقصود به ما ورد عن ذلك فى سفر ملاخى إصحاح ٣ عدد ١ : ها أنا ذا أرسل ملاكى فيهيىء الطريق أمامى ، ويأتى بغتة إلى هيكله السيد الذى تطلبونه ، وملاك العهد الذى تسرون به هو ذا يأتى . قال رب الجنود — وهو مكتوب فى ملاخى وليس فى سفر أشعياء —

لكن الصحيح من ترجمة هذا النص من نفس التوراة العبرانية التى بأيدى اليهود هو كالآتى :—

« ها أنا سوف أرسل رسولى فيعزل طريقاً بحضورى وحينئذ يأتى بغتة إلى هيكله الولى الذى أنتم ملتمسون ،ورسول الختان الذى أنتم راغبون أيضاً هو ذا آت : قال الله رب الجيوش » .

وهذا النص يشير إلى رسول الختان ،وهو النبى محمد صلى الله عليه وسلم(١) الذى أعاد تلك السنة بعد أن أبطلتها أساقفة المسيحية .

إن خاتمة إنجيل مرقص فى الإصحاح ١٦ عدد ٩ إلى ٢٠ لا توجد فى أقدم مخطوطتين كاملتين لإنجيل مرقص واللتين يرجع تاريخهما إلى القرن الرابع الميلادى وتتضمن هذه الخاتمة (التبشير بالإنجيل للخليقة كلها) .

بل إن جيروم وهو أحد آباء النصرانية فى القرن الخامس الميلادى وأحد

---

(١) كتاب (محمد نبى الإسلام فى التوراة والإنجيل والقرآن) للمؤلف .

علمائهم كان يصرح بأن بعض المتقدمين من العلماء كانوا يشكون فى ذلك الباب الأخير جميعه أى يشكون فى الإصحاح السادس عشر من إنجيل مرقص جميعه (١) .

١٥ — أما إنجيل لوقا :

١ — فيقول عنه مؤرخو النصرانية : إن لوقا كان تلميذاً لبولس فهو لم ير المسيح وكان طبيباً من أهل إنطاكية وقيل كان مصوراً ، وقال صاحب (مرشد الطالبين) إنه كتب إنجيله برسم تاوفليوس المزعوم أنه مصرى ، وإن كان البعض يقول أنه يونانى ، وكان ذلك سنة ٥٨ — ٦٠ ميلادية ، إلا أن ذلك الإنجيل حرره باللغة اليونانية وقتها وترجم إلى اللاتينية ، وعن هذه الأخيرة ترجم إلى جميع لغات العالم .

٢ — ويقول العالم رميس فى كتابه المعروف بأنسائى كلوبيدياريس أن إنجيل لوقا على ما حققه (مستر كول) فى (رسالة الإلهام) ليس إلهامياً .

٣ — أن واتسن صرح فى المجلد الرابع من كتابه (رسالة الإلهام) التى أخذت من تفسير دكتور بنسن بأن عدم كون إنجيل لوقا إلهامياً يظهر مما كتب فى ديباجته . وهكذا قال القدماء من العلماء أيضاً بأنه ليس إلهامياً .

٤ — صرح جيروم فى كتابه على ما نقله وارد كاتلك عنه أن بعض القدماء كانوا يشكون فى بعض كتاباته لأنها لم تكن فى نسخة فرقة مارسيونى .

٥ — جزم إكهارن فى كتابه بأنه اختلط الكذب للراوين ببيان المعجزات التى نقلها لوقا ، والكاتب ضمه على طريق المبالغة الشاعرية لكن تمييز الصدق عن الكذب فى هذا الزمان عسير .

٦ — ويقول (كلى فى شيـس) أن متى ومرقص يتخالفان فى التحرير وإذا اتفقا ترجح قولهما على قول لوقا . والمراد من التخالف فى هذه الأناجيل الاختلاف اللفظى والمعنوى مما يهدر كونها جميعها إلهامية ، ويستوى فى ذلك إنجيل لوقا وإنجيل متى وإنجيل مرقص .

---

(١) كتاب إظهار الحق تأليف الشيخ رحمة الله ابن خليل الرحمن الهندى الباب ص٤٣ طبعة سنة ١٣١٧ هـ

٧ — ويقول ماراغوسطنيوس « إنى لم أكن أومن بإنجيل لوقا لو لم تسلمنى إياه الكنيسة المقدسة » مما يفهم منه أنه لولا أن الكنيسه تعتبر أن إنجيل لوقا قانونى فى الإيمان لرفض قبوله .

١٦ — أن الأناجيل الأربعة المتداولة بين المسيحيين حالياً منسوبة إلى أصحابها متى ومرقص ولوقا ويوحنا ، بمعنى أنها مؤلفة بمعرفتهم ،ويفهم من ذلك أنها ليست هى الإنجيل الذى نزل فيما سبق على المسيح ، بدليل أن بعض هذه الأناجيل الأربعة وبعض الرسائل تذكر فيما تذكر كلمة إنجيل أو بشارة التى هى ترجمة لكلمة إنجيل باليونانية مضافة إلى الملكوت ، وأحياناً إلى ملكوت الله ، وأحياناً إلى الله ، وأحياناً إلى عيسى طبقاً للآتى :—

(أ) ورد فى إنجيل متى الإصحاح ٤ عدد ٢٣ .

« وكان يسوع يطوف كل الجليل يعلم ويكرز ببشارة الملكوت ويشفى كل مرض وكل ضعف فى الشعب » .

و (بشارة الملكوت) هى ترجمة (إنجيل) باليونانية .

(ب) وورد فى إنجيل مرقص الإصحاح الأول عدد ١٤ :

« وبعدما أسلم يوحنا جاء يسوع إلى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله ويقول: قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالإنجيل » .

(ج) وجاء فى رسالة بولس إلى أهل رومية فى الإصحاح الأول عدد ١ :

« بولس عبد يسوع المسيح المدعو رسولا المعزز لإنجيل الله » .

(د) وجاء فى رسالة بولس إلى أهل رومية أيضا فى الإصحاح الأول السابق عدد ٩ : « فإن الله الذى أعبده بروحى فى إنجيل ابنه شاهد لى كيف بلا انقطاع . . أذكركم » .

١٧ — وقد تأيد هذا القول ببعض مؤرخى المسيحية الذين تقيدوا

فى أبحاثهم بالعلم والحقائق التاريخية مثل العلامة إكهارن إذ يقول أنه كان فى ابتداء الملة المسيحية فى بيان أحوال المسيح رسالة مختصرة يجوز أن يقال أنها هى الإنجيل الأصلى ، والغالب أن هذا الإنجيل كان للمريدين الذين كانوا لم يسمعوا أقوال المسيح بآذانهم ، ولم يروا أحواله بأعينهم ، وكان هذا الإنجيل بمنزلة القلب ، وما كانت الأحوال المسيحية مكتوبة فيه على الترتيب ، وقد ورد كل ذلك فى الكتاب الذى ألفه نورتن ، المطبوع فى مدينة بوسطن سنة ١٨٣٧ بالمجلد الأول بعد المقدمة .

ويستطرد إكهارن فى مقدمته قائلا أن كثيرا من القدماء كانوا شاكين فى الأجزاء الكثيرة من أناجيلنا هذه .

١٨ — ومن ذلك يبين احتمال أن هذه الرسالة كانت المرجع لجميع الأناجيل(١) التى كانت رائجة فى القرن الأول والقرن الثانى الميلادى ، ومنها الأناجيل المتداولة بين النصارى حاليا ، لكن هذه الرسالة فقدت ولم يعثر لها على أثر وبفقدها ضاع الإنجيل الأصلى ، وترتب على ضياعها أن التحريف والتبديل قد وقعا فى تلك الأناجيل . بل إنه لا توجد أى إشارة عن وجود الأناجيل المتداولة حاليا حتى ابتداء القرن الثالث ، ويؤيد ذلك قول سلسوس من علماء القرن الثانى الميلادى أن المسيحيين بدلوا أناجيلهم ثلاث مرات أو أربع أو أزيد من هذا تبديلا ، كما أن مضامينها أيضا بدلت . ويعلل سلسوس سبب ذلك فى كتبه بأن الكذب والخداع كانا بمنزلة المستحبات الدينية وقتئذ .

١٩ — بل إن (أرجن) كان من الذين أفتوا بجواز تأليف الكتب الكاذبة ونسبتها إلى الحواريين أو التابعين أو إلى قسيس من القسيسين المشهورين ، ومصرح بذلك فى الحصة الثانية من الباب الثالث من تاريخ

---

(١) كتاب (محمد نبى الإسلام فى التوراة والإنجيل والقرآن) للمؤلف .

كاسيا المطبوع سنة ١٨٤٨ لوليم ميور باللغة الأوردية وهى إحدى لهجات الهند .

٢٠ — لذلك كان من التجاوز إضافة مجموع العهد الجديد إلى الله أو إلى السيد المسيح . بل إنه مضاف إلى مصنفيه فقط ، كما يقال حاليا إنجيل فلان ورسالة فلان .

ويؤيد هذا النظر أن النسخ الموجودة باللسان اليونانى هى التى تحمل اسم (إنجيل) بصورة العنوان فقط ، أما النسخ المكتوبة باللسان السريانى وهى المعتمدة أساساً لدى الطوائف النصرانية فقد وضع عليها اسم (كاروزونا) أى موعظة (بالمعنى العربى) محل كلمة إنجيل ، إذ ليس لأى سفر من أسفار العهد الجديد حق بأن يحمل اسم إنجيل ، لأن هذه العبارة لا يحق استعمالها لغير إنجيل المسيح نفسه ، والقول بغير ذلك هو اعتداء على مقام المسيح عليه السلام ، ولكن أين هذا الإنجيل الخاص بالسيد المسيح (١) .

والجواب : لايوجد له أثر .

وهذه النتيجة التى استخلصت من كل ما تقدم تأيدت بما ذكره القس المارونى فى كتابه (ذخيرة الألباب) ونصه أن أسفار العهد الجديد لاتستغرق كل أعمال المسيح ولا تتضمن كل أقواله كما شهد به القديس يوحنا .

٢١ — وقد نقل الشيخ محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار عن دائرة المعارف الفرنسية أن الأناجيل الأربعة المعتمدة لدى النصارى ما ظهرت إلا بعد ثلاثة قرون من تاريخ المسيح .

وهى متعارضة متناقضة مجهولة الأصل والتاريخ ، بل وقع الخلاف بينهم فى مؤلفيها ، واللغات التى ألفوا بها ، كما أن نسخها الأصلية فقدت .

٢٢ — أن الأب عبد الأحد داود المطران المسيحى الأشورى الذى اعتنق الإسلام يقرر فى كتابه (الإنجيل والصليب) أن الأناجيل المعتبرة الآن لم تكن معترفا بها قبل القرن الرابع الميلادى ، لذلك تراه يقول أن هذه السبعة

---

(١) كتاب (الإنجيل والصليب) للأب عبد الأحد داوود الأشورى .

والعشرين سفراً ، أو الرسالة الموضوعة من قبل ثمانية كتاب لم تدخل فى عداد الكتب المقدسة باعتبار مجموع هيئتها بصورة رسمية إلا فى القرن الرابع بإقرار مجمع نيقية العام وحكمه سنة ٣٢٥ ميلادية . لذلك لم تكن إحدى هذه الرسائل مقبولة ومصدقة لدى الكنيسة وجميع العالم العيسوى قبل التاريخ المذكور ، ثم جاء من الجماعات العيسوية فى الأقسام المختلفة من كرة الأرض ما يزيد على ألفى مبعوث روحانى ، ومعهم عشرات الأناجيل ومئات الرسائل إلى نيقية لأجل التدقيق ، وهناك تم انتخاب الأناجيل الأربعة من أكثر من أربعين أو خمسين إنجيلا ، وتم انتخاب الرسائل الإحدى والعشرين من رسائل لا تعد ولا تحصى وصدق عليها . وكانت الهيئة التى اختارت العهد الجديد هى تلك الهيئة التى قالت بألوهية المسيح . وكان اختيار كتب العهد الجديد على أساس رفض الكتب المسيحية المشتملة على تعاليم غير موافقة لعقيدة نيقية وإحراقها كلها .

ويؤكد هذا المطران المسيحى أن الأناجيل الأربعة لم تكن موجودة فى زمن الحواريين الخمسة أو الستة الذين كتبوا تلك الرسائل ، لأن الرسائل لا تبحث عن محتويات هذه الأناجيل قطعا ولا تشير إليها .

كما أن كاتبى الرسائل لم يكونوا على علم بهذه الأناجيل الأربعة ، مع أنه لو صحت نسبة الأناجيل إلى أصحابها لكانت أسبق من الرسائل .

ويقول فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمد أبو زهرة : إن الأناجيل الأربعة لم يملها المسيح ولكنها كتبت من بعده ، وبالتالى فليست هى الوحى الذى أوحى إليه ، وهى كما تشتمل على أخبار المسيح من وقت ولادته حتى وقت الحكم عليه بالموت صلبا وصلبه بالفعل على حد اعتقادهم ، فإنها أيضا تشتمل على أخبار يوحنا المعمدان حتى قتله (١).

وأما رسائل الرسل فإن كتابها لم يدعوا لأنفسهم أنهم رسل من الله حتى

---

(١) كتاب (محاضرات فى النصرانية) لفضيلة الأستاذ محمد أبو زهرة .

يمكن القول بأن ما حرروه هو وحى من الله أو بإلهام منه . فمثلا بطرس فى رسالته يقدمها بأنه رسول يسوع المسيح . . ولم يذكر لنفسه وصف الرسالة المطلقة من الله .

ولم يشذ عن هذه القاعدة إلا رسائل بولس ، فهو الذى يذكر فى رسائله أنه يتكلم عن الله ، وأحيانا يقول أنه يتكلم عن نفسه ، مع أنه لا يوجد فى كتب المسيحية ما يشهد له بالرسالة والإلهام أو الإيمان إلا سفر أعمال الرسل .

وسفر الأعمال هذا يزعم النصارى أنه محرر بمعرفة لوقا صاحب إنجيل لوقا ، وأنه من الرسل الملهمين ، فكلامه جاء من الروح القدس الذى ملأ إخوانه الرسل . ويرد على ذلك بالآتى :—

١ — أنه لا توجد معجزة للوقا تثبت إلهامه حتى يمكن التصديق بكل ما كتب .

٢ — لم يرد فى كتب المسيحية أن لوقا كان من السبعين الذين أرسلهم المسيح وأخبرهم أن أسماءهم كتبت فى السماء ، وأنه كان من أولئك المائة والعشرين الذين ألقى فيهم بطرس خطبته وامتلأوا بالروح القدس على حد زعمهم .

والنتيجة من كل ذلك :

أن لوقا وبولس ليسا من الرسل الملهمين حتى يمكن التعويل على ما حرره كل منهما .

وقبل أن نختم هذا التمهيد نشير إلى الآتى :

١ — أنه لم يرد فى العهد القديم أو فى العهد الجديد أى إشارة إلى أن المسيح أو الروح القدس أقنوم من ثلاثة أقانيم بالمعنى المفهوم فى عقيدة النصرانية(١) .

(١) الأقانيم كلمة سريانية مفردها أقنوم ، وهى تعنى «شخص ، أو كائن مستقل بذاته» .

٢ — بل إن عبارة أقنوم نفسها لا توجد إطلاقا فى جميع أسفار العهد القديم أو العهد الجديد ، ونتيجة لذلك يتبين أن عقيدة الأقانيم ليس لها أى سند أو دليل من الأسفار القديمة أو الجديدة فى الكتاب المقدس(١) .

(١) كتاب (سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية) بقلم الشيخ عبد الله العلمى الغزى الدمشقى أستاذ دروس تفسير القرآن والتهذيب الدينى الإسلامى فى الجامع الأموى بدمشق سابقاً .

الفصل الأول

العقيدة عند المسيحيين

البحث العلمى فى عقائد المسيحية أو النصرانية :

التثليث :

١ — يتضح من الاطلاع على تاريخ (موسهيم) أن التثليث لم يكن معروفا عند المسيحيين حتى أواخر القرن الثانى الميلادى . وكان الأب أثيناغورس هو أول من نطق بكلمة ثالوث ، لأنه راعى عادات الرومان أصحاب السلطان على الإمبراطورية الرومانية وقتئذ حيث كانوا معتنقين لديانتهم الوثنية ، إذ أن معتنقى المسيحية ماقدروا أن يتصوروا معنى الألوهية بغير ما هو ممتزج بأفهامهم وما هو مغروس فى قلوبهم من طقوس الوثنية الشائعة لديهم .

٢ — فكان مثلا عند المصريين القدماء فى مدينة طيبة ثلاثة آلهة : آمون وموت وخنسو . وكان فى مدينة أبيدوس ثلاثة آلهة : إيزيس — وأوسيريس — وحوريس ، ومن الأمثلة على ذلك أيضاً الإله « رع » مظهر الشمس فإنه سمى فى الصباح هرماخيس . وعند الظهر را ، وعند الغروب أتوم أو تمو . ومن مصر غزت عقيدة الثالوث حوض البحر الأبيض المتوسط . وكانت صورة إيزيس الأم وهى تحمل الإله الابن هى الصورة السائدة فى أنحاء العالم الرومانى .

٣ — هذا الثالوث المصرى لم يكن قاصراً على حوض البحر الأبيض المتوسط بل شارك المصريين فيه البوذيون والبراهمة. كما اعتبره الأشوريون والبابليون والميترايزميون حتى أنه كثيراً ما كانت آلهة المكان الواحد ثالوثاً مثلثاً أو عدة حاصلة من ضرب الثالوث الواحد فى نفسه أى تسعة أو عدة تسعات .

ما هو التثليث أو الأقانيم الثلاثة وتاريخ تقريرها :

لقد تم وضع قانون الإيمان المسيحى ، أو الإيمان الثالوثى فى مجمع نيقية سنة ٣٢٥ ميلادية بمعرفة القساوسة المجتمعين هناك ، فهم الذين صاغوه وهم الذين قدموه عقيدة للشعوب المسيحية مفروضاً عليهم بسلطان قيصر الرومان قسطنطين .

وتقوم فكرة التثليث على الآتى :

الإيمان بإله واحد مؤلف من ثلاثة أقانيم أو ثلاثة شخوص (كما يقول بذلك اللاتين) الآب والابن والروح القدس . وهذه الثلاثة أقانيم ظواهر لحقيقة واحدة . واحد فى ثلاثة وثلاثة فى واحد ، ويشبهون هذه الظاهرة بقرص الشمس ونورها وحرارتها .

١ — فالآب لاهوت وهو الخالق .

٢ — والابن جمع بين اللاهوت والناسوت وهو الفادى .

٣ — والروح القدس لاهوت محض وهو المظهر المنبثق من الآب .
الناظر إلى هذه الثلاثة يجدها منفصلة ، ولكنهم يقولون إنهم إله واحد ، يقولون إنهم ثلاثة فى واحد وواحد فى ثلاثة .

وهذا أمر معقد لا يستقيم مع العقل والمنطق السليم ، لذلك يقولون أن هذه العقيدة فوق العقل ، مع أن الثابت بالأناجيل المتداولة أن المسيح عليه السلام كان شديد الرغبة فى العبادة أو الصلاة لله ، ولو كان إلهاً ولاستحال ذلك لأن الإله لا يعبد نفسه .

ألوهية المسيح :

بعد ذهاب السيد المسيح لقى المسيحيون الأول صنوفا من الاضطهادات المدمرة على يد اليهود والرومان الوثنيين قرابة ثلاثة قرون ، حتى لقد التهمت

كثيرا(١) من كتبهم ومراجعهم، وقضت على أتباع المسيحية الحقيقيين أو كادت ، ففقدت المسيحية طابعها البسيط السهل وامتلأت بكثير من الخرافات ممزوجة بالثقافات الوثنية التى كانت تسود الشعوب التى دخلت فى المسيحية أو النصرانية وقتئذ ، كالمصريين واليونانيين والرومانيين ، خصوصاً ما اتصل بالمسيح نفسه ، فقدكان بعضهم يراه رسولا ككل الرسل الذين سبقوه ، ورآه آخرون إلهاً ، ورآه فريق ثالث أنه ابن الله ، له صفة القدم ، فهو أكبر من رسول له صلة خاصة بالله ، وهكذا تباينت نحلهم واختلفت مذاهبهم ، وكل واحدة تدعى أنها هى المسيحية الحقة ، واختلفوا فى ذلك اختلافا شديداً اضطر معه الإمبراطور قسطنطين ، الذى قيل أنه اعتزم الدخول فى النصرانية ، إلى عقد مجمع مسكونى فى مدينة نيقية سنة ٣٢٥ ميلادية .

وتصادف فى نفس الزمن أن كان الخلاف على أشده بين كنيسة الإسكندرية وعلى رأسها البطريرك بطرس وبين القسيس آريوس المصرى ، إذ كان هذا الأخير داعية قوى الحجة جريئا واسع الحيلة ، فقاوم كنيسة الإسكندرية ، فيما بثته بين المسيحيين من أفكار تقوم على ألوهية المسيح ، فحارب تلك الأفكار ناشراً فكرة الوحدانية ، مقراً بوحدة المعبود ، منكراً ما جاء فى بعض الأناجيل مما يوهم تلك الألوهية .

١ — ويقول ابن البطريق عن أريوس أنه كان يقول : إن الأب وحده الله والابن مخلوق مصنوع وقد كان الأب إذ لم يكن الابن .

٢ — ويقول مؤلف تاريخ الأمة القبطية فى كتابه « الذنب ليس على أريوس بل على فئات أخرى سبقته فى إيجاد هذه البدع ، فأخذ هو عنها ، ولكن تأثير تلك الفئات لم يكن شديداً كما كان تأثير أريوس الذى جعل الكثيرين ينكرون سر الألوهية حتى انتشر هذا التعليم وعم » .

---

(١) مقارنة الأديان — كتاب المسيحية — للدكتور أحمد شلبى .

٣ — ولقد كان لرأى أريوس فى إنكار ألوهية المسيح واعتباره مخلوقا أنصار كثيرون ومشايعون عديدون(١) .

(أ) فقد كانت كنيسة أسيوط على رأيه وعلى رأسها ميلتوس .

(ب) وكان أنصاره يغلبون فى نسبتهم العددية فى مدينة الإسكندرية أقوياء من حيث المجاهرة بما يعتقدون .

(ج) بل تعدى الأمر ذلك النطاق المحدود فى مصر ، إذ كان لرأيه مشايعون كثيرون فى فلسطين والقسطنطينية ومقدونيا .

ما هى الحجة التى استند إليها بطريرك الإسكندرية لمقاومة آريوس :

١ — عندما أراد بطريرك الإسكندرية بطرس القضاء على فكرة آريوس لم يلجأ إلى الجدل والمناقشة ، لافتقاره إلى الحجة المقنعة القوية ، وتوقع غلبة آريوس عليه ، لذلك عمد إلى لعنه وطرده من حظيرة الكنيسة ، بل ونفيه استناداً إلى زعمه بأنه رأى فى منامه المسيح يتبرأ من آريوس ويلعنه ، لذلك فهو ينصح المسيحيين ويقول لهم إن السيد المسيح لعن آريوس هذا فاحذروه ، فإنى رأيت المسيح فى النوم مشقوق الثوب ، فقلت له : يا سيدى من شق ثوبك ؟ فقال : آريوس ، فاحذروا أن تدخلوه معكم(٢) .

٢ — لما ولى أمر كنيسة الإسكندرية البطريرك إسكندر ، رأى أن الرؤى والأحلام والنفى لم تقض على أفكار آريوس بين الناس ، لذلك أخذ يعالج المسألة بنوع من الحيلة والصبر ، فكتب إلى آريوس وأنصار رأيه يدعوهم إلى اعتناق رأى كنيسة الإسكندرية ، ولما لم تجد محاولته نفعا عقد مجمعا فى كنيسة الإسكندرية حكم فيه على آريوس بالحرمان ، إلا أن آريوس لم يخضع له ، بل غادر الإسكندرية إلى فلسطين .

---

(١) محاضرات فى النصرانية — للأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة .

(٢) المرجع السابق .

٣ — لما تفاقم الخلاف بين آريوس وبطريرك الإسكندرية ، حاول الامبراطور قسطنطين التدخل فى الأمر للوفاق بينهما ، وقد جمع بينهما ، ولكنهما لم يتفقا فدعا إلى عقد مجمع نيقية سالف الذكر للنظر فى أمر هذا الخلاف أيضا .

كيف انعقد مجمع نيقية :

يقول ابن البطريق المؤرخ المسيحى فى وصف ذلك « بعث الملك قسطنطين إلى جميع البلدان فجمع البطاركة والأساقفة فاجتمع فى مدينة نيقية ٢٠٤٨ من الأساقفة وكانوا مختلفين فى الآراء والأديان :

١ — فمنهم من كان يقول أن المسيح وأمه إلهان من دون الله ويسمون المريميين .

٢ — ومنهم من كان يقول أن المسيح من الآب بمنزلة شعلة نار انفصلت من شعلة نار ، فلم تنقص الأولى بانفصال الثانية منها ، وهى مقالة سابليوس وشيعته .

٣ — ومنهم من كان يقول أن مريم لم تحبل به تسعة أشهر ، وإنما مر فى بطنها كما يمر الماء فى الميزاب لأن الكلمة دخلت فى أذنها وخرجت من حيث يخرج الولد من ساعتها وهى مقالة إليان وأشياعه .

٤ — ومنهم من كان يقول أن المسيح إنسان خلق من اللاهوت كواحد منا فى جوهره ، وأن ابتداء الابن من مريم ، وأنه اصطفى ليكون مخلصا للجوهر الإنسى صحبته النعمة الإلهية ، وحلت فيه بالمحبة والمشيئة ، ولذلك سمى ابن الله ، ويقول أن الله جوهر قديم واحد ، وأقنوم واحد ويسمونه بثلاثة أسماء ولا يؤمنون بالكلمة ، ولا بروح القدس ، وهى مقالة بولس الشمشاطى بطريرك أنطاكية وأشياعه ، وهم البوليفانيون .

٥ — ومنهم من كان يقول أنهم ثلاثة آلهة لم تزل ، صالح وطالح وعدل

بينهما . وهى مقالة مرقيون وأصحابه . وزعموا أن مرقيون هو رئيس الحواريين وأنكروا بطرس .

٦ — ومنهم من كان يقول بألوهية المسيح ، وهى مقالة بولس الرسول. ومقالة الثلاثمائة وثمانية عشر أسقفا من ٢٠٤٨ ممن اجتمع فى مؤتمر نيقية سنة ٣٢٥ م.

ماذا دار فى مجمع نيقية :

اختلف المجتمعون فى هذا المجمع اختلافاً كبيراً ، ولم يتفقوا على رأى مما أثار عجب الإمبراطور قسطنطين ، ولما كان الإمبراطور قسطنطين نفسه ممن يميل مع القائلين بألوهية المسيح طبقا لما زعمه بولس الرسول ، فقد اختار من المجتمعين ٣١٨ أسقفا من أشد المتعصبين لرأيه ، وألف منهم مجلسا خاصا خوله إصدار ما يراه من قرارات . ويقول فى ذلك ابن البطريق المؤرخ المسيحى « وضع الملك للثلاثمائة والثمانية عشر أسقفا مجلسا خاصا عظيما ، وجلس فى وسطهم ، وأخذ خاتمه وسيفه وقضيبه فدفعه إليهم وقال لهم : قد سلطتكم اليوم على مملكتى لتصنعوا ما ينبغى لكم أن تصنعوا مما فيه قوام الدين وصلاح المؤمنين . فباركوا الملك ، وقلدوه سيفه وقالوا له : أظهر دين النصرانية ، وذب عنه . ووضعوا له أربعين كتابا فيها السنن والشرائع ، منها ما يصلح للملك أن يعمله ويعمل به ومنها مايصلح للأساقفة أن يعملوا به » .

قرارات مجمع نيقية :

يتبين مما سبق كيف أن مجمع نيقية أصدر قرارات ضمنها أربعين كتابا فيها السنن والشرائع . ويهمنا من هذه القرارات القرارات الآتية :

١ — قرار خاص بإثبات ألوهية المسيح وتقرير عقيدة التثليث .

٢ — تكفير من يذهب إلى أن المسيح إنسان .

٣ — تكفير آريوس وحرمانه وطرده ، وهو الذى أشرنا إليه بأنه كان

قسيسا فى كنيسة الإسكندرية حينئذ ، حيث كان يعتقد وينادى بأن المسيح مجرد بشر مخلوق ، وليس إلها أو ابنا لله .

٤ — إحراق جميع الكتب التى لا تقول بألوهية المسيح . أو تحريم قراءتها ، ومن هذه الكتب أناجيل فرق التوحيد التى تقرر بشرية المسيح وأنه رسول فقط ومنها إنجيل برنابا .

وقد ذكر صاحب كتاب (تاريخ الأمة القبطية) بيان مجمع نيقية عن العقيدة التى فرضها المجمع بمعاونة سلطان الدولة الرومانية على المسيحيين ، وهاك نص هذا البيان :

« إن الجامعة المقدسة والكنيسة الرسولية تحرم كل قائل بوجود زمن لم يكن ابن الله موجوداً فيه ، وأنه لم يوجد قبل أن يولد ، وأنه وجد من لاشيء ، أو من يقول إن الابن وجد من مادة أو جوهر غير جوهر الله الآب ، وكل من يؤمن أنه خلق أو من يقول إنه قابل للتغيير ويعتريه ظل دوران » .

تقييم قرارات مجمع نيقية والملاحظات عليها :

١ — إن الملاحظ أن المدعوين إلى هذا المجمع رسمياً من جميع أنحاء الإمبراطورية الرومانية وقتئذ كان ٢٠٤٨ أسقفا ، لكن من أصدر قراراته النهائية لم يتجاوز ٣١٨ أسقفا .

٢ — كيف يصدر هؤلاء وهم ٣١٨ أسقفا قرارات تلتزم بها الكنائس المسيحية جميعاً ، فى حين أن آريوس طبقاً لما ذكره الرواة عنه لما ألقى بدعوته وجادل عن فكرته انضم إليه أكثر من ٧٠٠ أسقف ، وهذا العدد هو أكبر عدد نالته نحلة من تلك النحل المختلفة ، فلو كانت النصرة بالكثرة النسبية لكان الواجب أن تكون الغلبة لآريوس الذى احتج بما تحت أيديهم من أناجيل ، فلما عارضوه بنصوص أخرى تدل على ألوهية المسيح قرر تحريفها .

٣ — روى مؤرخو المسيحية أيضاً أن عصا السلطان ورهبة الملك كان لهما دخل كبير فى إصدار القرار بألوهية المسيح ، لأن هؤلاء المجتمعين على ذلك وهم ٣١٨ لم يكونوا مجمعين على القول بألوهية المسيح ، لكن سلطان الترهيب والترغيب فى جانب الإمبراطور قسطنطين امتص خلافهم ، فأمضوا ما سبق ذكره من قرارات ، وبذلك قرروا ألوهية المسيح ، وقسروا الناس عليها بقوة السيف، ورهبة الحكام .

٤ — ويستخلص من كل ذلك أن المجمع قرر أن تعاليم الدين المسيحى لا يتلقاها الناس من كتب المسيحية رأساً ، بل لابد من تلقيها من المجامع الرسمية المشكلة من رجال الكهنوت ، وأن أقوالهم فى ذاتها حجة سواء أخالفت النصوص أم وافقت ، وسواء كانت صواباً أم جافت الحق .

٥ — أن المجمع أمر بإحراق الكتب التى تخالف رأيه، وتتبعها فى كل مكان وحث الناس على تحريم قراءتها ، فهو بهذا يمنع أن يصل إلى الناس علم بأى أمر من الأمور التى تخالف رأيه ، ويحاول التحكم فى القلوب والسيطرة على النفوس ، يحملها على قراءة ما وافق رأيه ومنعها بتاتاً من أن تقرأ غيره ، وهو مخطىء فى ذلك ، بدليل أن المجامع التى تلته دمغته وخطأته فأعادت إلى حظيرة التقديس كتباً حرمها ، بل أعادت تلك المجامع كتباً حرمها المجمع المسكونى الأول ، من كتب العهد القديم ، بل وكتباً من كتب العهد الجديد أيضاً، وهى رسالة بولس إلى العبرانيين ، والرسالة الثانية لبطرس، والرسالة الثانية والثالثة ليوحنا ، ورسالة يعقوب ورسالة يهوذا ، ومشاهدات يوحنا ؛ فإذا كان المجمع المسكونى الأول قد أخطأ فى معرفة الصحيح من الكتب فآراؤه الأخرى ، خصوصاً ما تعلق بألوهية المسيح وغيرها ، أكثر عرضة للخطأ ، وهذا ما حدث فعلا فى مجمع صور الذى سيأتى ذكره فيما بعد .

ما هو السر فى تدخل الإمبراطور قسطنطين شخصياً لإصدار قرارات مجمع نيقية على الصورة التى صدرت عليها ؟

يتناقل الرواة والمؤرخون أن قسطنطين إمبراطور الدولة الرومانية وقتئذ وإن كان المشهور عنه أنه كان مسيحياً ، إلا أنه وقت انعقاد المؤتمر لم يكن قد دخل المسيحية بعد ، فأيد الرأى بألوهية المسيح ، حتى يقرب المسيحية من وثنيته ، فهو رجح ما هو أقرب إلى الوثنية لوثنيته ، دون أى حجة له فى ذلك .

ومما يؤيد هذا الرأى أن المؤرخ أبوسيبوس الذى تقدس الكنيسة كلامه وتسميه سلطان المؤرخين يقول « إن قسطنطين عمد حين كان أسير الفراش ، وأن الذى عمده هو ذلك المؤرخ نفسه وقد كان له صديقاً » .

ومعنى ذلك أن قسطنطين ما كان مسيحياً فى إبان انعقاد مجمع نيقية بل صار مسيحياً وهو على فراش الموت ، إذ التعميد إعلان دخول المسيحية(١) .

مجمع صور :

يذكر ابن البطريق المؤرخ المسيحى أن البطريق أوسابيوس أسقف نيقومدية كان موحدا من مناصرى آريوس فى المجمع العام قبل أن تبعده عنه كثرته ، ولعن من أجل هذا ، وأراد أن يتقرب من قسطنطين ، فأظهر له أنه وافق على قرار الثمانية عشر والثلاثمائة فأزال قسطنطين عنه اللعنة وجعله بطريرك القسطنطينية ، فما إن ولى هذه الولاية حتى صار يعمل للوحدانية(٢) فى الخفاء فلما اجتمع المجمع الإقليمى فى صور وحضره هو وبطريرك الإسكندرية الذى كان يمثل فكرة ألوهية المسيح ، ويدعو إليها ، وينفرد من بين البطاركة بالمبالغة فى الدعوة إليها ولعن كل من يقاومها ، انتهز البطريرك أوسابيوس فرصة ذلك الاجتماع ، وأثار مقالة آريوس ورأيه فى

---

(١) محاضرات فى النصرانية — للأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة .

(٢) المرجع السابق .

المسيح ، وإنكار ألوهيته ، وكان فى ذلك المجمع كثيرون من الموحدين المستمسكين به ، إذ لم يحتاطوا بإبعادهم كما فعلوا فى المجمع العام بنيقية ، واشتد النقاش بين رئيس كنيسة الإسكندرية وبين المجتمعين ، حتى وصل إلى الاعتداء عليه وعلى رأسه بالضرب ، حتى كادوا أن يقتلوه ، ولم يخلصه من أيديهم إلا ابن أخت الملك الذى كان حاضراً ذلك الاجتماع ، ولكن لما بلغ ذلك الإمبراطور قسطنطين كرمه ، هذا وقد أصدر مجمع صور قراره الفذ وهو وحدانية الله وأن المسيح رسوله فقط(١) .

ما يستنبط من ذلك المجمع من نتائج :

١ — أولى هذه النتائج أن أهل المسيحية الأولى كانت كثرتهم الغالبة من الموحدين المتحمسين لوحدانية الإله ، إذ كانوا فى مجمع نيقية الكثرة ، وكانوا يناصرون رأى آريوس فى عقيدةالتوحيد ، ويعارضون التثليث وألوهية المسيح ، وفى مجمع صور الإقليمى كانوا جميعا موحدين ما عدا بطريرك الأسكندرية ، وإذا كان الأمر كذلك فلا بد أن يكونوا الكثرة فى جمهور المسيحين وقتئذ .

٢ — أن أصل عقيدة المسيحية هو التوحيد الخالص ، وأن فكرة ألوهية المسيح هى العارضة ، إلا أن الامبراطور قسطنطين كان يشجع دائماً المخالفين لعقيدة التوحيد حنيناً إلى عقيدته الوثنية .

٣ — أن مجمع صور الذى عقد بعد مجمع نيقية بسنين قليلة خالف كل المخالفة مجمع نيقية الذى تخاذل عدده من ٢٠٤٨ أسقفاً إلى ٣١٨ عند تقريره عقيدة التثليث وألوهية المسيح .

٤ — أن كنيسة الإسكندرية وحدها ، هى موطن الدعاية لألوهية المسيح ، ولم تتمكن من السيطرة برأيها على العالم المسيحى الذى كان يدين أكثره بعقيدة التوحيد حتى فى إقليم مصر نفسها ، ويقول فى ذلك ابن البطريق عن العصر الذى تلا عصر قسطنطين « فى ذلك العصر غلبت مقالة آريوس على القسطنطينية ، وإنطاكية وبابل والاسكندرية » . وعن أهل مصر

(١) المرجع السابق .

يقول « فأما أهل مصر والإسكندرية فكان أكثرهم آريوسيين فغلبوا على كنائس مصر والإسكندرية وأخذوها ووثبوا على أثناسيوس بطريرك الإسكندرية ليقتلوه فهرب منهم واختفى(١) .

لماذا لم تتغلب آراء الموحدين على أفكار أنصار عقيدة التثليث :

أخذت الدولة الرومانية مستعينة فى ذلك بقوة سلطانها ، فعينت فى مناصب الأساقفة من لم يكونوا موحدين متخذة فى ذلك كل الاحتياط ، فاختفى مذهب الوحدانية الحق فى لجة التاريخ ، حتى أنه لا يوجد حاليا فى جميع أنحاء العالم المسيحى كنيسة واحدة لا تقول بالتثليث .

ما هو السر فى تشبث كنيسة الإسكندرية بعقيدة التثليث :

السبب فى ذلك أن كنيسة الاسكندرية كانت تعتنق المذهب الاسكندرانى ، وهو المذهب الفلسفى الذى نادت به مدرسة الإسكندرية التى كان يتزعمها أفلوطين فى القرن الثالث الميلادى ، وإليه تنسب الأفلوطينية الحديثة ، وكانت آراؤها فى العقيدة الإلهية ترتكز على الثالوث المكون من الله والعقل والروح ، وقد امتدت جذور الثالوث الأفلوطينى حتى عقيدة المصريين القدماء فى آمون ورع طبقاً لما حكاه المستر وليم أوكسلى فى كتابه (مصر وعجائب أرض الفراعنة) أن قدماء المصريين كانوا يعتقدون بأوزوريس كاعتقاد المسيحية بالمسيح تقريباً(٢) .

ما هى الأسس التى استند إليها مجمع نيقية فى تقرير ألوهية المسيح :

يقرر بعض المسيحيين أن الأسس التى أدت إلى اتخاذ هذا القرار الخطير هى ما ورد فى كتبهم المقدسة طبقاً للآتى :

(أ) يروى متى فى الإصحاح ٢٦ عدد ٦٣ و ٦٤ حكاية عن رئيس الكهنة عندما سأل المسيح « وأما يسوع فكان ساكتا ، فأجاب رئيس الكهنة

---

(١) المرجع السابق .

(٢) (محمد نبى الإسلام فى التوراة والإنجيل والقرآن) للمؤلف .

وقال له، أستحلفك بالله الحى أن تقول لنا هل أنت المسيح ابن الله قال له يسوع أنت قلت » .

(ب) ما رواه متى فى إنجيله بالإصحاح ٣ عدد ١٧ عن الله « هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت » .

(ج) وقول يوحنا فى إنجيله فى وصف المسيح إصحاح ١ عدد ١ ، « فى البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله . وكان الكلمة الله .. » عدد ٣ « كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان » وعدد ١٤ « والكلمة صار جسداً وحل بيننا ورأينا مجده مجداً كما لوحيد من الأب مملوءا نعمة وحقاً » .

(د) وفى أعمال الرسل إصحاح ٨ عدد ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ حكاية عن فيلبس أحد الحواريين عندما كان يسير مع خصى فمرا بماء فطلب الخصى من فيلبس أن يعمده فقال فيلبس إن كنت تؤمن من كل قلبك يجوز . فأجاب وقال أنا أومن أن يسوع المسيح هو ابن الله . فأمر أن تقف المركبة فنزلا كلاهما إلى الماء فيلبس والخصى فعمده .

(ه) قد يقول قائل النصرانية أن التثليث يستند إلى ما ورد بإنجيل متى ص ٢٨ عدد ١٩ من قول منسوب للمسيح « فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس » .

نقد ومناقشة هذه الأسس :

١ — إن ما يرويه متى أو يوحنا لا يمكن أن يعتبر دليلا على مثل هذا الأمر الخطير ، وهو اعتبار المسيح إلها ، وبخاصة إذا اتضح أن هذه الأناجيل من صنع متى ويوحنا أو من صنع الأجيال المتعاقبة ونسبت إليهم ، لأن الصلة بين إنجيل عيسى المسيح وهذه الأناجيل مقطوعة ، والصلة بين هذه الأناجيل والذين نسبت إليهم تكاد تكون مقطوعة أيضاً .

٢ — مما يؤكد هذا النظر أن الكاتب الكبير كالتوف Kalthoff أبان أن الاعتقاد بألوهية المسيح سبق كتابة الأناجيل ، فالاعتماد على الأناجيل

لإثبات ألوهية المسيح عمل بعيد عن الصواب ، لذلك نراه يقول « إن صورة المسيح بكل معالمها وملامحها أعدت قبل أن يكتب سطر واحد من الأناجيل ، وأن هذه الصورة هى من إنتاج الفلسفة العقلية (الميتافيزيقية) التى كانت إذ ذاك مسيطرة ، وكانت آراؤها شائعة وتكاد تكون عامة أو عالمية » .

٣ — يثبت بيفليديرر Pfliederer المصادر الحقيقية للاعتقاد بألوهية المسيح فيقول : إن معالم التنبؤ عند اليهود ، وعظات الأحبار ، والخيال الشرقى ، والفلسفة الإغريقية قد اختلطت كل ألوانها ، ومن هذه الأصباغ جاءت صورة المسيح التى ظهرت فى العهد الجديد ، وكل ما يمكن تقريره دون تردد ، هو أن تصور المسيح ورسمه كان الهدف الوحيد للمسيحية فى عهدها الأول كما كان هدف دعاتها .

٤ — أن كلمة ابن الله ، أو قول الله تعالى « هذا ابنى الحبيب » لو صح هذا أو ذاك لما كان دليلا قط على ألوهية المسيح ، فإنه استعمال مجازى معناه التكريم والطاعة ، ونظيره إطلاق الأناجيل على العصاة أنهم أبناء الشيطان مع أنهم أبناء آدم ، والغرض من ذلك أنهم يطيعون الشيطان كطاعة الأبناء للآباء .

٥ — ويقول H.D.A.Mazor مدير ريبون هول — أكسفورد : ينبغى أن يلاحظ أن عيسى لم يدع أنه ابن الله من الناحية الحسية الجسمانية ، ولا من الناحية الفكرية العقلية ، وإنما من الناحية العامة التى تضع كل الناس من الله بمنزلة الأبناء من الأب فى التعلق به والاعتماد عليه والحاجة إليه .

٦ — وردت فى الأناجيل التى يعتمد المسيحيون عليها فى إثبات البنوة عبارات كثيرة تقرر توحيد الله ، وتفيد بوضوح أن المسيح نبى وبشر رسول ، وذلك دليل قاطع على أن المراد من البنوة غير ما فهموه ، بل المراد منها الطاعة والمحبة والاعتماد على الله والحاجة إليه كحاجة الابن إلى أبيه ، وإليك بعض هذه العبارات :

(أ) جاء فى إنجيل متى إصحاح ٢١ عدد ١١ « فقالت الجموع : هذا يسوع النبى الذى من ناصرة الجليل » .

(ب) وجاء فى الإنجيل السابق إصحاح ٢٣ عدد ٩ « ولا تدعوا لكم أباً على الأرض لأن أباكم واحد الذى فى السموات » وهنا نسبت البنوة إلى البشر، ولم يختص بها المسيح فهل البشر يساوون المسيح فى البنوة لله على النحو الذى فهموه ، فإن قالوا هى بنوة الحاجة والطاعة قلنا بنوة المسيح كبنوتهم .

(ج) وجاء فى إنجيل مرقص إصحاح ١٢ عدد ٢٩ « فأجابه يسوع أن أول كل الوصايا هى اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد » وفى عدد ٣٢ « فقال له الكاتب جيداً يا معلم بالحق قلت لأنه الله واحد وليس آخر سواه » .

(د) ورد فى إنجيل لوقا إصحاح ٧ عدد ١٦ ، ١٧ « فأخذ الجميع خوف ومجدوا الله قائلين: قد قام فينا نبى عظيم، وافتقد الله شعبه وخرج هذا الخبر عنه فى كل اليهودية وفى جميع الكورة المحيطة » .

(هـ) كما ورد فى الإصحاح ١٣ عدد ٣٣ من الإنجيل السابق وكذلك فى عدد ٣٤ « بل ينبغى أن أسير اليوم وغداً وما يليه لأنه لا يمكن أن يهلك نبى خارج عن أرشليم، يا أورشليم يا أورشليم ، ياقاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها ، كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحها ولم تريدوا » .

(و) وجاء فى إنجيل يوحنا إصحاح ٦ عدد ١٤ « فلما رأى الناس الآية التى صنعها يسوع ، قالوا هذا بالحقيقة النبى الآتى إلى العالم » .

(ز) وجاء فى الإنجيل السابق إصحاح ٧ عدد ٤٠ ، ٤١ « فكثيرون من الجمع لما سمعوا هذا الكلام قالوا: هذا بالحقيقة هو النبى ، آخرون قالوا هذا هو المسيح » .

(ح) يروى يوحنا عن عيسى إصحاح ٢٠ عدد ١٨ قوله « ولكن إذهبى إلى إخوتى وقولى لهم إنى أصعد إلى أبى وأبيكم وإلهى وإلهكم » .

(ط) وفى رسالة أعمال الرسل إصحاح ٣ عدد ٢٢ ، ٢٤ أن موسى قال للآباء الآتى « فإن موسى قال للآباء إن نبياً مثلى سيقيم لكم الرب إلهكم من إخوتكم له تسمعون فى كل ما يكلمكم به » « وجميع الأنبياء أيضاً من صموئيل فما بعده جميع الذين تكلموا سبقوا وأنبأوا بهذه الأيام » .

٧ — أن بولس نفسه استعمل هذا التركيب « ابنى الحبيب » استعمالا مجازياً فى رسالة كورنثوس الأولى . قال بولس عن تيموثاوس « لذلك أرسلت إليكم تيموثاوس الذى هو ابنى الحبيب » . مع أنه ليس ابنه .

(انظر رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس إصحاح ٤ عدد ١٧) .

٨ — يقول العالم هارناك Hornack فى شخصية المسيح « ووصف إله السماء والأرض بأنه إلهه وأبوه وبأنه الأعظم والإله الواحد ، وأن المسيح يعتمد عليه فى كل شىء ، وأن خضوعه له تام ، ويدخل عيسى نفسه ضمن الناس معلناً أنه من طبيعة البشر التى تختلف عن طبيعة الله (الذات الإلهية) »

٩ — ورد فى دائرة المعارف البريطانية ما نصه ، « ولم يدع عيسى قط أنه من عنصر فوق الطبيعة ولا أن له طبيعة أسمى من طبيعة البشر ، وكان قانعاً بنسبه العادى ابناً لمريم منسوباً من جهة الأب إلى يوسف النجار » .

١٠ — أن العبارة المنسوبة للمسيح وهى « عمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس » الواردة فى إنجيل متى ص ٢٨ عدد ١٩ لا تفيد أدنى دلالة على التثليث بمفهوم النصرانية ، بل إنها تشير إلى تكليف التلاميذ بتعليم أبناء الأمم ، معرفة الأب وهو الرب الواحد الأحد الذى لا شريك له لأن معنى الآب هو الله ، ومعرفة الابن أى المسيح بمعناه الذى حدده هو عن نفسه بالرسالة أو التعليم من الله ، وباسم الروح القدس أى معرفة الوحى الذى أنزل على المسيح وعلى من كان قبله من الأنبياء والمرسلين(١) ، بل إن كلمة

(١) كتاب سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية بقلم الشيخ عبدالله العلمى الغزى الدمشقى.

أقنوم كما قدمنا آنفاً لا توجد إطلاقاً ، فى جميع أسفار العهد القديم والعهد الجديد (١) .

النتيجة والخلاصة :

١ — من كل ذلك يتضح أن فلسفة مدرسة الإسكندرية التى كانت تعتنق مذهب أفلوطين وفلسفة الإغريق هما اللتان دفعتا المسيحيين إلى القول بألوهية المسيح أو القول بتعدد الآلهة .

٢ — ويؤكد هذا النظر العالم هارناك إذ يقول أن تعدد الآلهة هو من عمل أتباع المسيح وهو بعيد كل البعد عن عمل المسيح وقوله .

٣ — ويقول السيد محمود أبو الفضل فى كتابه (وحدة الدين والفلسفة والعلم) : إن الاضطهاد الذى لاقاه المسيحيون فى عهدهم الأول دفعهم إلى الهجرة ، فرحل بعضهم إلى الإسكندرية حيث أخذوا من مدرستها ، ورحل البعض إلى روما فأخذوا عن الوثنية الرومانية ، ومن هذين المعينين ، جاءت المسيحية الحديثة .

الروح القدس وتقرير ألوهيته :

الروح القدس فى عرف المسيحيين هو الروح الذى حل على العذراء لدى البشارة لها ،وعلى المسيح فى العماد، وعلى الرسل بعد صعود المسيح إلى السماء .

أما فى نظر المسلمين فإن الذى أرسل إلى العذراء بالبشارة بولادة عيسى عليه السلام هو الملك جبريل عليه السلام (٢) .

ومجمع نيقية بعد أن قرر مبدأ التثليث وألوهية المسيح لم يتعرض لألوهية الروح القدس، بل نص ذلك الاجتماع على ترك الحرية للناس فى الاختلاف

---

(١) انظر صفحة ٢٨ من هذا الكتاب .

(٢) المسيحية : مقارنة الأديان — للدكتور أحمد شلبى .

على الروح القدس ، وفى ضوء هذه الحرية وجد اتجاهان يتصارعان هما :

١ — كنيسة الإسكندرية إذ تتزعم القول بالتثليث ، أى أن المسيطر على العالم قوى ثلاث : الله وهو المكون الأول — العقل (الابن) — والنفس العامة (الروح القدس) .

٢ — أسقف القسطنطينية مقدونيوس يناصره بعض القسس ومنهم الأسقف أوسابيوس الذى أنكر وجود (الأقانيم) الثلاثة إذ أعلن أن الروح القدس ليس بإله ولكنه مخلوق مصنوع .

وإزاء هذا الخلاف استدعى الأمر عقد مجمع جديد ، فعقد الإمبراطور تاوديوس الكبير مجمع القسطنيطنية سنة ٣٨١ ميلادية ولم يحضره إلا ١٥٠ أسقفاً فقط وقرر المجمع الآتى :

١ — حرمان الأسقف مقدونيوس والأسقف أوسابيوس وإسقاط كل منهما من رتبته .

٢ — تقرير ألوهية الروح القدس ، وبذلك اكتمل بنيان الثالوث فى نظرهم ، وصار الأب ويعنون به الله ، والابن ويعنون به المسيح ثم الروح القدس ، وكل من هذه الثلاثة أقنوم (أى شخص) إلهى .

ما هو الأساس الذى قرر المجمع عليه ألوهية روح القدس ؟

قدم بطريرك الإسكندرية وقتئذ تفسيراً لهذا المبدأ إلى المجتمعين فى المجمع فوافقوا عليه وهو الآتى :

« ليس روح القدس عندنا بمعنى غير روح الله ، وليس روح الله شيئاً غير حياته ، فإذا قلنا أن روح القدس مخلوق فقد قلنا إن روح الله مخلوق ، وإذا قلنا إن روح الله مخلوقة قلنا أن حياته مخلوقة ، وإذا قلنا أن حياته مخلوقة فقد زعمنا أنه غير حى ، فقد كفرنا به ، ومن كفر به وجب عليه اللعن » .

نقد الأساس الذى وافق عليه مجمع القسطنطينية بألوهية الروح القدس :

من النظر فى السلسلة السابقة التى قدمها بطريريك الإسكندرية يتضح الآتى : —

١ — أن مقدمة هذه السلسلة وهى أن روح القدس هى روح الله أى حياته مقدمة ساقطة خاطئة لا يوافقه عليها أهل العلم والكتب المقدسة وخصوصاً القديمةمنها ، وعارية عن الدليل عليها . والعقيدة الصحيحة هى أن روح القدس خلقه الله واتخذه ليكون رسولا بينه وبين من يريد أن يلقى عليه وحياً من خلقه أو أمراً كونياً ، والدليل على ذلك ما ورد فى العهد القديم والجديد :

(أ) فى سفر العدد إصحاح ١١ عدد ٢٥ حاكياً عن موسى عيه السلام :

« وأخذ من الروح الذى عليه وجعل على السبعين رجلا الشيوخ فلما حلت عليهم الروح تنبأوا ولكنهم لم يزيدوا » أى فلما نزل عليهم الملك بالوحى تنبأوا .

(ب) ورد فى سفر أشعيا عليه السلام إصحاح ١١ عدد ١ وما بعده .

« ويخرج قضيب من جذع يسى وينبت غصن من أصوله ويحل عليه روح الرب » .

(ج) ورد فى إنجيل لوقا إصحاح ٢ عدد ٢٥ « سمعان عليه روح القدس » .

ولو كان كل من يتصف بصفة الروح أو من عليه الروح إلهاً لاشترك فى الألوهية مع المسيح السبعون رجلا الشيوخ من بنى إسرائيل مع موسى وسمعان وغيره ممن تأيدوا بالروح .

٢ — ولكن هذا المجمع لم يكن يفكر ولم يجتمع ليناقش ، مع أن المقدمات الواردة بتفسير بطريرك الإسكندرية غير مسلم بها (١)

---

(١) محاضرات فى النصرانية — للأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة .

ونتائجها غير مرتبة ولا مبنية بالضرورة على المقدمات ، لذلك فإن المجمع ما اجتمع إلا ليتخذ قرارا مبيتاً قبل اجتماعه ، ولذلك سرعان ما اتخذوا قرارهم بألوهية الروح القدس وبلعن من يقول بغير ذلك .

٣ — ومرة أخرى فرض هذا القرار فرضاً على المسيحيين ، وعذب ولعن من خالفه وحرم من الوظائف، وصودرت آراؤه وقتات .

ما قاله ابن البطريق أحد المؤرخين المسيحيين فى إثبات قرار ألوهية روح القدس وشرحه . يقول ابن البطريق : « زادوا فى الأمانة التى وضعها الثلاثمائة والثمانية عشر أسقفاً الذين اجتمعوا فى نيقية — الإيمان بروح القدس المحيي المنبثق من الآب ، الذى هو مع الآب والابن مسجود له وممجد ، وثبتوا أن الآب والابن وروح القدس ثلاثة أقانيم ، وثلاثة وجوه ، وثلاث خواص ، وحدية فى تثليث وتثليث فى وحدية ، كيان واحد فى ثلاثة أقانيم ، إله واحد ، جوهر واحد ، طبيعة واحدة »(١) .

هل اكتفى رجال الكنيسة بهذا الثالوث على هذا الوضع :

لم يكتف بعض رجال الكنيسة بهذا الثالوث على هذا الوضع السابق شرحه ، بل تراهم كأنهم تصوروا منافسة بين الله جل جلاله وبين المسيح ، فلم يقنعوا بأن يكون الروح القدس منبثقاً من الآب بل عقدوا مجمعاً آخر هو مجمع طليطلة سنة ٥٨٩ ميلادية ، وقرروا أن الروح القدس منبثق من الابن أيضاً (٢) وهذا مناقض لما قالوه سابقاً من أنه هو الذى حل على العذراء لدى البشارة لها ، وعلى المسيح عند العماد ، فمتى يفيق هؤلاء المساكين .

ولم تقبل الكنيسة اليونانية هذه الزيادة الجديدة وكذلك الكنيسة القبطية بمصر ولا تزال عبارة « ومن الابن أيضاً » موضع خلاف بين الكنيسة اليونانية والقبطية وبين الكنيسة الكاثوليكية وسبباً لعدم الالتقاء بينها .

---

(١) كتاب محاضرات فى النصرانية للمرحوم الشيخ محمد أبو زهره .

(٢) المسيحية — مقارنة الأديان — للدكتور أحمد شلبى .

ويقول الدكتور أحمد شلبي فى كتابه القيم مقارنة الأديان (المسيحية) .

وهكذا اتخذت تلك المجامع سلطة صنع الآلهة — (ياللعجب العجاب) .

ثانياً : صلب المسيح للتكفير عن خطيئة البشر ، وهو الأساس الثانى فى عقيدة المسيحية ، ويعبر عنه فى لغة المسيحيين بظهور الله فى الجسد ، حيث جاء بالشكل المنسوب للمسيح . وأساس هذا العنصر الثانى عند المسيحيين أن من صفات الله العدل والرحمة فبمقتضى صفة العدل كان على الله أن يعاقب ذرية آدم بسبب الخطيئة التى ارتكبها أبوهم وطرد بها من الجنة واستحق هو وأبناؤه البعد عن الله بسببها .

وبمقتضى صفة الرحمة كان على الله أن يغفر سيئات البشر .

ولم يكن هناك طريق للجمع بين العدل والرحمة إلا بتوسط ابن الله ووحيده وقبوله أن يظهر فى شكل إنسان وأن يعيش كما يعيش الإنسان ثم يصلب ظلماً ليكفر خطيئة البشر ، وهذا ما يعبر عنه النصارى بالخلاص . وهنا تمت المصالحة بين الله والناس .

ويدلل المسيحيون على ذلك بالآتى :

١ — ما ورد بإنجيل مرقص الإصحاح ١٠ عدد ٤٥ « لأن ابن الإنسان أيضاً لم يأت ليخدم ، بل ليخدم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين » .

٢ — ما ورد بإنجيل يوحنا إصحاح ٣ عدد ١٧ « لأنه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم بل ليخلص به العالم » .

٣ — رسالة رومية إصحاح ٣ عدد ٢٤ ، ٢٥ وما بعدها « متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذى بيسوع المسيح الذى قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه لإظهار بره من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بإمهال إلى الله » .

٤ — رسالة رومية إصحاح ٥ عدد ١٠ « لأنه إن كنا ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه لأولى كثيراً ونحن مصالحون نخلص بحياته » .

٥ — رسالة رومية إصحاح ٦ عدد ٦ « عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صلب معه ليبطل جسد الخطيّة كى لا نعود نستعبد أيضاً للخطيّة » .

ما قاله الأب بولس إلياس الخورى عن عقيدة الصلب والفداء :

أعلن ذلك الأسقف المسيحى فى جرأة أن بولس الرسول هو مبتدع هذه الفكرة ، وقد حمل هو وتلميذه الحبيب لوقا لواء الدعاية لها ، وإليك كلماته (١) :

« ومما لا ريب فيه أن الفكرة الأساسية التى ملكت على بولس مشاعره فعبر عنها فى رسائله بأساليب مختلفه هى فكرة رفق الله بالبشر ، وهذا الرفق بهم هو ما حمله على إقالتهم من عثارهم ، فأرسل إليهم ابنه الوحيد ليفتديهم على الصليب ، وينتقل بهم من عهد الناموس الموسوى إلى عهد النعمة ، وهذه الفكرة عينها هى التى هيمنت على إنجيل لوقا » .

وصف عملية التنكيل والتعذيب التى مر بها عيسى قبل صلبه (كما يقولون) :

يصور إنجيل متى هذه العملية فى الإصحاح ٢٧ عدد ٢٢ ومابعدها طبقاً للآتى :

« فقال الوالى للشعب ، ماذا أفعل بيسوع الذى يدعى المسيح ، قال له الجميع ليصلب ، فقال الوالى وأى شر عمل ؟ فكانوا يزدادون صراخاً قائلين ليصلب ، فلما رأى بيلاطس أنه لا ينفع شيئاً بل بالحرى يحدث شغب أخذ ماء وغسل يديه قدام الجميع قائلا إنى برىء من دم هذا البار أبصروا أنتم . فأجاب جميع الشعب وقالوا دمه علينا وعلى أولادنا ، حينئذ ، أطلق لهم باراباس وأما يسوع فجلده وأسلمه للصلب ، فأخذ عسكر الوالى يسوع إلى دار الولاية وجمعوا عليه كل الكتيبة فعروه وألبسوه رداء قرمزياً ، وضفروا إكيلا من شوك ووضعوه على رأسه وقصبة فى يمينه ، وكانوا يجثون قدامه ويستهزئون به قائلين ، السلام عليك يا ملك اليهود ، وبصقوا

---

(١) كتاب (يسوع المسيح) للأب بولس إلياس الخورى .

فى وجهه ، وأخذوا القصبة وضربوه على رأسه ، وبعد أن استهزءوا به نزعوا عنه الرداء وألبسوه ثيابه ومضوا به للصلب ، وأعطوه خلا ممزوجاً بمرارة ليشرب ، ولما ذاق لم يرد أن يشرب » .

كما وصف إنجيل مرقص فى الإصحاح ١٤ تلك العملية بمثل ذلك التصوير البشع مع اختلاف وتضاد . ولذا يقول الأستاذ المرحوم الشيخ عبد الوهاب النجار (١) :

إن الأناجيل الأربعة اختلفت اختلافاً كبيراً فى إيراد هذه القصة ، وإن الإنسان ليتماكه العجب فى اختلاف تلك الأناجيل الأربعة على أساس هام من أسس ديانتهم ، ولو صح أن هذا أساس وأن المسيح أنبأ به لكان اهتمامهم بتدوينه متساوياً أو متقارباً فى تلك الأناجيل ، لكن تلك النصوص عن هذه الواقعة جاءت وبها من أوجه التضاد ما يسقط قيمة الاستدلال بها ، وبالتالى يسقط قيمة هذه الفكرة من أساسها .

مناقشة صريحة لفكرة الصلب والفداء :

يقول المسيحيون أن أساس هذا الصلب هو صفة العدل ؛ إذ كان على الله بمقتضى هذه الصفة أن يعاقب ذرية آدم بسبب الخطيئة التى ارتكبها أبوهم . لكن بمقتضى صفة الرحمة كان على الله أن يغفر سيئات البشر ؛ لكن يعترض على ذلك بما يأتى :

١ — أين كان عدل الله ورحمته منذ طرد آدم من الجنة حتى صلب المسيح . فهل كان الله حائراً بين العدل والرحمة آلاف السنين ، حتى قبل المسيح منذ ألفى عام أن يصلب للتكفير عن خطيئة آدم ؟

٢ — يقرر المسيحيون أن نزول ابن الله وصلبه كان ضرورياً للتكفير عن خطيئة البشر . فليت شعرى كيف ضاقت الأمور على رب البشر فى نظرهم حتى استحال عليه أن يجد طريقاً آخر ووسيلة أخرى من الممكن

---

(١) قصص الأنبياء — للأستاذ المرحوم الشيخ عبد الوهاب النجار .

بواسطتها أن يغفر بها خطيئة البشر ، بدلا من هذه الصورة القاسية لمن يزعمون أنه ابنه ، تلك الصورة التى زادت بها خطايا البشر . فهل يعقل أن يعالج المرض بمرض أخطر منه ؟ أليس أولى بحكمة الله أن يقول للعصاة غفرت لكم بدل هذه التمثيلية البشعة .

٣ — وإذا كانت عملية الصلب والفداء بهذا الوصف عملا تمثيلياً فى نظر المسيحيين للتكفير عن خطيئة البشر ، فلماذا يبغض المسيحيون اليهود ويرونهم آثمين معتدين على المسيح .

يقرر المسيحيون فى تعليل هذه الفكرة أن ذرية آدم لزمهم العقاب بسبب خطيئة أبيهم آدم ، لكن يرد على ذلك بأن إلزام الأحفاد بأخطاء الأجداد أمر لا تقره العقول ولا تسمح به القوانين التى وضعها البشر ، ولا تقره الشرائع السماوية ، فكيف استساغوا هذه السفسطة الفارغة ؟ إن الكتاب المقدس فى سفر التثنية إصحاح ٢٤ عدد ١٦ ينص على أنه لا يقتل الآباء عن الأولاد ولا يقتل الأولاد عن الآباء، كل إنسان بخطيئته يقتل . كما ورد فى سفر حزقيال إصحاح ١٨ عدد ٢٠ . النفس التى تخطئ هى تموت ، الابن لا يحمل من إثم الأب ، والأب لا يحمل من إثم الابن ، بر البار عليه وشر الشرير عليه يكون . وهذا هو الذى جاء فى القرآن الكريم دستوراً للعدالة الإلهية (كل امرىء بما كسب رهين)(١) (ولاتزر وازرة وزر أخرى)(٢) .

والمبدأ العام المعترف به فى الديانات جميعاً وفى القوانين الوضعية وعرف جميع الناس أنه لا يورث عن الآباء سوى ثرواتهم ، أما جرائمهم فلا تورث عنهم ولا تؤاخذ بها ذرياتهم . ويترتب على ذلك ما يلى :

(ا) أنه لا علاقة لذرية آدم بخطيئة آدم طبقاً لما أوردته عقيدة الفداء عن النصارى بأن المسيح قتل وصلب كفارة عن خطيئة آدم وذريته ، إذ لا شأن لذرية آدم بما ارتكبه آدم تطبيقاً لما ورد فى سفر التثنية وسفر حزقيال

(١) سورة الطور ٢١
(٢) سورة الإسراء ١٥

السابق الإشارة إليهما . وتطبيقاً لبداثه العقول وأعراف الناس وقوانينهم . كما لا يعقل أن يعرض ابن الله نفسه ليقتله من يريد الغفران لهم ، فيزيد بذلك خطاياهم ، ولا يقبل أن يكون ذلك هدفاً للمسيح ، وهو الذى وصفوه بأنه شكا لأبيه أنه تركه ليقتل (١) .

(ب) والنتيجة الثانية ، فساد القول بالمعمودية التى يقول عنها النصارى أنها تطهر المصطبغ بها من خطيئة آدم (وهو ما سيأتى الكلام عنه فيما بعد) إذ لا شأن لذرية آدم بما ارتكبه أبوهم من خطيئة .

٤ — إذا كانت الكلمة قد تجسدت لمحو الخطيئة الأصلية ، فما العمل فى الخطايا التى تجد بعد ذلك ، ومنها ما هو أقسى من عصيان آدم ، حتى لقد أنكر البعض وجود الله سبحانه وهاجمه آخرون وسخروا من جنته وناره ، فلماذا كانت حكاية التجسد لخطيئة واحدة ثم تركت باقى خطايا البشر التى لا تعد ولا تحصى .

٥ — ادعى المسيحيون أن صلب المسيح كان لتحقيق العدل والرحمة ، وأى عدل وأى رحمة فى تعذيب شخص غير مذنب وصلبه ؟ فإن قالوا أنه قبل ذلك نجد أن ما ورد بالأناجيل عكس هذا القول ، فقد جاء فى إنجيل متى إصحاح ٢٧ عدد ٤٦ (ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا : إيلى إيلى لم شبقتنى ، أى إلهى لماذا تركتنى ؟) .

٦ — إذا كان المسيح ابن الله فأين كانت عاطفة الأبوة ؟ وأين كانت الرحمة حينما كان الابن الوحيد يلاقى دون ذنب ألوان التعذيب والسخرية ثم الصلب مع دق المسامير فى يديه ؟

٧ — إن من المسلم به فى جميع الشرائع أن تتناسب العقوبة مع الذنب فهل تتناسب واقعة الزعم بصلب المسيح على هذا النحو مع الخطيئة التى ارتكبها آدم أبو البشر . إن كل خطيئة آدم التى أحال عليها المسيحيون عملية قتل المسيح وصلبه لم تعد أن تكون أكلا من شجرة نهى عنها ، وثبت بنص الكتب المقدسة أن الله عاقبه عليها بإخراجه من الجنة ، ولا شك أنه عقاب

---

(١) حيث قال : إيلى إيلى لم شبقتنى ؟ . أى إلهى إلهى لماذا تركتنى لأعدائى ليقتلونى كما سيأتى بيانه .

كاف ، فالحرمان من الجنة والخروج إلى الكدح والنصب عقاب ليس بالهين ، وهذا العقاب قد اختاره الله بنفسه وفى وقته وحينه ، فكيف يستساغ أن يظل سبحانه مضمراً السوء غاضباً آلاف السنين حتى وقت رسالة المسيح . وهنا فقط ينتهى الغضب بحادثة صلب ابنه .

٨ — إن السيد عبد الأحد داود ، وكان أسقفاً مسيحياً قبل إسلامه ، ينتقد فكرة التكفير فيقول : إن من العجب أن يعتقد المسيحيون أن هذا السر اللاهوتى وهو خطيئة آدم وغضب الله على الجنس البشرى بسببها ظل مكتوماً عن كل الأنبياء السابقين ولم تكتشفه إلا الكنيسة بعد حادثة الصلب(١) .

٩ — إن قيل أنه بواسطة نظرية الخلاص خلص النصارى من محن الدنيا ومشاغلها ، فما بالنا نراهم مثل جميع البشر يجرى عليهم كل ما يجرى على غيرهم من معتنقى الديانات الأخرى ، من سعى على الرزق وإصابتهم بالهموم والأمراض والموت .

١٠ — فإن قيل أنهم خلصوا من الذنوب والخطايا فلا صحة لذلك ، لأنهم يتلون فى عباداتهم وصلواتهم فى الصباح والمساء (واغفر لنا ذنوبنا) .

١١ — وإن قيل أن هذا الخلاص كان خلاصاً لهم من حساب الآخرة ، فلا صحة لذلك،لأنهمكتوب فى إنجيل متىإصحاح٢٥عدد٣١ومابعدها أنهم سيحشرون يوم القيامة ويقفون موقف الحساب ، وهناك يفرز الله الناس ويفصل الأبرار من الأشرار فيأمر بالأبرار إلى الجنة والأشرار إلى الهاوية (أى النار) . والعجيب أن الكنيسة خرجت من هذا المأزق الحرج بتفسير عجب ؛ إذ قررت أن هذه المصالحة التى تمت بين الله وبين البشر لا تعنى أنه لا تثريب على البشر فى الخطأ والعصيان ، لأن تلك المصالحة تمت لحساب الكنيسة ، فجسد المسيح ودمه الذى يكفر عن الذنوب والخطايا محفوظ عند الكنيسة ، وهى وحدها التى توزعه على من تعطيه فيصبح من الناجين ، أما من تحرمه الكنيسة فلا تعطيه جسد المسيح أو دمه ، فيصبح من الهالكين

---

(١) كتاب الإنجيل والصليب للأب عبد الأحد داود الآشورى العراقى .

فى الدنيا ، يحرق بالنار عندما تصدر عليه الكنيسة عقوبة الحرمان فضلا عن حرقه فى نار الآخرة بعد ذلك .

ما هى النتيجة التى ننتهى إليها من هذه المناقشة ؟ : —

النتيجة من كل ذلك أنه لا فداء ولا خلاص بهذه المفاهيم التى لدى المسيحيين ، بل الصواب ، بل الحق أن الخلاص كل الخلاص هو الخلاص من الشرك بالله وتصحيح الاعتقاد السائد لديهم والاتجاه إلى اعتقاد سليم ، وهو أن الله واحد لا شريك له ، وأن المسيح هو عبد الله ورسوله، دعا إلى التوحيد الخالص الذى أمر الله به فى كتبه المنزلة مصداقاً لما حكاه عنه إنجيل يوحنا فى الإصحاح ١٧ عدد ٣ « وهذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك ، ويسوع المسيح الذى أرسلته » فلم يشهد لنفسه إلا بالرسالة فقط ، أما عن الله فشهد له بالوحدانية الخالصة كما أنه لا يتحقق الخلاص إلا بالإيمان برسالة النبى محمد ﷺ الذى بشر به السيد المسيح ، ودعا قومه إلى أن يسارعوا إلى الإيمان به عند ظهوره(١)، فهو الذى طهر العقائد من الشرك فى جميع صوره وبرأ الأنبياء من دعوة الناس إلى عبادتهم وذلك فى قوله تعالى : —

« ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لى من دون الله ، ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون »(٢) .

ولا يفوتنا بهذه المناسبة أن نلقى الضوء على واقعة هامة مرتبطة بنظرية الخلاص أيضاً ، وهى : هل يشير الكتاب المقدس إلى وقوع الصلب على شخص خلاف المسيح مع حفظ السيد المسيح نفسه ؟ .

١ — إن شراح الكتاب المقدس يقررون أن المزمور ١٠٩ يحكى قصة يهوذا مع المسيح ، وهذا من جانبهم استلهموه وفهموه من سفر الأعمال

---

(١) كتاب محمد نبى الإسلام فى التوراه والأنجيل والقرآن .
(٢) سورة آل عمران: ٧٩

الذى ورد به على لسان بطرس إثر حادثة الصلب وهو يخاطب زملاءه من تلاميذ المسيح إصحاح ١ عدد ١٦ ، عدد ٢٠ :

« أيها الرجال الإخوة ، كان ينبغى أن يتم هذا المكتوب الذى سبق الروح القدس فقاله بفم داوود عن يهوذا لأنه مكتوب فى سفر المزامير ، لتصر داره خراباً ولا يكن فيها ساكن » .

لكن ماورد فى المزمور ١٠٩ على لسان داوود الذى أشار إليه بطرس هو الآتى :

١ — (يا إله تسبيحى لا تسكت لأنه قد انفتح على فم الشرير وفم الغش) وفى عدد ٧ (إذا حوكم فليخرج مذنباً وصلاته فلتكن خطية) وفى عدد ٩ (ليكن بنوه أيتاماً وامرأته أرملة) وفى عدد ٢١ — (أما أنت يارب السيد فاصنع معى من أجل اسمك لأن رحمتك طيبة نجنى) . وفى عدد ٢٦ (أعنى يارب إلهى خلصنى حسب رحمتك) .

فقول داوود (إذا حوكم يخرج مذنباً) يدل على من أمسكه اليهود وحاكموه ، فهل يليق أن ينطبق لفظ المذنب على المسيح مع أنه لم يكن مذنباً قط . وقد فسر ذلك أجمل تفسير ما ورد فى عدد ٩ من أن المذنب له بنون وامرأة والمسيح لم يكن له امرأة ولا بنون . وصفوة القول أن ما ورد فى هذا المزمور دليل قوى على أن من حوكم ليس المسيح ، بل شخص مذنب له امرأة وبنون ، وهذا ينطبق على يهوذا (تلميذ المسيح الخائن الذى وشى به عند أعدائه من اليهود) .

٢ — ورد فى إنجيل يوحنا إصحاح ١٨ عدد ٣ :

« فأخذ يهوذا الجند وخداما من عند رؤساء الكهنة والفريسيين ، وجاء إلى هناك بمشاعل ومصابيح وسلاح ، فخرج يسوع وهو عالم بكل ما يأتى عليه ، وقال لهم : من تطلبون ؟ أجابوه : يسوع الناصرى . قال لهم يسوع : أنا هو . وكان يهوذا مسلمة أيضاً واقفاً معهم ، فلما قال لهم إنى أنا هو رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض ، فسألهم أيضاً : من تطلبون ؟ فقالوا : يسوع الناصرى ، أجاب يسوع : قد قلت لكم إنى أنا هو » .

فيستخلص من هذه القصة الآتى :

(أ) أن الله تعالى أمسك أعينهم ومن ضمنهم يهوذا الخائن عن معرفة السيد المسيح ، لذلك كانوا يجيبون السائل دون أن يعرفوه بأنهم يطلبون يسوع الناصرى ، فلم يقولوا نطلبك أنت لأن هذا السائل لهم كان يسوع نفسه.

(ب) ورد بهذه القصة أن المسيح لما قال لهم أنه هو سقطوا على الأرض دون أن يكون هناك سبب لهذا السقوط ؛ مما يفهم منه أن هذا السقوط منهم على الأرض ومعهم مشاعلهم ما جرى وما كان إلا لأمر قضاه الله فى تلك الساعة ،وهو نجاة المسيح من كيدهم تصديقاً لما كتب عنه فى المزامير وهو المزمور ٩١ عدد ١١ « يوصى ملائكته بك لكى يحفظوك فى كل طرقك ، على الأيدى يحملونك لئلا تصدم بحجر رجالك » .

٣ — ذكر المستشرق الإنجليزى جورج سيل فى ترجمته للقرآن الكريم فى سورة آل عمران أن السبرنتيين ، وكذلك الكربوكراتيون ، وغيرهم من قدماء فرق النصارى كانوا يعتقدون أن المسيح نفسه لم يصلب ، وإنما صلب واحد آخر من تلاميذه كان يشبهه تماماً .

وكلام هذا المستشرق يدل على أن صلب أحد تلاميذ المسيح بدلا عن المسيح كان أمراً شائعاً ، وأن فرقاً من النصارى كانت على هذا الاعتقاد حتى قضى عليها عندما انعقد المجمع المسكونى فى أوائل القرن الرابع الميلادى ، سنة ٣٢٥ بمدينة نيقية ، وقرر عقيدة الصلب وصيغتها ، وسماها شريعة الإيمان وجعلها اعتقاداً وعقيدة .

الأساس الحقيقى الذى استقيت منه قصة الصلب :

١ — إن فكرة الصلب للتكفير ليست من المسيحية التى جاء بها السيد المسيح فى شىء ، ويبدو أنها وردت إلى المسيحية التى جاء بها بولس عن عقائد أخرى ، وبخاصة عقيدة الهنود البراهمة ، فهى معتقد سائد عندهم قبل السيد المسيح بمئات السنين ، فهم يعتقدون أن كرشنا المولود البكر الذى هو نفس الإله فشنو الذى لا ابتداء له ولا انتهاء . تحرك حنوا كى يخلص الأرض من ثقل حملها فأتاها وقدم نفسه ذبيحة عن الإنسان ، ويصورونه

مصلوباً مثقوب اليدين والرجلين ، ويصفون كرشنا لذلك بالبطل الوديع المملوء لاهوتاً ، لأنه قدم نفسه ذبيحة من أجل البشر .

٢ — وفى بلاد النيبال والتبت يعتقدون أن إلههم (اندار) سفك دمه بالصلب وثقب بالمسامير لكى يخلص البشر من ذنوبهم ، وأن صورة الصلب موجودة فى كتبهم .

٣ — والمعتنقون للديانة البوذية يرون أن بوذا تجسد فى الناسوت وقدم نفسه ذبيحة ليكفر ذنوب البشر ومن ثم يسمونه المخلص والابن .

٤ — وهذه الفكرة كانت سائدة أيضاً قبل ميلاد المسيح بأزمنة سحيقة(١) إذ وجدت فى ديانة اليونان فى أبولو وديانة متراس التى جاءت إلى الرومان من بلاد الفرس ، كما جاءت فى ديانة ديونيسوس .

(أ) فكان فى ديانة أبولو ديانة اليونان (الراعى الصالح) يحمل الحمل الصغير كميتر ، وهرمس ، وكل منهما أخذ لقب إله وخالق وديان العالم .

(ب) وأم المسيح يسميها النصارى أم الله التى حملت ابنها وهى صورة من العذراء إيزيس التى حملت طفلها على ذراعيها ؛ كما أن أليتا Alita الآلهة السورية كانت تحمل طفلها ، أى أن الفكرة كانت سائدة فى ديانة المصريين القدماء والسوريين القدماء .

ثالثاً : المسيح وهو الابن يحاسب الناس على خطاياهم دينونة عادلة لأن الإله الأب ترك له ذلك : يعتقد المسيحيون أن المسيح بعد صلبه وموته قام من قبره وارتفع إلى السماء حيث جلس بجوار الأب على كرسى استعداداً لاستقبال الناس يوم الحشر ليدينهم على ما فعلوا دينونة عادلة ، وإن الإله الأب أعطى سلطان الحساب للإله الابن ، لأن الإله الابن بالإضافة إلى

---

(١) انظر (مصادر المسيحية وأصول النصرانية) رسالة لاهوتية: تأليف الأستاذ محمد أفندى حبيب .

ألوهيته وأبديته ابن للإنسان أيضاً فهو أولى بمحاسبة الإنسان . فأين هذا من دعواهم أنه قدم دمه ليخلص البشر من آثامهم .

ما هو أساس هذا الاعتقاد عند المسيحيين :

١ — أورد بولس فى رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس إصحاح ٥ عدد ١٠ قوله : (لابد أننا جميعاً نظهر أمام كرسى المسيح لينال كل واحد ما كان بالجسد بحسب ما صنع خيراً كان أم شراً) .

٢ — جاء فى رسالة بولس إلى أهل أفسس الإصحاح الأول عدد ٢٠ ، ٢٢ قوله عن المسيح :

(إذا أقامه من الأموات وأجلسه عن يمينه فى السماويات فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة وأخضع كل شىء تحت قدميه) .

٣ — جاء فى رسالة بولس إلى أهل رومية إصحاح ١٤ عدد ١ قوله : (لأننا جميعاً سوف نقف أمام كرسى المسيح) .

٤ — وجاء فى إنجيل يوحنا إصحاح ٥ عدد ٢٢ قوله : (الآب لا يدين أحداً بل قد أعطى كل الدينونة للابن) .

٥ — كما يروى يوحنا فى إنجيله عن المسيح فى نفس الإصحاح السابق عدد ٣٠ : (كما أسمع أدين ودينونتى عادلة) .

مناقشة فكرة الحساب بمعرفة المسيح :

إن هذه الفكرة عند المسيحيين مبنية على أن المسيح إله ، وهو أساس باطل ، قرره مجمع مسكونى هو مؤتمر نيقية بسيف القهر والسلطان والجبروت ، وتهدم هذه الفكرة من أساسها إذا تبين لدى المسيحيين زيف قرار مجمع نيقية الذى جعل من المسيح وهو بشر آدمى إلهاً ، وإذا ما تكشف لهم ذلك واستبان لهم أنه لم يكن له الحق أن يحاسب أو يدين ، لأن هذا من شأن الله سبحانه وتعالى فقط دون أحد من الخلق .

فكرة حساب الخلق على ضوء ما جاء به الإسلام (١) :

إن الشرع الإسلامى فى هذا الموضوع يجعل الرسل شهوداً على أقوامهم أمام الله سبحانه وتعالى ، فإذا قارنا هذا بالتفكير المسيحى تجده متقارب الأصول من حيث إن كل نبى يحضر محاسبة قومه ويعلن أمام الله جل جلاله أنه بلغهم ما أمر به ، ولكن الحكم النهائى فى اعتقاد المسلمين لله العلى العظيم ، والحكم فى اعتقاد المسيحيين للمسيح ، وسبب هذا الانحراف فى التفكير المسيحى هو ما يتخيله المسيحيون دائماً من شركة بين الله العظيم وبين المسيح . وهذا الخيال المريض لم يجعل المسيحيين يقنعون بالتفكير الذى يقضى بأن الحكم لله وحده ، وأن الرسل شهداء على أقوامهم ، بل وضعوا المسيح على كرسى بجوار الله وحكموا له أنه هو الذى سيحاسب ويدين ، وأن الله تنازل له عن هذا السلطان ، لأن المسيحيين فى كثير من الأحيان لا يقنعون بمساواة المسيح لله (مع أنها باطلة) بل يحاولون أن يرتفعوا به إلى غاية أخرى وهى سبق الابن للآب وهو تفكير ينم عن الغفلة والسذاجة والعقم العقلى .

عقيدة القيامة :

١ — تتصل عقيدة القيامة بعقيدة سلطان الابن على حساب الناس ، وأنه ما ارتفع إلى السماء حيث جلس بجوار الأب على كرسى استعداداً لدينونة الناس إلا بعد صلبه وموته ثم قيامته من قبره .

٢ — هذه العقيدة جاءت من الديانات القديمة كالمصريين القدماء ، فكما زعم قدماء المصريين أن (أوزوريس) إلههم دفن فى قبره ثم عاد إلى الحياة ثانية ، يزعم المسيحيون أن المسيح مات ودفن ثم قام من بين الأموات ، وكان عملهم لرموز القيام من القبر لعيسى يشبه عمل قدماء المصريين لرموز القيام من القبر لإلههم ، ومن مصادر المسيحيين فى عقيدتهم عقيدة قدماء الرومان فى إلههم (رملس) فقد زعموا موته وقيامه من قبره قبلهم فتأثروا بهم .

---

(١) المسيحية — مقارنة الأديان — للدكتور أحمد شلبى .

٣ — وقد أشار إلى تلك الأسرار جوستنوس الشهيد وتوثوليانوس حيث فسراها تفسيراً باطنياً .

٤ — اعترف اللاهوتيون المدققون بأن هذه الشعائر جميعاً بتفسيرها ورموزها منقولة بالحرف الواحد عن المصريين القدماء ، وعن الميترايزاميين وعن الهندوكيين البراهمة ، وعن البوذيين . ودللوا على ذلك بما وجدوه على آثارهم المنقولة فى دور الآثار المختلفة فى لندن وباريس وبرلين والقاهرة .

٥ — ولقد جاء فى دائرة المعارف لشمبير أن القيامة المسيحية جاءت إليهم من الفرس ، لأن الإسرائيليين لم يعرفوها إلا منهم ، وهذا ما يؤيد ما ذكرته السيدة (أنى بزنت) من أن الإسرائيليين أخذوا كثيرا من تعاليم ديانة زرادشت وقت سبيهم هناك (١) .

تقديس الأبطال والزعماء حتى فى الوقت الحاضر :

إن ما فعله النصارى بالمسيح وتقديسه فعله غيرهم مع الأنبياء والحكماء والقادة والزعماء . فعلوه مع بوذا فى الهند ، وفعلوه مع الحكيم كونفوشيوس فى الصين ، ومع زرادشت فى فارس ، ومع برومنيوس فى اليونان . بل إن اليابانيين فى الوقت الحاضر يقدسون إمبراطورهم ، ويؤلهونه ويدعونه ابن السماء ، والصينيون يؤمنون حالياً بتعاليم ماوتسى تونج إلى درجة تقديسها وتقديس واضعها ، فكانوا يقفون طوال الليل أمام قصره حتى بزوغ الفجر ينتظرون خروجه ليشرق عليهم كما تشرق الشمس ، ويحملون كتابه الأحمر فى غدوهم ورواحهم وفى ملابسهم ومنازلهم أكثر مما يحمل أتباع الله كتبهم المقدسة ، مما يرجح معه القول بأنه بعد موت ذلك الزعيم سيعبدونه كما عبد أسلافهم كونفوشيوس من قبل (٢) .

* * *

(١) كتاب مصادر المسيحية وأصول النصرانية — تأليف محمد أفندى حبيب .
(٢) كتاب مقارنة الأديان المسيحية للدكتور أحمد شلبى وكان المسيح إنسان أم اله للدكتور محمد مجدى مرجان .

الفصل الثانى

شعائر النصرانية

هذه الشعائر وإن كانت لازمة للمسيحى ومفروضاً عليه القيام بها لكنها لا تسمو إلى مكانة العقائد السابق الإشارة إليها ، فإنه بدون تلك العقائد لا يسمى الشخص المسيحى مسيحياً .

وقد تأثرت طريقة أداء بعض هذه الشعائر بطريقة القسم الذى كان يحلفه الجندى الرومانى قبل انخراطه فى سلك الجيش .

فكما لزم أن يؤدى القسم فى حضرة ممثل الجيش ، فإن التعميد مثلا يلزم أن يؤدى بواسطة ممثل الكنيسة .

كما يلزم كذلك أن يقدم الخبز والخمر فى العشاء الربانى بواسطة آباء الكنيسة .

وشعائر النصرانية على وجه التفصيل : هى ما تقوم به الكنيسة من طقوس وإجراءات ، لأن الكنيسة فى مفهوم المسيحيين العام هى المسيح نفسه ، إنها جسده ولحمه ودمه استناداً إلى ما جاء فى إنجيل يوحنا الإصحاح ٦ عدد ٥٣ على لسان المسيح فقال لهم يسوع : الحق أقول لكم إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم . من يأكل جسدى ويشرب دمى فله حياة أبدية ، وأنا أقيمه فى اليوم الأخير ، لأن جسدى مأكل حق ودمى مشرب حق ، من يأكل جسدى ويشرب دمى يثبت فى وأنا فيه .

فالمسيحيون بهذا النص هم من جسد المسيح الذى فى اعتقادهم هو الله الحى ، وما دامت عملية الفداء قد تمت لحساب الكنيسة فهى وحدها القادرة على أن تمد المؤمنين بجسد المسيح ودمه ؛ ولذا كان للكنيسة ، وخصوصاً

الكنيسة الأوربية فى العصور الوسطى سلطان ضخم على شئون المسيحيين ، فهى وحدها الحياة والجنة والنعيم ، وخارج الكنيسة الموت والجحيم (١) .

١ — التعميد :

كان التعميد موجوداً عند اليهود ، قبل المسيحية ، ولكنه كان بمفهوم آخر هو غسل الجسد ، وكان النبى يحيى يعمد الناس فى نهر الأردن ، أى يغسل أجسادهم ، ولذلك سمى يوحنا المعمدان (أى يحيى المغسل) وثابت من الأناجيل المتداولة أن يوحنا المعمدان قام بتعميد المسيح .

وقت التعميد :

لم يتفق المسيحيون على وقت معين للتعميد .

(أ) فبعضهم يعمد الشخص فى طفولته حتى ينشأ الطفل المسيحى مبرأ من الذنوب وهذا هو الغالب .

(ب) وبعضهم يعمده فى أى وقت من حياته .

(ج) والبعض الآخر يجرى التعميد والشخص على فراش الموت بحجة أن التعميد إزالة للسيئات وتطهير من الذنوب .

وهذا هو ما حدث بالنسبة إلى قسطنطين إمبراطور الرومان حامى المسيحية وهو على فراش الموت .

نصوص التعميد : جاء فى إنجيل متى إصحاح ٢٨ عدد ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ : فتقدم يسوع وكلمهم قائلا « دفع إلى كل سلطان فى السماء وعلى الأرض ، فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس ، وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به » وهذه الوصية جاءت منه بعد

---

(١) أبحاث للأستاذ أحمد حسين المحامى . بمجلة الوعى الإسلامى أكتوبر سنة ١٩٦٧ ، يناير سنة ١٩٦٨ .

قتله وصلبه (١) ؛ أى أنها رؤيا عنه ولم ترد عنه وقت حياته إلى تلاميذه فهى من قبيل الرؤى والأحلام مما يدعو إلى الشك وعدم الاطمئنان إليها فضلا عن عدم الثقة بصحة كتبهم كما ذكرناه من قبل .

طريقة التعميد :

هى رش الماء على الجبهة أو غمس أى جزء من الجسم فى الماء ، ويكثر أن يغمس الشخص كله فى الماء ، وكل ذلك بمعرفة كاهن يعمد الشخص المسيحى باسم الآب والابن والروح القدس ، أما فى حالات الضرورة فيجوز أن يقوم بالتعميد غير الكهنة ويسمى تعميد الضرورة .

وكنيسة الأقباط بمصر تلزم أن يكون التعميد بالتغطيس ثلاث مرات : المرة الأولى باسم الآب ، والثانية باسم الابن ، والثالثة باسم الروح القدس ، ولا تجيز التعميد بالرش إلا للضرورة .

مقصود المسيحيين من التعميد ومناقشته :

مقصود التعميد فى المسيحية يغاير مفهومه فى اليهودية ، ويعتقدون أنها ختم عهد النعمة وسرها كما كان الختان فى الشريعة الموسوية ،وأنها تمحو الخطيئة الأصلية فى النفس وتلدها ثانية ، وتعطى صاحبها حرية ومقدرة على فعل الخير ، وكما قدمنا فى مناقشة نظرية الفداء ، وهى نظرية قتل المسيح وفدائه للبشر أن المبدأ العام أن الوراثة الشرعية لا تكون إلا فى الماديات ، بمعنى أن يرث الابن أباه فى تركته المادية أما الأعمال النفسية فلا وراثة فيها ، فإذا قتل شخص إنساناً ما فالقصاص يقع على القاتل لا على ابنه أو أبيه طبقاً لما هو وارد فى سفر التثنية وسفر حزقيال بالعهد القديم ، وبتطبيق هذه القاعدة كما قدمنا يتبين فساد القول بالمعمودية وهو تطهير المصطبغ بها من خطيئة آدم الأصلية ، إذ لا شأن لذرية آدم بما ارتكبه أبوهم من خطيئة فضلا

---

(١) فى اعتقادهم ، أو بعد رفعه فى اعتقادنا .

عن أن خطيئة آدم قد غفرت له بالتوبة ، فان الله يتوب على كل من تاب ، وهذا مبدأ مقرر فى جميع الرسالات .

من أين جاءت المعمودية للمسيحية :

يقول الأستاذ محمد مجدى مرجان أن سر المعمودية أخذته الكنيسة من يوحنا المعمدان ، فكما كان يحيى يعمد الناس فى نهر الأردن ليتطهروا من الدنس والإثم ، صار العماد بالماء أهم شعائر الكنيسة ، فبمجرد ولادة الطفل يحضره والداه إلى الكنيسة لتعميده ، وإلا ظل كافراً ، فبالعماد فقط يصير الإنسان مسيحياً ، وطريقة العماد فى الكنائس هى نفس طريقة يوحنا ، صنعوا بئراً أو بركة صغيرة فى كل كنيسة على غرار نهر الأردن الذى كان يعمد يوحنا الناس فيه ، وملأوا البركة بالماء ، فإذا احتاجوا لتعميد شخص لتنصيره سواء كان طفلا حديث الولادة ولد لأبوين مسيحيين أم كان رجلا أو امرأة اعتنقت المسيحية حديثاً ، فإنه يخلع ملابسه ويصير عارياً كما ولدته أمه ، ثم يأتى الكاهن ومساعده ويحملونه ويضعونه داخل البئر ويقومون بتغطيسه بأكملة ثلاث مرات فى البحيرة حتى يتطهر من دنس الحمل وخطيئة الميلاد ويصير مباركاً (١) .

١ — ولكن الظاهر أن المعمودية بمفهوم المسيحية وردت إليها من أهل فارس الهنديين ، الذين قبل الرومانيون تعاليمهم قبل المسيح بمقدار ٦٨ سنة ، بواسطة بعض لصوص البحر من السلتينيين الذين أسرهم بومبى . فنشروا أفكارهم فى سائر أنحاء الإمبراطورية ، وتوجد لهم آثار نادرة فى المتحف البريطانى وغيره من المتاحف الأوروبية (٢) .

٢ — العشاء الربانى — أو التناول :

ويرمز إلى عشاء عيسى الأخير مع تلاميذه وحوارييه إذ اقتسم معهم

---

(١) كتاب (المسيح إنسان أم إله) — للأستاذ محمد مجدى مرجان .
(٢) كتاب (مصادر المسيحية وأصول النصرانية) تأليف محمد أفندى حبيب .

الخبز والتبيذ ، والخبز يرمز إلى جسد المسيح الذى كسر لنجاة البشرية ، أما الخمر فيرمز إلى دمه الذى سفك لهذا الغرض أيضاً .

وفى العشاء الربانى يستعمل قليل من الخبز وقليل من الخمر لذكرى ما جرى وفعل بالمسيح ليلة القبض عليه وموته ، حتى يكون هذا طعاماً روحياً للمسيحيين ؛ تطبيقاً لاعتقادهم أن من أكل الخبز وشرب هذه الخمر استحال الخبز إلى لحم المسيح والخمر إلى دمه فيحدث الامتزاج بين الآكل وبين المسيح وتعاليمه .

الأساس الذى يستند إليه العشاء الربانى عند المسيحيين :

١ — ما جاء فى إنجيل يوحنا فى الإصحاح السادس عدد ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ومضمونها قول عيسى : والخبز الذى أنا أعطى هو جسدى الذى أبذله من أجل حياة العالم ، من يأكل جسدى ويشرب دمى يثبت فى وأنا فيه ، فمن يأكلنى فهو يحيا بى ، والخبز الذى أنا أعطى هو جسدى الذى أبذله من أجل حياة العالم .

« فقال لهم يسوع الحق أقول لكم إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم . من يأكل جسدى ويشرب دمى فله حياة أبدية ، وأنا أقيمه فى اليوم الأخير لأن جسدى مأكل حق ودمى مشرب حق » .

٢ — ما جاء فى رسالة بولس لأهل كورنثوس الأولى إصحاح ١١ عدد ٢٣ إلى ٢٦ عن العشاء الربانى وهو ما يلى :

(إن الرب يسوع فى الليلة التى أسلم فيها أخذ خبزا — وشكر فكسر وقال خذوا كلوا ؛ هذا هو جسدى المكسور لأجلكم ؛ اصنعوا هذا لذكرى) .
كذلك أعطاهم قليلا من الخمر وقال (كذلك الكأس أيضاً بعد ما تعشوا قائلا هذه الكأس هى العهد الجديد بدمى اصنعوا هذا كلما شربتم لذكرى فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب إلى أن يجىء)
والعشاء الربانى عادة أخذتها المسيحية عن الأديان السابقة للمسيحية طبقاً لما سيأتى فى باب المقارنات بين المسيحية وبين الأديان الوثنية .

٣ — الاعتراف الذى يتبعه غفران الذنب والتوبة :

وهو أن المذنب يذهب إلى الكاهن فيبوح له بما اقترفه من ذنوب ، فيحصل منه على المغفرة بعد ذلك ، وكان الاعتراف يتكرر عدة مرات مدى الحياة ، ولكنه منذ سنة ١٢١٥ م أصبح لازما مرة واحدة على الأقل ، ويستندون فى ذلك إلى ما ورد فى إنجيل يوحنا فى الإصحاح ٢٠ عدد ٢٢ وما بعده منسوباً إلى المسيح بعد قتله وصلبه فى اعتقادهم ثم ظهوره لهم بعد ذلك يوصيهم بقوله — كما زعموا — ولما قال هذا نفخ وقال لهم (اقبلوا الروح القدس،من غفرتم خطاياه تغفر له ، ومن أمسكتم خطاياه أمسكت) فهذه الوصية لم ترو عن المسيح فى حياته التى لازم فيها تلاميذه ، بل جاءت فى الرؤيا عنه بعد ذلك ، مما يدعو إلى الشك وعدم الاطمئنان إليها لأنها من قبيل الرؤى والأحلام .

٤ — حضور القسيس عند الموت :

يحضر الكاهن ويتلو صلاة القنديل ، ثم يدهن المريض بالزيت المقدس ، وبخاصة أعضاء الحواس والصلب والأقدام .

٥ — حضور القسيس عند الزواج :

لا يتم الزواج إلا بمعرفة الكنيسة أى بحضور القسيس ، لذلك يسمى الرباط المقدس ، الذى لا ينفصم ، أما الزواج الذى يتم خارج الكنيسة فهو علاقة آثمة لأن الكنيسة لا تعترف به . أما حضور القسيس فيضفى الشرعية على الزواج ، ليقيم وحدة بين الرجل والمرأة .

والأصل فى المسيحية أن يترهب الناس رجالا ونساء ، ولكن لما كان ذلك غير ممكن أجيز الزواج ، وكان تعدد الزوجات معمولا به فى مطلع المسيحية ، تبعاً لشريعة اليهود التى تجيز التعدد ، ولكن توفيقاً بين اتجاه المسيحية للرهبنة ، وبين ضرورة الزواج خوف الزنى ، جعل المسيحيون الزواج مباحاً من واحدة فقط ، ولا يجوز الطلاق إلا فى حالة الزنى (بعكس

اليهودية التى تجيز الطلاق بدون زنا) فإذا تم طلاق بسبب الزنى ، لا يجوز لأى من هذين الزوجين أن يتزوج مرة أخرى ، أما إذا كان الفراق بالموت فإن الحى يجوز له أن يتزوج ، كما يجوز الطلاق إذا كان أحد الزوجين غير مسيحى ، والآخر مسيحياً ولم تنجح الألفة بينهما .

٦ — المـــيرون :

يرى المسيحيون أن روح القدس تحل على المسيحى الذى نال نعمة المعمودية المقدسة عندهم ، وهذه النعمة غير المنظورة تمنحها الكنيسة على يد كهنتها ، بمسح المؤمن بدهن الميرون المقدس ، تشبها بالحنوط والطيب الذى دهن به جسد المسيح عند دفنه بزعمهم ، وقد اقتسمها الرسل بعد قيامة المسيح وتوارثها آباء الكنيسة عن الرسل — كما يقولون — .

والميرون مزيج من العقاقير عليه بقايا تحدرت — كما يدعى رجال الكهنوت — من الدهن الذى صنعه الرسل ، ولا يمسح بالميرون إلا الكهنة .

٧ — الكهنوت :

معناه السر الذى يحصل الإنسان به على النعمة التى تؤهله لأداء رسالة المسيح بين البشر ، فيعين بين الكهنة ، فهو خلافة رسولية أخذها الآباء الأولون عن الرسل أنفسهم ، ويسلمونها لمن بعدهم ، والرسل هم الذين أخذوا هذا السر المقدس من المسيح ، وكذا الأسرار الستة الأولى (١) .

أساس هذا الســــر :

ورد فى إنجيل متى إصحاح ١٨ عدد ١٨ :

الحق أقول لكم ما تربطونه على الأرض يكون مربوطاً فى السماء ، وكل ما تحلونه على الأرض يكون محلولا فى السماء .

---

(١) بحث للأستاذ أحمد حسين المحامى — مجلة الوعى الإسلامى — أكتوبر سنة ٦٧ ، يناير سنة ٦٨ .

ويعنى ذلك عندهم أن المسيحية تعطى للرؤساء الروحانيين سلطة تشبه سلطة الإله وتجعل قولهم يلزم أن يتبعه الناس ، ويلزم أن يتبعه الله .

فإذا قال الرئيس الكهنوتى لشخص أنه ليس بمسيحى صار كذلك ، وإذا قال أنه مسيحى كان مسيحياً ، فليس المعتقد حرا فى اعتقاده بحيث يتصرف فى معارفه كما يرشده عقله بل إنه مشدود بشفتى رئيسه الدينى (١) .

يقول المطران المسيحى عبد الأحد داوود الأشورى الذى أسلم : إن من تعاليم الكنيسة أنه مهما تكن أعمال المرء سليمة وتبدو مقبولة ، ومهما يكن الإيمان والصلاح مسلماً بهما عند الناس ، فكل المزايا والفضائل ستبقى بدون ثمرة ما لم تتدخل قدسية القسيس بين المرء وربه ، وما لم تبارك يد القسيس هذه الأعمال (٢) .

٨ — السر الثامن وتنفرد به الكنيسة الكاثوليكية :

هذا السر هو عصمة بابا روما واستحالة ارتكابه الإثم أو الخطيئة ، لأن الروح القدس ينطق من خلاله بوصفه خليفة بطرس الرسول ، أحد تلاميذ المسيح ، والذى منحه السيد المسيح (على حد تفكيرهم) مفاتيح السماء والأرض ، بمعنى أن كل ما يربطه على الأرض فهو مربوط فى السماء ، وكل ما حله على الأرض يكون أيضاً محلولا فى السماء .

ونظراً إلى أن البروتستنتية ضيقت من نفوذ الباباوات فى روما ، وحدت من سلطاتهم ، اضطر بابا روما إلى تأكيد هذا السر ، بعقد مجمع مسكونى كاثوليكى فى روما عام ١٨٦٩ م فتأكد فى ذلك المجمع تمتع البابا فى روما بالعصمة واستحالة ارتكابه الإثم فيا للعجب ! !

---

(١) كتاب الإسلام والنصرانية للإمام الشيخ محمد عبده .

(٢) كتاب الإنجيل والصليب — للأب عبد الأحد داوود الأشورى .

أساس تقديس الصليب قبل عملية الصلب :

جاء فى إنجيل لوقا على لسان المسيح فى الإصحاح ٩ عدد ٢٣ :

« إن أراد أحد أن يأتى ورائى فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعنى »

ومعنى ذلك هو الاستهانة بالحياة والاستعداد للموت فى أبشع صورة وهو الصلب على خشبة كما يفعل بالمجرمين والمذنبين .

كما يقول متى حاكياً عن المسيح فى إصحاح ١٦ عدد ٢٤ (حينئذ قال يسوع لتلاميذه إن أراد أحد أن يأتى ورائى فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعنى) .

وحمل الصليب مستعار من العادة التى قضت بها الأنظمة الرومانية على المحكوم عليه بالصلب أن يحمل صليبه كل يوم ، وكان عامة شعب الرومان ينفرون من الصليب ويفزعون من ظله ، وكان اليهود يشعرون بأن حمل الصليب هو حمل اللعنة ، لأنه مكتوب فى ناموسهم : ملعون كل من علـِّق على خشبة . ولهذا كله يبدو عجيباً أن يعتبره المسيحيون شيئاً مقدساً . ومن عجب أن الكنيسة ، رغم أنها تعلن الحرب على الأصنام ، تقدس الصليب المصنوع من المعدن أو الخشب ، وتوصى أتباعها بتقديسه لأن حمله علامة على اتباع المسيح (١) .

ويقول كتابهم : (وحمل الصليب إشعار بإنكار النفس واقتفاء أثر المسيح فى هذا الإنكار ، والسير وراء مخلصهم وفاديهم) فما أحوجهم إلى بغضه وكراهيته ، لأن إلههم صلب عليه بزعمهم(٢) .

* * *

(١) كتاب مقارنة الأديان — المسيحية تأليف الدكتو أحمد شلبى .

(٢) كتاب محاضرات فى النصرانية تأليف الشيخ محمد أبو زهره .

٢ – الرهبنة

في عهود المسيحية الأولى عانى المسيحيون فى عهد الاضهطاد صنوفاً من التعسف والقسوة ، ويبرر الكتاب المسيحيون ذلك بأنه كان تدريباً للمسيحيين على التضحية وحب الفداء ، فلما بدأ عهد الحرية ونشر ظلاله على المسيحيين تحسر أولئك الذين فاتهم أن يضحوا بدمائهم ، فقرروا أن يضحوا بمتعهم إذ فاتهم أن يضحوا بدمائهم ، ولجأوا إلى الجبال ليعيشوا فيها ويبتعدوا عن حياة المدن ، كما لجأوا إلى تعذيب الجسم بالجوع والعطش وخشن الثياب والتبتل وعدم الزواج والعكوف على العبادة والطاعة تقديراً للمسيح الذى بذل نفسه من أجل البشر مع الطاعة لأبيه .

ومرت الرهبنة بالمراحل الآتية :

١ – كانت فى المرحلة الأولى هروباً من الناس وبعداً عن المدن والقرى الزاخرة بالأدناس ، وانطلاقاً فى الصحارى والبرارى ولجوءاً إلى الكهوف والمغارات فى الجبال بقصد محاربة الجسد والإكثار من العبادة والتأمل مع الوحدة .

٢ – لما كثر عدد الراغبين فى الترهب اجتمعوا وبنوا لهم صوامع متجاورة ، ثم أحاطوها بأسوار عالية حيث تسمى بالأديرة ، وقد فعلوا ذلك حماية لأنفسهم من اللصوص .

أساس الترهب عند المسيحية :

وينسب المسيحيون أساس الرهبنة إلى السيد المسيح فى أقواله التى تضمنتها أناجيلهم :

١ – ففى إنجيل متى إصحاح ١٩ عدد ١٦ – ٢١ ، ٢٩ :

إن أردت أن تكون كاملا فاذهب وبع أملاكك وأعط الفقراء ، فيكون لك كنز فى السماء ، وتعال اتبعنى .

من أضاع حياته من أجلى يجدها .

من ترك بيوتاً أو حقولا من أجل اسمى يأخذ مائة ضعف ويرث الحياة الأبدية .

٢ — أن السيد المسيح كان يصعد إلى الجبل حين يريد أن يصلى أو يعلم الجموع . وأن يوحنا المعمدان كان كذلك يعيش فى البرية ويكرز فيها ، لذلك اقتبس المسيحيون بناء أديرتهم فى الجبال والبرارى .

٣ — ورد فى الإصحاح ١٩ عدد ١٢ من إنجيل متى قول المسيح (لأنه يوجد خصيان ولدوا هكذا من بطون أمهاتهم ، ويوجد خصيان خصاهم الناس ، ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات ، من استطاع أن يقبل فليقبل) .

وهناك مذهب آخر يخالف ما سبق إيراده ، إذ يرى من التجوز القول بأن المسيح كانت من تعاليمه الدعوة إلى الرهبانية .

لأن المسيح نفسه كان يحب اللهو والمرح والمتعة والصخب ، أما يحي أو يوحنا فكان يكره كل ذلك ، ويميل إلى السكون والتنسك ، وكان عيسى يستمتع بالطعام الجيد ، أما يحي فكان زاهداً فى متاع الدنيا ، يهيم فى الصحراء والقفار بجسد أعياه الزهد والنحول ، يقتات على الحشائش ، والحشرات ويتدثر بجلود الحيوانات ، طبقاً لما حكاه متى ومرقص من أن لباسه كان من وبر الإبل وعلى حقويه منطقة من جلد ، وكان طعامه جراداً وعسلا برياً (١)

وفى الوقت الذى كان فيه المسيح يصادق الخطاة ، كان يحي يعتزل الناس ويكره الساقطات وصناع الإثم ، ويهرب بنفسه من فجور العالم إلى البرارى والصحارى ، حيث الهدوء ، وحيث النقاء والطهر ، ويشتد على

(١) إنجيل متى إصحاح ٣ عدد ٤ — إنجيل مرقص إصحاح ١ عدد ٦ .

نفسه فى تهجده ونسكه ، وفى صلاحه وتقواه ، ومن هنا تسربت دعوى الرهبانية إلى المسيحية (١) .

ويؤيد هذا الرأى ما يحكيه إنجيل متى على لسان المسيح ، فيقول (بمن أشبه هذا الجيل؟ يشبه أولاداً جالسين فى الأسواق ، ينادون إلى أصحابهم ويقولون زمرنا لكم فلم ترقصوا ، نحنا لكم فلم تلطموا ، لأنه جاء يوحنا لا يأكل ولا يشرب فيقولون فيه شيطان ، جاء ابن الإنسان (يقصد نفسه أى عيسى) يأكل ويشرب فيقولون هو ذا إنسان أكول وشريب خمر ، ومحب للعشارين والخطاة ، والحكمة تبررت من بنيها) (٢) .

أين ظهرت الرهبنة فى المسيحية :

يروى الباحثون الأقباط أن نظام الرهبان نشأ أول ما نشأ فى مصر ، ثم نقله الرهبان الأقباط إلى إيطاليا وفرنسا وغيرها من الدول (٣) .

كيف يتم الالتحاق فى الرهبنة :

إن الالتحاق بالرهبنة ليس شيئاً يسيراً ، فطالب الالتحاق بها يختبر ، ويمر بتجارب حتى يعترف الرهبان بأنه مستحق لها ، وحينئذ يرقد على ظهره أمام الهيكل ويصلى الرهبان عليه صلاة خاصة ، مضمونها أن هذا الرجل قد ترك العالم كأنه مات ، ولم يعد يحسب ضمن أبناء هذا العالم .

أساس الرهبنة الحقيقى :

١ — إن الباحث فى مقارنة الأديان يجد أن المسيحيين فى الرهبنة اتبعوا المنهاج الهندى دون تحريف ، فالترهب والتبتل وتعذيب الجسم هى بلا جدال سياسة الهندوكية والبوذية(٤) .

---

(١) المسيح إنسان أم إله — للأستاذ محمد مجدى مرجان .

(٢) إنجيل متى إصحاح ١١ عدد ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ .

(٣) كتاب صفحة من تاريخ القبط مطبوعات جمعية مارمينا العجايبى بالإسكندرية سنة ١٩٥٤ م — ١٦٧٠ ش .

(٤) كتاب (مقارنة الأديان — المسيحية) للدكتور أحمد شلبى .

٢ — ويرى آخرون أن الرهبنة جاءت للمسيحية من ديانة الرومان ، (فستا) التي كانت قبل المسيح بألف عام ، لأن رملس إله الرومان كان ابن (ريا سلفيا) ابنة أحد الأمراء التي نذرت العفة وانخرطت في سلك العذارى المقيمات في هيكل الإله (فستا) للعبادة .

النتيجة :

١ — أن المسيحية تحارب الأبدان طبقاً لما جاء في إنجيل متى منسوبا إلى المسيح (لا تقدرون أن تخدموا الله والمال ، لذلك أقول لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وما تشربون ولا لأجسامكم بما تلبسون) (١) . وهذا يتنافى مع قول بولس موصياً بالجسد في رسالته لكورنثوس ص ٦ عدد ١٩ ، ٢٠ : (أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذي فيكم الذي لكم من الله، وأنكم لستم لأنفسكم ، لأنكم قد اشتريتم بثمن ، فمجدوا الله في أجسادكم ، وفي أرواحكم التي هي لله) .

٢ — المسيحية تقضي بفناء الجنس البشري طبقاً لما رواه متى في إنجيله منسوباً إلى المسيح (يوجد خصيان ولدوا هكذا من بطون أمهاتهم ، ويوجد خصيان خصاهم الناس ، ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات ، من استطاع أن يقبل فليقبل) (٢) . (ولكن الطعام لا يقدمنا إلى الله لأننا إن أكلنا لا نزيد وإن لم نأكل لا ننقص) (٣) .

ويقول بولس (فحسن للرجل ألا يمس امرأة ، ولكن لسبب الزنا ليكن لكل واحد امرأته ، وليكن لكل واحدة رجلها ، وأقول لغير المتزوجين وللأرامل أنه حسن لهم إذا لبثوا كما أنا ، ولكن إن لم يضبطوا أنفسهم فليتزوجوا لأن التزوج أصلح من التحرق) أي في النار بسبب الزنا (٤) .

---

(١) إنجيل متى ص ٦ عدد ٢٤ ، ٢٥ .
(٢) إنجيل متى ص ١٩ عدد ١٢ .
(٣) رسالة بولس الأولى إلى كورنثوس ص ٨ عدد ٨ .
(٤) المرجع السابق ص ٧ عدد ١ ، ٨ ، ٩ .

وينظر كثير من فقهاء الكنيسة المسيحية إلى هذه الحقيقة على أنها من الأمور المسلمة فى الدين بالضرورة ، أى التى لايجوز إنكارها ولاالشك فيها ، حتى أن مجمع مديولانتش المسيحى حكم فى أواخر القرن الرابع الميلادى على الراهب جوفيفيان بالطرد من الكنيسة ، لأنه عارض السيد المسيح الذى يقرر أن التبتل خير من الزواج والزواج ما هو إلا ضرورة ملجئة لبقاء النوع الإنسانى ولصيانة الفرد من الفاحشة ، وقد ذهبت فرقة المارسيونيين (وهى فرقة مسيحية اعتنقت مذهب مارسيون فى القرن الثانى الميلادى) إلى تحريم الزواج على معتنقيها ، وأوجبت على كل متزوج يرغب فى اعتناق مذهبها من الذكور والإناث أن يفترق عن صاحبه ، وبدون ذلك لا يمكن قبوله ولا تعميده .

ومع أن الفرق المسيحية الباقية إلى عصرنا الحاضر تدين بهذا المذهب فإن نظرة المسيحية إلى التبتل على أنه الحالة المثلى ، وإلى الزواج على أنه مجرد ضرورة ، قد أدت بالتدريج إلى نظام العزوبة المفروض على الرهبان وعلى القسيسين فى المذهب الكاثوليكى .

وفى أوائل القرن الرابع الميلادى أصدر مجمع ألفيرا فى أسبانيا قراراً بتحريم الزواج والابتعاد عن كل شهوات الجنس على كبار رجال الكنيسة .

وفى أواخر القرن الحادى عشر أصدر البابا جريجورى السابع أمراً بوجوب العزوبة وتحريم الزواج على جميع القساوسة والرهبان كبارهم وصغارهم ، حتى لا تدنس صفاتهم الكهنوتية بالاتصال الجنسى ، ولم يكد ينتهى القرن ١٣ الميلادى حتى كان ذلك القرار نظاماً مقرراً فى الكنيسة الكاثوليكية ومطبقاً على جميع القساوسة والرهبان من الرجال والراهبات من النساء .

وبناء على ما تقدم فإن المسيحية تدفع للرهبنه والرهبنة تقتضى هجر الوالدين والأسرة ، والزهد فى الدنيا وكراهية المال والنفور منه ، ووليدة ذلك إرهاق الجسم وعدم العناية بطعامه أو شرابه أو لباسه ، والميل للعزوبة والغض عن الزواج .

اهتمام المسيحيين بكثرة النسل رغم اعترافهم بنظام الرهبنة :

١ — رغم اعتراف المسيحيين بنظام الرهبنة وتقديرهم له ، واعتقادهم أن الأصل أن يترهب الناس رجالا ونساء ، إلا أنهم يهتمون بكثرة النسل ويحاربون تحديده فى زماننا المعاصر .

٢ — ويزيد اهتمامهم بكثرة النسل فى البلاد التى يكونون فيها أقلية أو مساوين بغيرهم فى التعداد .

٣ — وفى الشرق بوجه خاص يتجهون إلى إكثار النسل . فى الوقت الذى يتجه فيه سواهم من أتباع الديانات الأخرى بهذه المنطقة إلى تحديد النسل أو تنظيمه .

٤ — نشرت مجلة الوثائق الكاثوليكية فى عددها رقم ١٢٧١ سنة ١٩٥٨ نص ما قاله البابا بيوس الثانى عشر فى الاتحاد الإيطالى لجمعيات العائلات الكثيرة العدد سنة ١٩٥٨ وهو « أن خصب الزواج شرط لسلامة الشعوب المسيحية ، ودليل على الإيمان بالله والثقة بعنايته الإلهية ومجابة للأفراح العائلية » .

فهل هناك منطق معكوس مثل هذا المنطق .

عدم الاهتمام بالختان فى المسيحية :

ورد فى سفر الأعمال إصحاح ١٥ عدد ١٩ وما بعده حاكياً عن يعقوب أحد التلاميذ مع بقية التلاميذ عند اجتماعهم .

« لذلك أنا أرى أن لا يثقل على الراجعين إلى الله من الأمم ، بل يرسل إليهم أن يمتنعوا عن نجاسات الأصنام والزنى والمخنوق ، والدم » .

ولقد كان المفهوم من أن المسيحية تعتبر التوراة وأسفار الأنبياء السابقين كتباً (١) مقدسة ، تسميها كتب العهد القديم ، أن تأخذ بكل الشرائع

---

(١) محاضرات فى النصرانية للأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة .

التى نصت عليها التوراة ، إلا ما خالفه المسيح بنص أثر عنه . واستمر المسيحيون بعد ذهاب المسيح على هذا الاتجاه نحواً من اثنتين وعشرين سنة ، ولكن تلاميذه اجتمعوا طبقاً لما حكاه عنهم سفر أعمال الرسل ، حيث خطب فيهم يعقوب واقترح عليهم أن يحصروا المحرم فى الأنواع الأربعة المشار إليها وهى نجاسات الأصنام والزنى والمخنوق والدم ، دون حاجة إلى إيجاب سنة الختان إذ وجدوا أن الختان يشق على بعض من يدعونهم إلى النصرانية فيفرون منها .

ومن ذلك يتبين أن التلاميذ حللوا للناس كل ما حرمته التوراة وكتب النبيين السابقين ، ولم يحرموا سوى الأمور الأربعة السابقة ، وبمقتضى ذلك أصبحت لحوم الخنازير والخمر وسائر المحرمات فى التوراة حلالا ، كما أبطلوا حكم الختان الذى كان عهداً من الله منذ إبراهيم الخليل عليه السلام ، فضلا عن أن المسيح نفسه ختن طبقاً لما حكاه إنجيل لوقا ص ٢ عدد ٢١ .

وقد يسأل الإنسان نفسه : بأى شىء أعطى هؤلاء التلاميذ القدرة على التحليل والتحريم فى شرع الله ، إذ المسلم به أن تشريع التحليل والتحريم هو من الله وحده يبلغه عنه النبى أو الرسول المرسل من عنده فقط ، لكن انظر إلى منطق المسيحيين ، إنهم يبررون الخروج على تعاليم المسيح بقولهم أن ما أجراه التلاميذ فى تحليل هذه الأمور المحرمة كان بإلهام من روح القدس وتجليه طبقاً لما رواه سفر أعمال الرسل سالف الذكر الإصحاح ١٥ عدد ٧ وما بعده .

« فبعدما حصلت مباحثة كثيرة (بين التلاميذ) قام بطرس وقال لهم : أيها الرجال الإخوة ، أنتم تعلمون أنه منذ أيام قديمة اختار الله بيننا أنه بفمى يسمع الأمة كلمة الإنجيل ويؤمنون ، والله العارف القلوب شهد لهم معطياً لهم الروح القدس كما لنا أيضاً ، ولم يميز بيننا وبينهم بشىء إذ طهر بالإيمان قلوبهم » .

كيفية تحليل لحم الخنزير رغم أنه محرم بشريعة التوراة :

يروى ابن البطريق عن هذه الواقعة أن الإمبراطور قسطنطين بعد دخوله فى النصرانية اضطهد اليهود اضطهادا شديداً فدخلوا فى النصرانية ، لكن النصارى تشككوا فى ذلك فأشار بطريرك القسطنطينية على الإمبراطور قسطنطين أن يختبرهم على أكل لحم الخنزير وقال له إن الخنزير فى التوراة حرام ، واليهود لا يأكلونه فتأمر أن تذبح الخنازير وتطبخ لحومها ويطعمون منها فمن لم يأكل عامت أنه مقيم على اليهودية .

لكن الإمبراطور عارض البطريرك وقال له إن كان الخنزير فى التوراة محرما فكيف يجوز لنا أن نأكل لحمه ونطعمه للناس ، إلا أن البطريرك ما زال به حتى حمله على الاعتقاد بأنه حلال ، فقد قال له أن سيدنا المسيح قد أبطل سائر ما فى التوراة وجاء بتوراة جديدة هى الإنجيل وقال فى إنجيله المقدس : (إن كل ما يدخل الفم ليس ينجس الإنسان إنما ينجس الإنسان كل ما يخرجه من فيه) يعنى السفه والكفر وغير ذلك مما يجرى مجراه ، ثم حكى قصة عن بولس الرسول مغزاها أن بطرس رأى رؤيا تفيد التحليل وبذلك يحللون لحم الخنزير (١) .

فانظر هداك الله كيف أن أحكام الحل والتحريم تثبت عندهم بالرؤيا المنامية كما يقولون عن ذلك ، بدعوى إلهام الروح القدس ، مع أن الشرائع والأحكام لا تنسخ بالمنام ولا تبطل بالأحلام ، ومع أن المسيح نفسه كما حكى عنه متى فى إنجيله فى الإصحاح الخامس عدد ١٧ وما بعده يقول : (لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ، ما جئت لأنقض بل لأكمل . فإن الحق أقول لكم ، إلى أن تزول السماء والأرض ، لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل ، فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس ، هكذا يدعى أصغر فى ملكوت السموات ، وأما من عمل وعلم فهذا يدعى عظيماً فى ملكوت السموات) .

والتوراة فى سفر اللاويين إصحاح ١١ عدد ٧ تنص على أن الخنزير حرام أكله .

(١) كتاب محاضرات فى النصرانية تأليف الأستاذ الشيخ محمد أبو زهره .

الصليب

شعار النصرانية

يرى كهنة النصارى ومفكروها أن النصرانية قائمة على الصليب ، ويعنون بذلك أن الصليب هو شعارهم المقدس ، وهو علامة يوم الحشر عندهم ، وفى اعتقادهم أن من يؤمن به لا يهلك أبداً بل تكون له الحياة الأبدية ، لذلك فهم يرسمونه بأصابعهم الثلاثة الأولى الأمامية على وجوههم ، وتحمله كهنتهم على صدورهم ، ويصنعون شكله بالوشم على أيديهم ومرافقهم ، كما يصوغونه من المعادن النفيسة حلية تتقلده نساؤهم ، وحتى بعد مماتهم يجعلونه شاهدا وعلامة فوق صناديق جثثهم وقبورهم ، فعلى زعمهم هو المذبح الذى ذبح عليه المسيح ، فصار بذلك معبودهم الذى يصلون ويتجهون إليه فى جميع كنائسهم (١) .

هل أمر المسيح عليه السلام أتباعه بتقديس الصليب ؟

لم يحدث من المسيح أو تلاميذه الذين عاصروه وتلقوا تعليمه أن احترموا الصليب أو قدسوه ، والعجيب أن ما ينسبونه إليه فى إنجيل متى من قوله (ومن لا يأخذ صليبه ويتبعنى فلا يستحقنى) (٢) ورد ما يفيد معناه بإنجيل يوحنا دون ذكر أو أدنى إشارة إلى الصليب المزعوم ، وذلك فى قوله (إن كان أحد يخدمنى فليتبعنى وحيث أكون أنا هناك أيضاً يكون خادمى)(٣)

أما زعم النصارى بأنه قتل أو ذبح على الصليب فإن كثيرا من نصارى الأقاليم الشرقية كانت ترفضه إذ كانوا يعدونه إهانة لشرف المسيح ونقصا

---

(١) كتاب الإنجيل والصليب تأليف الأب عبد الأحد داوود الآشورى العراق والمحفوظ نسخته الوحيدة بدار الكتب المصرية بالقاهرة .

(٢) إنجيل متى الإصحاح العاشر عدد ٣٨ .

(٣) إنجيل يوحنا الإصحاح الثانى عشر عدد ٢٦ .

له ، كما كان هناك أقوام آخرون لم يسلموا بوجه من الوجوه أن المسيح سمر فعلا وقتل على الصليب ، وكل ذلك مفصل فى تاريخ موسهيم الإسرائيلى الشهير ، والذى يدرس فى مدارس اللاهوت الإنجيلية كما أن هناك فرقاً أخرى من النصارى كانت تعتقد أن الشخص المصلوب غير المسيح قطعا ، وأن المسيح لم تسلط عليه أيدى مضطهديه بل رفع إلى السماء ، ومن القائلين بهذه الأفكار فرق الدوسيتية — والمرسيونية — والقلنطانيائية ، ويبدو أن تلك الفرق انقرضت إثر اعتناق الدولة الرومانية لعقيدة التثليث وألوهية المسيح بعد انعقاد مؤتمر نيقية فى الربع الأول من القرن الرابع الميلادى (١) .

ومما يؤيد هذا الاتجاه أن الأستاذ (أردوأرسيوس) أحد أعضاء الأنسيتودى فرانس فى باريس ذكر فى كتابه عقيدة المسلمين فى بعض المسائل النصرانية فى صحيفة ٤٩ (أن القرآن ينفى قتل المسيح وصلبه ويقول بأنه ألقى شبهه على غيره فغلط اليهود فيه وظنوا أنهم قتلوه ، وما قاله القرآن كان موجوداً عند طوائف نصرانية منهم (الباسيليديون) كانوا يعتقدون أن المسيح وهو ذاهب لمحل الصلب ألقى شبهه على سيمون السير ناى تماماً وألقى شبه سيمون عليه ثم أخفى نفسه ليضحك على مضطهديه اليهود . ومنهم (السبرنتيون) فإنهم قرروا أن أحد الحواريين صلب بدل المسيح ، وقد عثر على فصل من كتب الحواريين وإذا كلامه نفس كلام الباسيليديين ، وقد صرح إنجيل القديس برنابا باسم الذى صلب بدل المسيح وأنه يهوذا (٢) أحد التلاميذ الذى خان أستاذه وتآمر عليه مع أعدائه (٣) كما أن الأستاذ آرنست ذى بونسن الألمانى ذكر فى كتابه المسمى (الإسلام أى النصرانية الحقة) بأن جميع ما يختص بمسائل الصلب والفداء هو من مبتكرات

---

(١) كتاب الفارق بين المخلوق والخالق تأليف المرحوم الشيخ عبد الرحمن بك باجه جى زاده .

(٢) المرجع السابق .

(٣) إنجيل القديس برنابا ترجمة خليل سعادة وهذا الإنجيل ترفضه الكنيسة ولا تعترف به .

ومخترعات بولس ومن شابهه من الذين لم يروا المسيح وليست من أصول النصرانية الأصلية (١) .

من الذى دس فكرة تقديس الصليب فى النصرانية :

إن بولس الذى لم يتتلمذ على المسيح أصلا ، بل ولم يره فى حياته اندس بعد ذهاب المسيح ضمن تلاميذه ، وذلك بمكره وتحايله حتى وثقوا به ، هو الذى ابتدع شعار الصليب فى مواعظه ، لذلك فهو يقول عنه فى إحدى رسائله (لأنى لم أعزم أن أعرف شيئاً بينكم إلا يسوع المسيح وإياه مصلوباً) (٢)

ويسوع المسيح تعنى عيسى المسيح .

ويهذى بولس فى حبه وغرامه بالصليب فيقول فى رسالته المذكورة (إن كلمة الصليب عند الهالكين جهالة وأما عندنا نحن المخلصين فهى قوة الله) (٣) .

كيف كانت نظرة اليهود إلى الصليب :

كان اليهود ينظرون إلى خشبة الصليب على أنها أداة تعذيب الخارجين على القانون ، ولذلك اعتبروا أن كل من يموت على خشبة الصليب ملعون تطبيقا لما ورد عنه فى سفر التثنية فى قوله (وإذا كان على إنسان خطيّة حقها الموت فقتل وعلقته على خشبة فلا تبت جثته على الخشبة بل قد تدفنه فى ذلك اليوم لأن المعلّق ملعون من الله فلا تنجس أرضك التى يعطيك الرب إلهك نصيباً) (٤) .

والعجيب أن النصارى وهم يقرأون هذا النص يصيبهم الصمت المطبق

---

(١) المرجع السابق .

(٢) رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس الإصحاح الثانى عدد ٢ .

(٣) رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس الإصحاح الأول عدد ١٨ .

(٤) سفر التثنية من كتاب اليهود المقدس الإصحاح ٢١ عدد ٢٢ ، ٢٣ .

كأنهم لا يعلمون ولا يفقهون ، بل نراهم يرددون ما يزعمه بولس فى رسالته إلى أهل غلاطية عن المسيح فى قوله (المسيح افتدانا من لعنه الناموس إذا صار لعنه لأجلنا لأنه مكتوب ملعون كل من علق على خشبة) (١) فكيف يستقيم قول بولس هذا مع ما يذكره المسيح عليه السلام عن نفسه من أنه كان مباركا ومقدسا ومرضيا عنه من الله سبحانه وتعالى ، وذلك فى قول المسيح الموجود فى إنجيل متى (ومتى جاء ابن الإنسان فى مجده وجميع الملائكة والقديسين معه فحينئذ يجلس على كرسى مجده) (٢) .

وقول مرقس عنه فى إنجيله لما قربوا من أورشليم (والذين تقدموا والذين تبعوا كانوا يصرخون أوصنا مبارك الآتى باسم الرب) (٣) .

وقول يوحنا فى إنجيله عن المسيح وهو يخاطب ذات الله العلية (وهذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته أنا مجدتك على الأرض . العمل الذى أعطيتنى لأعمل قد أكملته والآن مجدنى أنت أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذى كان عندك قبل كون العالم) (٤) ولفظ (الآب) بمد الهمزة تعنى اسم (الله) ولفظ (آب) هذا سريانى أو كلدانى الأصل وهو الذى ذكرته التوراة ويعنى موجد أو فاطر أو خالق وهو خلاف لفظ (أب) دون مد للهمزة وهذه تعنى (والد) باللغة العربية(٥)

ويؤكد القرآن الكريم رفعة منزلة المسيح عليه السلام وذلك فى قوله جل شأنه فيما يذكره عنه (قال إنى عبدالله آتانى الكتاب وجعلنى نبياً * وجعلنى مباركا أينما كنت) (٦) .

---

(١) رسالة بولس إلى غلاطية الإصحاح ٣ عدد ١٣ .

(٢) إنجيل متى الإصحاح ٢٥ عدد ٣١ .

(٣) إنجيل مرقس الإصحاح ١١ عدد ٩ .

(٤) إنجيل يوحنا الإصحاح ١٧ عدد ٣ ، ٤ ، ٥ .

(٥) كتاب الإنجيل والصليب للأب عبد الأحد داود الأشورى العراقى .

(٦) سورة مريم ٣٠ ، ٣١ .

القرآن الكريم ينفى عن المسيح وصمة القتل والصلب :

لما أرسل الله المسيح عليه السلام نبياً ورسولا إلى بنى إسرائيل لإصلاح ما أفسدوه ، ثم بشرهم بقرب بعثة النبى محمد صلى الله عليه وسلم خاتماً للأنبياء والمرسلين وأنه سيكون من ذرية إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام وليس من بنى إسرائيل ،ودعوته ستكون للعالمين ،نفر الإسرائيليون من دعوة المسيح وكلامه وغضبوا عليه وناصبوه العداء حتى انتهى بهم الأمر أن تواطئوا بواسطة كبير كهنتهم مع الحاكم الرومانى لإقليم مدينة القدس بعد أن أفهموه وألقوا فى روعه أن هدفه من تلك الدعوة هو طرد الرومان منها ،فظاهرهم على قتله واتخذوا من أحد مريديه وتلاميذه عيناً عليه يرصد حركاته وتنقلاته ويخبرهم بها ، وفى اليوم الذى حددوه وكان تالياً لأحد أعيادهم جاءت قوة من الرومان يتقدمهم ذلك الجاسوس ودخلوا على المسيح للقبض عليه ، وعندئذ ألقى الله شبهه على الجاسوس الخائن فقبض عليه وتمت محاكمته وصدر عليه الحكم بقتله وصلبه ، أما المسيح عليه السلام فقد نجا من تلك المؤامرة فقد رفعه الله إلى موضع تولى فيه حفظه وحمايته حتى لا يجرى فيه حكم أعدائه الإسرائيليين ، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى (وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا * بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيما) (١) .

الشعوب الوثنية القديمة كانت تقدس الصليب :

يبدو أن تاريخ الصليب ضارب فى القدم عند أصحاب الأديان الوثنية :

١ — فكما اعتقد المصريون القدماء فى الثالوث الفرعونى (آمون وموت وختو) استخدموا شعار الصليب واعتبروه علامة الحياة . ومما يؤكد ذلك أنه عثر أخيراً فى مدينة الأقصر (والتى كانت تسمى قديماً باسم مدينة طيبة)

---

(١) سورة النساء ١٥٧ — ١٥٨ .

على كتابة قديمة على جدران معبدها تبشر بالأم العذراء وأمامها الروح القدس المصرى مرسوماً وهو قابض على صليب فى مواجهة العذراء وهى تضع طفلا إلها (١) .

٢ — وفى بلاد اليونان القديمة وبلاد الهند والتبت عرفوا الصليب إذ كانوا يستخدمون شعار الصليب كرمز للحب والتضحية (٢) .

كيف ابتدع شعار الصليب :

عندما اكتشفت النار فى قديم الزمان سحر الناس وفرحوا بها ، وقد بلغ افتتانهم بها حد التقديس ، وقد أدى بهم هذا التقديس أن جعلوا لها شعاراً أبدعوه من عصوين متعامدتين على هيئة الصليب المقدس لدى طوائف النصارى فى زماننا المعاصر ، وبسبب سحرهم بالنار وإعجابهم بها وتقديسهم لها وصلوا بها إلى حد العبادة ومن ثم كانت عبادة النار (٣) .

من الذى فرض الصليب شعاراً مقدساً لدى الشعوب النصرانية :

لما انتشرت النصرانية عقيدة ودينا فى بعض أقطار الدولة الرومانية كانوا يرمزون للمسيح عليه السلام بصورة الحمل المخاص وذلك نقلا عن عقيدة ميترا الفارسية التى كانت تسودها منذ سنة ٤٠٠ قبل الميلاد فكرة المسيح المخلص أيضاً ؛

ولما فرض الإمبراطور قسطنطين النصرانية فرضاً على شعوب الدولة الرومانية فى بداية القرن الرابع الميلادى تصادف أن أحضرت جيوشه عند عودتها من بلاد الغال محاور متعامدة للمجموعة الشمسية رمزاً لعبادة الشمس ، وكانت على أشكال الصليب فأعجب بها الأمير قسطنطين أيما إعجاب

(١) كتاب محمد فى الكتاب المقدس للأستاذ إبراهيم خليل أحمد نقلا عن كتاب الكون المنشور للسير آرثر فندلاى .
(٢) المرجع السابق .
(٣) المرجع السابق .

ولهذا فقد اتخذها هو أيضاً رمزاً وشعاراً للإيمان بنصرانيته، وفى سنة ٦٨٠ ميلادية قامت الدولة رسمياً باستبدال شعار الحمل إلى شعار الصليب، وذلك فى صورة رجل مربوط إلى الصليب، ومنذ ذلك الوقت صار الصليب شعاراً للدولة الرومانية (١).

الإمبراطور الرومانى هرقل هو أول من قاد الحملات الصليبية فى حروبه :

ذلك أنه لما قامت الدولة الفارسية الساسانية بمحاربة الدولة الرومانية وهزمتها إثر تحرش إمبراطور الرومان فوكاس بدولة الفرس، فاستولت على أخصب ممتلكاتها فى الشرق ومن أهمها فلسطين وبيت المقدس (مدينة القدس حالياً) سنة ٦١١ م كما انتزعت جيوشها الصليب المقدس من كنيسة القيامة، ونقلته إلى المدائن عاصمة الفرس، وظل هناك مدة ثلاثة عشر عاماً حتى ثار هرقل على الإمبراطور فوكاس وأطاح به وتبوأ هو عرش الإمبراطورية فأعد جيشاً رومانياً كثيفاً لمحاربة الفرس، وقد تحقق له النجاح وانتصر عليهم، واسترد الصليب المقدس منهم، ومن قبيل التفاؤل جعل الإمبراطور المذكور شارة الصليب شعاراً فى جيوشه، وكان ذلك سنة ٦٢٢ ميلادية فكانت بذلك أول تعبئة لجيش صليبى لرد هجوم الفرس على الدولة الرومانية وزاد فى التعلق به ما أحرزته جيوشها من نصر على الجيوش الفارسية واسترداد الرومان لبيت المقدس فأعادوا الصليب المقدس لكنيستها (٢)

* * *

(١) المرجع السابق نقلا عن كتاب صخرة الحق للسير آرثر فندلاى .
(٢) المرجع السابق .

الفصل الثالث

العبادات فى النصرانية

توجد عند المسيحيين عبادتان هما الصلاة والصوم ، لكنهما عبادتان اختياريتان طبقاً لما يراه أكثر المسيحيين وليستا إجباريتين .

أولا — الصلاة عند المسيحيين :

هى ركن من أركان المسيحية ، فهى عندهم تقربهم إلى الله عن طريق المسيح ، ولها شرطان أساسيان لا تكون صلاة بدونهما :

الشرط الأول : أن تقدم باسم المسيح طبقاً لما جاء فى الإصحاح ١٦ من إنجيل يوحنا عدد ٢٦ حاكياً عن المسيح . قوله :

« الحق أقول لكم إن ما طلبتم من الأب باسمى يعطيكم ، إلى الآن لم تطلبوا شيئاً باسمى ، اطلبوا تأخذوا وليكون فرحكم كاملا » .

الشرط الثانى : أن يسبق الصلاة الإيمان الكامل بأنهم سينالون ما يطالبون طبقاً لما جاء فى إنجيل مرقص الإصحاح ١١ عدد ٢٤ ما نصه حاكيا عن المسيح « لذلك أقول لكم كل ماتطلبونه حينما تصلون فآمنوا أن تنالوه فيكون لكم » .

كيفية التعبير فى الصلاة :

١ — ترك للمسيحيين أن يتلوا من العبارات ما يختارونه بشرط ألا تخرج عن قاعدة الصلاة التى علمهم إياها المسيح ، لكى يصلوا على منوالها ، وهى المسماة بالصلاة الربانية فقد جاءت فى صدر الإصحاح ١١ من إنجيل لوقا عدد ١ وما بعده حاكياً عن المسيح .

(وإذ كان يصلى فى موضع لما فرغ قال واحد من تلاميذه : يارب

علمنا أن نصلى كما علم يوحنا أيضاً تلاميذه، فقال لهم : متى صليتم ، فقولوا : أبانا الذى فى السماوات ، ليتقدس اسمك ليأت ملكوتك ، لتكن مشيئتك كما فى السماء كذلك على الأرض ، خبزنا كفافنا أعطنا كل يوم، واغفر لنا خطايانا لأننا نحن نغفر لكل من يذنب إلينا ولا تدخلنا فى تجربة لكن نجنا من الشرير) ومثله فى إنجيل متى إصحاح ٦ عدد ٩—١٣ .

٢ — ويختارون أدعية أخرى فى صلواتهم من سفر المزامير الذى يقولون عنه أنه خزانة ذهبية لصلوات داود النبى وغيره من الأنبياء .

عدد الصلوات ومواقيتها : (١) .

لا يوجد لدى المسيحيين نص عن عدد معين من الصلوات كل يوم أو مواقيت لها ، إلا أنهم يتشبهون ويقتبسون من اليهود العدد والوقت للصلاة ، لذا قرروا لهم صلاتين إحداهما فى الصباح والأخرى فى المساء .

وإذا كان اليهود يقتصرون على هاتين الصلاتين على زعم أن الله يمل من الإكثار من الصلاة كل ساعة ، إلا أن النصارى يستحسنون الإكثار منها ، ويستندون فى ذلك إلى ما جاء فى صدر الإصحاح ١٨ من إنجيل لوقاً :

(وقال لهم أيضاً مثلا فى أنه ينبغى أن يصلى كل حين ولا يمل)

كما جاء فى عدد ٧ من ذلك الإصحاح أيضاً ، عدد ٨ :

(أفلا ينصف الله مختاريه الصارخين إليه نهاراً وليلا وهو متمهل عليكم أقول لكم إنه ينصفهم سريعاً) .

كما جاء فى آخر رسالة بولس إلى أهل تسالونيكى « صلوا بلا انقطاع »(٢)

لذلك زادوا فيها إلى سبع صلوات فى اليوم والليلة وهى كالآتى :

١ — صلاة البكـور .

---

(١) المسيحية — مقارنة الأديان — للدكتور أحمد شلبى .

(٢) رسالة بولس الى أهل تسالونيكى الأولى إصحاح ٥ عدد ١٧ .

٢ ـ صلاة الساعة الثالثة .

٣ ـ صلاة الساعة السادسة .

٤ ـ صلاة الساعة التاسعة .

٥ ـ صلاة الساعة الحادية عشرة .

٦ ـ صلاة الساعة الثانية عشرة .

٧ ـ صلاة منتصف الليل (١) .

وليس للصلاة ترتيب خاص وإنما هى أدعية تختلف من مكان إلى مكان ويفسرونها بأنها استحضار أذهانهم لروح الصلاة على الدوام ، وكلما خطر على البال ذكر الله ومحبته يتجهون إليه سواء أكان بالقول أو بالتوجهات القلبية بدون كلام لأن الله يعلم ما فى القلوب .

ثانياً ـ عبادة الصوم عند المسيحيين :

يعنى الصوم عند المسيحيين الامتناع عن الطعام من الصباح حتى بعد منتصف النهار ثم تناول طعام خال من الدسم . ومواسم الصوم عند المسيحيين هى كالآتى :

١ ـ يوم الأربعاء لأنه يوافق يوم المؤامرة التى انتهت بالقبض على المسيح .

٢ ـ يوم الجمعة لأن المسيح صلب يوم الجمعة فى اعتقادهم .

٣ ـ صوم الميلاد ، وعدد أيامه ٤٣ يوماً تنتهى بعيد الميلاد .

٤ ـ الصوم المقدس ، وعدد أيامه ٥٥ يوماً تشمل عدد الأربعين يوماً التى صامها المسيح مضافاً إليها خمسة عشر يوماً أخرى هما أسبوعا الاستعداد والآلام .

---

(١) المرجع السابق .

٥ — صوم الرسل وعدد أيامه يزيد وينقص حسب الطوائف المسيحية وتتراوح مدته ما بين ١٥ ، ٤٩ يوماً .

٦ — صوم العذراء ، ومدته ١٥ يوماً تبدأ من أول شهر مسرى .

٧ — صوم أهل نينوى ومدته ٣ أيام ويبدأ يوم الاثنين(١) .

ما حرمه المسيحيون على أنفسهم خلال الصوم المقدس :

حرم المسيحيون على أنفسهم أكل كل حيوان أو ما يتولد منه أو ما يستخرج من أصله ، بل يقتصرون على أكل البقول ، وتحريمهم أكل اللحوم هو ما أحدثوه بالرأى بعد المسيح وتلاميذه متشبهين بالمانوية أصحاب مذهب مانى ، مع أن مانى زنديق على زعمهم .

هل الصوم عند المسيحيين فرض عليهم أم عبادة :

لايوجد فى الأناجيل نص يقضى بفرض الصوم ، وإنما فيها ذكره ومدحه واعتباره عبادة فقط ، وذلك كالنهى عن الرياء وعدم العبوس فى الصوم .

انظر إنجيل متى إصحاح ٦ عدد١٦ ، « ومتى صمتم فلا تكونوا عابسين »(٢) .

* * *

(١) المرجع السابق .
(٢) العهد الجديد بالكتاب المقدس .

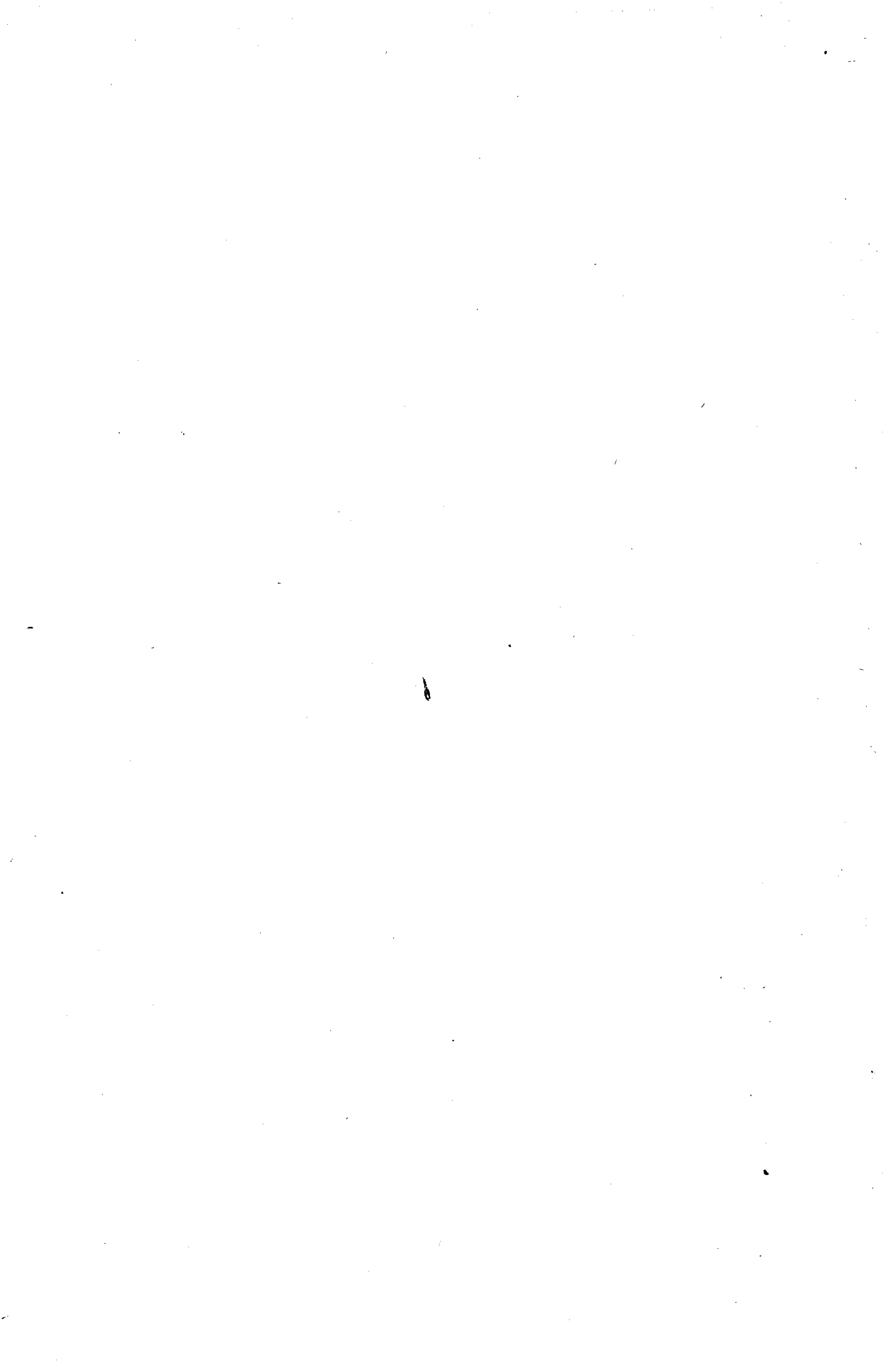
الباب الثانى

١ ـ المصادر الحقيقية لعقيدة النصرانية .

٢ ـ مقارنات بين عقائد الوثنية والنصرانية .

٣ ـ الديانات التى انسلخت من التوحيد وصارت إلى التعدد .

٤ ـ طوائف النصرانية وفرقها .



الفصل الأول

المصادر الحقيقية لعقيدة النصرانية

النصرانية فى القرن الأول الميلادى بعد ذهاب عيسى :

لما كانت تعاليم الفلسفة القديمة منتشرة فى أنحاء الإمبراطورية الرومانية ولم يتمكن المسيحيون من التغاضى عن تأثيرها ، لذلك قام أعلمهم فى الجيل الأول من التاريخ المسيحى وفتح مدرسة فى الإسكندرية ، وهذا العالم المسيحى يدعى القديس أمنيوس سقاس ، وقد قال عنه العلامة موسهيم فى تاريخه : إنه كان ذا عقل ثاقب ، وأفكار سامية ، كما كان فصيحاً .

أخذ ذلك القديس أمنيوس سقاس يؤلف بين الفلسفة والدين المسيحى ، فأخذ يعلم فلسفة يتحد بها المسيحيون مع كل الأديان السائدة .

١ ــ فنادى بأن الكون واللاهوت كلاهما جزءان من كل واحد عظيم ، وهذا الكل هو الله ، كما نادى بأزلية العالم وطبيعة النفس ، تعالى الله عما يقول علوا كبيراً .

٢ ــ وسمح للعامة بأن تعيش حسب شرائع بلادهم وماتقتضيه الطبيعة ، فكان الدين دينين ، دينا للعوام ، ودينا للعلماء والفلاسفة .

(أ) وكان العوام يمارسون الطقوس الوثنية .

(ب) وكان العلماء والخواص يحولون كل تواريخ الآلهة الوثنية إلى رموز واستعارات ، فأثبتوا من ذلك أن المسيح كان إنسانا خارق العادة ، وحبيب الله وعارفاً بعمل الله بنوع مدهش .

٣ ــ وانتشرت تعاليم ذلك القديس أمنيوس سقاس من مصر إلى

جميع الإمبراطورية الرومانية فى زمن قصير ، حيث جذبت لها أنصارا عديدين من طلاب العلوم وقتئذ .

٤ — من أشهر تلاميذ القديس أمنيوس سقاس (بلونيس) وكان حاذقا فى إجراء المناقشات فقام بنشر تعاليم أستاذه فى بلاد فارس ثم فى روما .

٥ — لما كان العوام — أكثر من العلماء والفلاسفة — لم يقتنعوا ببساطة المسيحية ، لأن اليهود وكهنة الوثنيين رشقوهم بالكفر لعدم وجود هياكل ولا مذابح ولا ذبائح ولا كهنة ولا احتفالات فى المسيحية مما اضطر علماء المسيحيين أن يدخلوا طقوسا خارجية تطرق حواس الشعب ، وهنا تدخلت الأسرار الوثنية فى الطقوس المسيحية . ولا سيما المعمودية والعشاء الربانى .

وقد ذكر موسهيم أيضاً أن كثيرا من الطقوس نشأ من عادات المصريين ، ثم قال بعد ذلك أن الشعب بوجه عام توغل جميعه فى الخرافات ، ولم يكترث بشىء إلا بالتماثيل والأيقونات والمعاذات (أى التعاويذ) كالخلاخيل والأحجبة وبالطقوس الفاسدة التى طمع الإكليروس فى فرضها عليهم ، نعم إن العلماء لم يفقدوا بالكلية كل معرفة الحق ، بل مزجوها ودنسوها بآراء وتعاليم بعضها مضحك وسقيم ، وبعضها مضر وخبيث ، وبعضها غير نافع ومضل . ولاريب أنه كان أناس أتقياء صالحون يرغبون فى المحاماة عن التقوى ، غير أنهم هم كانوا يحتاجون إلى المحاماة عنهم ضد تابعى الخرافة وعدم التقوى .

٦ — وتقول السيدة أنى بزنت عالمة الأديان فى كتابها (المسيحية)(١) « إن الأناجيل الأربعة التى جمعها المسيحيون فى القرن الرابع الميلادى ، تطابق الكتب المنتشرة بين الأسيويين وهم الهندوس والبوذيون ، والشنتويزيون والسيخيون ، كما أنها تحوى أسرارا خفية للأديان الأسيوية السابقة والتى لم تعلن إلا للقليلين .

---

(١) مصادر المسيحية وأصول النصرانية — للأستاذ محمد أفندى حبيب .

انظر متى — إصحاح ٧ عدد ٦ (لا تعطوا القدس للكلاب) .

ومتى إصحاح ١٥ عدد ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، (فأتت وسجدت له قائلة يا سيد أعنى ، فأجاب وقال : ليس حسنا يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب) .

ويوحنا إصحاح ٤ عدد ١٢ وما بعده :

قالت له المرأة يا سيد لادلو لك والبئر عميقة فمن أين لك الماء الحى ، ألعلك أعظم من أبينا يعقوب الذى أعطانا البئر وشرب منها هو وبنوه ومواشيه ، أجاب يسوع وقال لها : كل من يشرب من هذا الماء يعطش أيضا ، ولكن من يشرب من الماء الذى أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد .

١ — ويعلق (ول دورانت) على أسرار المسيحية بقوله فى كتابه (قيصر والمسيح) إن المسيحية لم تقض على الوثنية بل تبنتها . ذلك أن العقل اليونانى المحتضر عاد إلى الحياة فى صورة جديدة فى لاهوت الكنيسة وطقوسها ، وأصبحت اللغة اليونانية التى ظلت قرونا عدة صاحبة السلطان على السياسة — أداة الأدب والطقوس المسيحية ، وانتقلت الطقوس اليونانية الخفية إلى طقوس القداس الخفية الرهيبة ، وساعدت عدة مظاهر أخرى من الثقافة اليونانية على إحداث هذه النتيجة المتناقضة الأطراف .

وجاءت من مصر آراء الثالوث المقدس ويوم الحساب ، وأبدية الثواب والعقاب وخلود الإنسان فى هذه أو تلك ، ومنها جاءت عبادة أم الطفل والاتصال الصوفى بالله ، ذلك الاتصال الذى أوجد الأفلاطونية الحديثة ، واللا أدرية وطمس معالم العقيدة المسيحية .

وقصارى القول أن المسيحية كانت آخر شىء عظيم ابتدعه العالم الوثنى القديم . ا هـ .

٢ — أما العالم الإنجليزى (أدوين جونس) فيقول فى كتابه (نشأة

الديانة المسيحية) المطبوع فى مطبعة كيجن بول وشركاه بلندن : إن الدين المسيحى مأخوذ من أصلين ، أصل رومانى قديم ، وأصل إسلامى .

(أ) أما الأصل الرومانى فمنه أن للإله ابنا هو عبارة عن (رملس ابن ريا سلفيا) ابنة أحد الأمراء ، ورياسلفيا هذه نذرت العفة وانخرطت فى سلك العذارى المقيمات فى هيكل الإله (فستا) لعبادتها ، ولم يعرفها رجل على زعمهم ، ولما كانت فى الهيكل جاءها معبودهم مارس أو المريخ ، إله الحرب فحملت منه ، وولدت رملس مؤسس المملكة الرومانية ، وقد ثبتت هذه الفكرة عند الرومان مدة تقرب من ألف عام ، وانتشرت فى جميع الأمم التى خضعت للرومان ، كما نسب إلى (رملس) إله الرومان المولود من العذراء فستا ، الصعود إلى السماء فى مركبة نارية ، وذلك قبل ميلاد المسيح بأكثر من سبعة أجيال ، إذ إن الرومان يقولون إن رملس ولد سنة ٧٥٣ قبل الميلاد ، وكذلك ظهر رملس فى الأرض بعد الصعود كظهور المسيح ، لابسا سلاحا يخطف الأبصار ببريقه ، فلما دخل سكان الإمبراطورية الرومانية فى المسيحية ، وعلموا أن المسيح نشأ من العذراء بكيفية إعجازية استسهلوا أن يضاهوه بإلههم القديم (رملس) فجعلوه ، أى المسيح ابنا للإله أيضا وقالوا إنه صعد إلى السماء .

(ب) أما المسائل الإسلامية التى أدخلت فى الإنجيل على زعم هذا الكاتب الإنجليزى ، فهى كثيرة من ضمنها الكلام عن النبى محمد (ﷺ) الوارد فى إنجيل يوحنا ، فإن المسيحيين لا يمكنهم أن ينكروا أن لفظ (بيركليتس) أو (باركليت) معناه محمد ، ويستطرد هذا الكاتب فيقول إن هذه الكلمة دخلت فى الإنجيل بعد القرآن جهلا من النصارى ، والمسلمون يقولون إنها كانت فى الإنجيل الأصلى ، طبقا لما حكاه القرآن على لسان عيسى قال تعالى (وإذ قال عيسى ابن مريم يا بنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد ، فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين) (١) .

---

(١) القرآن الكريم — سورة الصف : آية (٦) .

كما يقرر هذا العالم الإنجليزى أن دين اليهود كان قد تلاشى تقريبا قبل ظهور الإسلام ، وأن دين النصارى كان منه مبادىء طفيفة فى وسط الممالك الأوروبية حتى كأنه قطعة من السكر فى البحر الملح .

فلما ظهر الإسلام قوى اليهود قوة كبيرة ، وصار علماؤهم يكتبون باللغة العربية ، واكتسبوا أمورا كثيرة من الإسلام ، وبها أحيوا دينهم حتى ليمكن القول أنهم أحيوه بواسطة العلوم الإسلامية ، لأن مبادىء الأديان الحقة الثلاثة كلها واحدة ، وصاروا سببا فى نشر الأفكار الإسلامية فى أوربا بصيغة إسرائيلية .

فلما حصل التمهيد بواسطة اقتباسات اليهود من الإسلام ، قامت الرهبان النصارى أيضا بعمل مماثل لعمل اليهود لتقوية النصرانية ، فأدخلوا فى الإنجيل أشياء كثيرة إسلامية أخذوها من الإسلام حتى فى السياسة ، حتى لقد صار البابا فى تعيينه ، مثل الخليفة عند المسلمين لابد من انتخابه ، وجاء اتصال الرهبان المسيحيين وهم فى إيطاليا بالمسلمين عن طريق المستعمرات الإسلامية التى كانت تحتاط بهم حيث يوجد بها المساجد الإسلامية الكثيرة وقتئذ .

٧ — ومن الخطأ الادعاء بأن عقائد المسيحية مستمدة من الأناجيل أو من أقوال المسيح ، لأن(١) الاتجاهات فى تلك العقائد المسيحية وجدت قبل المسيح وقبل الأناجيل بمئات السنين . ويربط الأستاذ عباس العقاد فى كتابه (عقائد المفكرين فى القرن العشرين) بين المسيحية وعقائد البدائيين فيقول : إنه لما كشفت أمريكا الوسطى وجد الأسبان فيها أقواما يتعبدون على أديان لا يعرفونها ، فخف القساوسة والمبشرون إلى البلاد الجديدة ليبحثوا فى أديانها ، ويحولوا أقوامها إلى العقيدة المسيحية ، فأدهشهم بعد قليل من الدراسة أن يروا لهم شعائر على شىء من الشبه بنظائرها فى الديانة المسيحية ، وذلك كالتكفير عن الخطيئة ، والخلاص ، وبعض المناسك الأخرى .

---

(١) مقارنة الأديان — المسيحية — للدكتور أحمد شلبى .

٨ — ويقول العلامة جارسلاف كربتى أستاذ اللغويات ، بجامعة أكسفورد بإنجلترا فى كتابه (ديانة قدماء المصريين) بوجود التماثل والتطابق بين الثالوث المسيحى والثالوث الفرعونى ، الأمر الذى دعاه إلى التقرير بأن الثالوث المسيحى مأخوذ من الثالوث الفرعونى .

٩ — ويلاحظ غوستاف لوبون تشابها واضحا بين الديانة البوذية وبين المسيحية ، مع أن البوذية ظهرت قبل المسيحية بأكثر من خمسة قرون ، وهذا التشابه من ناحية الشكل ومن ناحية الموضوع فيقول فى كتابه حضارة الهند : إنك تلاحظ تماثلا عجيبا من كل وجه بين صيام عيسى فى البرية ، حيث حاول الشيطان أن يغويه ثلاث مرات ، وصيام بوذا فى الأيام حيث حاول الشيطان أن يغويه ثلاث مرات أيضاً ، ويذكرنا ما حدث لهذا الحكيم الهندوسى مع المرأة التى طلب منها أن تسقيه وهى من الطبقة الدنيا ، بما حدث لعيسى مع السامرية ، وما قاله لها ، وكلتا الديانتين أمرتا بالإحسان والزهد ، وكلتاهما ناطتا الخطيئة بالنيات كما تناط بالأعمال ، وكلتاهما ابتدعتا الرهبانية ، ولم تكونا سوى وجهين لحادث مهم واحد فى تاريخ العالم . ويختم غوستاف لوبون هذه المقارنة بقوله : وليس مما نبالى به كثيرا أن تكون إحداهما مدينة للأخرى .

١٠ — ويقول الأستاذ الدكتور أحمد شلبى فى كتابه (مقارنة الأديان) عن المسيحية : إن مسيحية بولس استعارت عقيدتها وشعائرها من البوذية ، فطبيعة اللاحق أن يستعير من السابق ، ولا يمكن العكس أن يكون ، وبخاصة أن هذه الاتجاهات دونت قبل ظهور عيسى ، وهى وليدة الحياة الهندية وسائدة فى أفقها .

١١ — ويقول الخواجا كمال الدين فى مؤلفه عن المسيحية : إن تعاليم عيسى وكلماته لا تتسق مع اتجاه الكنائس فى عهدها الحاضر ، وإن أكثر تعاليم المسيحية الحالية مستعار من الوثنية .

١٢ — كما يقرر العالم روبرتسون أن ديانة متراس لم تنته فى روما إلا بعد أن انتقلت عناصرها الأساسية إلى المسيحية .

١٣ — ولقد عقد الخواجا كمال الدين وزميله روبرتسون مقارنة بين العقائد الوثنية وبين عقائد المسيحية الحالية وانتهيا إلى الآتى :

قبل ظهور المسيح كانت هناك معابد كثيرة تقدس عددا كبيرا من الآلهة.

(أ) فهناك مثلا آبلو الذى كان يقدسه الإغريق .

(ب) وهيركوليس معبود الرومان .

(ج) ومترا معبود الفرس .

(د) وأدونيس معبود السوريين .

(ه) وأوزيريس وحوريس وإيزيس معبودات المصريين القدماء .

(و) وبعل معبود البابليين .

وكانت هذه الآلهة تعتبر كلها من نسل الشمس ، وفى تلك الأديان أو أكثرها توجد المعتقدات الآتية :

(أ) كل هذه الآلهة ينسب لها أنها ولدت فى نفس الفترة (الشهر أو الموسم) التى ينسب لعيسى أنه ولد فيها .

(ب) كل هؤلاء ولدوا فى كهف أو حجرة تحت الأرض .

(ج) كلهم عاشوا حياة فيها عناء من أجل الجنس البشرى .

(د) جميعهم كانوا يوصفون (المخلص ، المنقذ ، الوسيط) .

(ه) كلهم قهروا الشر والظلام .

(و) ألقى بهم بعد هزيمتهم فى المدافن أو النيران السفلى .

(ز) جميعهم هبوا من مدافنهم بعد الموت وصعدوا إلى عالم السماء .

(ح) كلهم أسسوا خلفاء لهم ورسلا ومعابد .

١٤ — ومن العجب أن أمر عقائد المسيحيين وشعائرهم واستمدادها من الديانات الوثنية السابقة والمعاصرة لها ، ليس بخاف على الكهنة المسيحيين الذين يقودون شعب الكنيسة فى أنحاء الأرض ، ومما يؤكد هذا النظر أن الأستاذ محمد فؤاد الهاشمى وقد كان قسيسا مسيحيا قبل إسلامه يقول فى كتابه « إن المسيحية فى أصولها دين روحى سماوى جاء به المسيح من عند الله ، ولكن الكهنة فى كل زمان ومكان يحتكرون الأسرار لأنفسهم ، تلك الأسرار التى لو كشفنا عنها لتبين أنهم يعرفون الحق ويحيدون عنه ، وإنه ليمنعنى من الدخول فى أسرار الكنائس عديد من الاعتبارات سوف تزول ويأتى الوقت الذى نفصح فيه عن كل شىء ، وقد احتفظ رجال الكهنوت بكثير من الأسرار وأباحوا الرموز للشعب ، وهذه سنة جرى عليها جميع الكهنة من قبل المسيحية ، وقد أشار السيد المسيح إلى هؤلاء الكهنة عندما وجه القول إلى الفريسيين والصدوقيين من اليهود قائلا لهم : لا تضعوا المصباح تحت المكيال . وقد عنى المسيح بالمكيال الرموز والطقوس ، كما عنى بالمصباح الحقائق المستورة تحت الرموز والطقوس(١) » .

* * *

(١) كتاب (الأديان فى كفة الميزان) بقلم الأستاذ محمد فؤاد الهاشمى .

الفصل الثانى

مقارنات بين عقائد الوثنية فى دياناتها
والنصرانية فى عقائدها الحالية

أوجه الشبه بين ديانة مترا و المسيحية تفصيلا

ما هى الديانة الميترية :

هذه الديانة فارسية الأصل ، وقد وجدت فى بلاد الفرس قبل ميلاد المسيح بستة قرون تقريبا ، ثم نزحت إلى روما حوالى سنة ٧٠ قبل الميلاد ، ومن هناك انتشرت فى بلاد الرومان ، وصعدت إلى شمال إيطاليا حتى وصلت إلى بريطانيا ، حيث اكتشفت بعض آثارها فى مدينة يورك ومدينة سستر وغيرها من المدن هناك .

وإذا نظرنا إلى عقائد المسيحيين فى المسيح ، وجدناها تطابق عقائد أتباع ميترا فيه ، وإليك البيان(١) :

ما كان يقوله أصحاب ديانة ميترا	أقوال النصارى والمسيحيين فى المسيح
١ — ولد ميترا فى زاوية من الأرض	١ — ولد المسيح فى غار .
٢ — ولد ميترا فى ٢٥ ديسمبر	٢ — والمسيح ولد فى ٢٥ ديسمبر عند المسيحيين الأوروبيين .
٣ — دفن ميترا ولكنه عاد للحياة وقام من قبره .	٣ — والمسيح بعد دفنه قام من قبره .

(١) كتاب (مقارنة الأديان — المسيحية) للدكتور أحمد شلبى .

ماكان يقوله أصحاب ديانة ميترا	أقوال النصارى والمسيحيين فى المسيح
٤ — مات ميترا ليخلص البشر من خطاياهم .	٤ — ومات المسيح ليخلص البشرية من الخطيئة الأزلية .
٥ — صعد ميترا إلى السماء أمام تلاميذه وهم يبتهلون له ويركعون	٥ — والمسيح صعد إلى السماء بعد قيامته من قبره .
٦ — كان حواريو ميترا (١٢) حواريا	٦ — وكان للمسيح ١٢ تلميذا .
٧ — من أوصاف ميترا أنه كان كالحمل الوديع .	٧ — والمسيح من صفاته عندهم أنه كان كالحمل الوديع .
٨ — كان أتباع ميترا يعمدون باسمه	٨ — والمسيحيون لديهم هذا التعميد بوصفه ختم عهد النعمة لهم .
٩ — وفى ذكراه كل عام يقام عشاء مقدس	٩ — وفى المسيحية عشاء ربانى يعتبر طعاما مقدسا روحيا للمسيحيين.
١٠ — ميترا كان رمزا للطهارة	١٠ — والمسيح مطهر القلوب.
١١ — ميترا كان يدعى مخلصا من الخطيئة ومنقذا .	١١ — والمسيح مخلص الخطاة ومنقذ .
١٢ — ميترا كان تاجا للمؤمنين .	١٢ — والمسيح إكليل حياتهم.
١٣ — ميترا كان الذبيح الفادى	١٣ — والمسيح قدم نفسه لفداء العـــالم .
١٤ — ميترا كان شفيع المذنبين .	١٤ — والمسيح شفيع لدى الأب.
١٥ — ميترا وسيط بين الله والبشر :	١٥ — والمسيح وسيط بين الله والناس .
١٦ — ميترا شمس الحياة .	١٦ — والمسيح شمس البر .

١ — ومن هذه المقارنة يتبين وجه الشبه الكبير بين ميترا إله الرومان واليونان ، فى خلال مدة حكم إمبراطور الرومان قسطنطين ، لذلك قبل إمبراطور الرومان المذكور دخول المسيحية مع محافظته على آثار وشعائر ميترا ، التى تشبه كما قدمنا شعائر المسيحية .

٢ — مما يؤيد هذا القول أن العلامة جون روبرتس يقرر أن الميترايزمية لم تمت باعتناق الرومان للمسيحية لكنها تقمصت فى المسيحية (١) .

٣ — والإمبراطور قسطنطين هذا كان متصفا بالقسوة حتى لقد قتل ابنه كرسيوس وامرأته قسطا بتهمة وهمية كما خان صهره ليسينوس ، وقد اعتنق المسيحية ليؤسس بها المسيحية الملكية أو المسيحية السياسية حماية لدولته من الانهيار .

٤ — أسبغ ذلك الإمبراطور على المسيحية السياسية التى اعتنقها ، غلظته وقسوته ، لذلك أعطى للإكليروس المسيحى ما كان للكهنة الوثنيين من الهيبة والصولة ، وزاد فى أوقاف الكنائس ، وشجع إقامتها فى كل مكان.

٥ — قام أتباع ذلك الإمبراطور بسن القوانين وإصدار الأوامر فى سنة ٣٤٢ ميلادية ، بإغلاق كل الهياكل الوثنية ، وقتل مخالفى الدين المسيحى بكيفية صارمة ، سماها موسهيم بالشريعة الظالمة لأنها اغتصاب للضمير وقهره دون أن تقوم بإقناعه ، وهذا ينافى روح الديانة المسيحية الأصيلة التى تقوم على العفو والتسامح(٢) .

٦ — ومن هنا تشرب أكثر النصارى القسوة البربرية التى بمقتضاها أباحوا قتل مخالفيهم فى الدين أو المذهب واغتياله ، طبقا لما هو مروى فى كتب التاريخ طوال أعصرهم المختلفة (٣) .

---

(١) كتاب (مصادر المسيحية وأصول النصرانية) تأليف محمد أفندى حبيب .

(٢ ، ٣) المرجع السابق .

مقارنة بين ما يقوله عباد الوثنيين فى بوذا

وما يقوله النصارى المسيحيون فى يسوع المسيح

أقوال الهنود الوثنيين فى بوذا الذى يزعمون أنه ابن الله	أقوال النصارى والمسيحيين فى يسوع الذى يزعمون أنه ابن الله
١ — ولد بوذا من العذراء مايا بغير مضاجعة رجل .	١ — ولد يسوع المسيح من العذراء مريم بغير مضاجعة رجل .
٢ — كان تجسد بوذا بواسطة حلول روح القدس على العذراء مايا.	٢ — كان تجسد يسوع المسيح بواسطة حلول روح القدس على العذراء مريم .
٣ — لما نزل بوذا من مقعـــد الأرواح ودخل فى جسد العذراء مايا صار رحمها كالبلور الشفاف النقى وظهر بوذا منه كزهرة جميلة .	٣ — لما نزل يسوع من مقعده السماوى ودخل فى جسد مريم العذراء صار رحمها كالبلور الشفاف النقى وظهر فيه يسوع كزهرة جميلة .
٤ — وقد دل على ولادة بوذا نجم ظهر فى أفق السماء ويدعونه نجم المسيح .	٤ — وقد دل على ولادة يسوع نجم ظهر فى الشرق ومن الواجب أن يدعى نجم المسيح .
٥ — ولد بوذا من العذراء مايا التى حل فيها الروح القدس يوم عيد الميلاد أى فى ٢٥ كانون الأول .	٥ — ولد يسوع من العذراء مريم التى حل فيها الروح القدس يوم عيد الميلاد أى فى ٢٥ كانون أول .
٦ — لما ولد بوذا فرحت جنود السماء ورتلت الملائكة أناشيد المجد للمولود المبارك قائلين : ولد اليوم	٦ — ولما ولد يسوع فرحت ملائكة السماء ورتلوا الأناشيد حمداً للواحد المبارك قائلين : المجد لله فى

أقوال الهنود الوثنيين فى بوذا الذى يزعمون أنه ابن الله	أقوال النصارى والمسيحيين فى يسوع الذى يزعمون أنه ابن الله
بوذا على الأرض كى يعطى الناس المسرات والسلام ويرسل النور إلى إلى المجالات المظلمة ويهب بصراً للعمى .	الأعالى ، وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة .
٧ ـ وعرف الحكماء بوذا وأدركوا أسرار لاهوته ولم يمض يوم على ولادته حتى جاء الناس ودعوه إله الآلهة .	٧ ـ وقد زار الحكماء يسوع وأدركوا أسرار لاهوته ، ولم يمض يوم على ولادته حتى دعوه إله الآلهة
٨ ـ وأهدوا بوذا وهو طفل هدايا من مجوهرات وغيرها من الأشياء الثمينة .	٨ ـ وأهدوا يسوع وهو طفل هدايا من ذهب وطيب ومر .
٩ ـ ولما كان بوذا طفلا قال لأمه مايا أنه أعظم الناس جميعاً .	٩ ـ ولما كان يسوع طفلا قال لأمه أنا ابن الله .
١٠ ـ كان بوذا ولداً مخيفاً وقد سعى الملك جمارا لقتله لما أخبروه أن هذا الغلام سينتزع الملك من يده إن بقى حياً .	١٠ ـ كان يسوع ولداً مخيفاً وسعى الملك هيردوس وراء قتله كى لا ينتزع الملك من يده .
١١ ـ وعندما كان بوذا على وشك أن يبدأ دعوته ظهر له الشيطان mara مارا ليحاول تضليله .	١١ ـ وعندما بدأ عيسى دعوته ظهر له الشيطان The devil محاولا تضليله .
١٢ ـ قال الشيطان لبوذا ـ ابتعد عن الدعوة الدينية وتصبح إمبراطور العالم .	١٢ ـ وقال الشيطان لعيسى إذا سجدت لى سأجعلك ملكاً على كل العالم .

أقوال الهنود الوثنيين فى بوذا الذى يزعمون أنه ابن الله

١٣ — ولم يهتم بوذا بالشيطان مارا وصاح : ابتعد عنى .

١٤ — وبعد أن انتصر بوذا على الشيطان مارا أمطرت السماء زهوراً وعبق الهواء بعبير الطيب .

١٥ — وصام بوذا فترة طويلة .

١٦ — وتعمد بوذا بالماء المقدس وفى أثناء تعميده كانت روح الله حاضرة وكذلك روح القدس .

١٧ — وتقبل صلاة البوذيين وتقودهم إلى الفردوس ما دامت تقدم باسم بوذا .

١٨ — وعندما مات بوذا ودفن شق قبره بقوة من قوى ما فوق الطبيعة وعاد للحياة .

١٩ — وصعد بوذا إلى السماء بعد أن أتم دعوته على الأرض .

٢٠ — وسيعود بوذا إلى الأرض فى آخر الزمان ليواصل دعوته ويستعيد مجده ويملأ الأرض سعادة ونعيماً .

٢١ — وسيوكل حساب الناس إلى بوذا بعد البعث .

أقوال النصارى والمسيحيين فى يسوع الذى يزعمون أنه ابن الله

١٣ — ولم يسمع عيسى لكلمات الشيطان وصاح به : اخسأ أيها الشيطان .

١٤ — وبعد أن انتصر عيسى على الشيطان هبطت الملائكة لعيسى وكرمته .

١٥ — وصام عيسى أربعين يوماً بلياليها .

١٦ — وعمد يحي عيسى فى نهر الأردن ، وكان ذلك أيضاً فى حضرة روح الله وروح القدس .

١٧ — وتقبل صلاة المسيحيين ما دامت باسم عيسى وينالون بسببها الفردوس .

١٨ — وعندما مات عيسى ودفن أزاحت قوة ما فوق الطبيعة الحجارة من قبره وعاد عيسى للحياة .

١٩ — وصعد عيسى كذلك بعد انتهاء دعوته على الأرض .

٢٠ — وسيعود عيسى كذلك ليحكم الأرض من جديد وينشر دعوته ويملأ الأرض بالخير والسلام .

٢١ — وسيوكل لعيسى أيضاً أن يحاسب الناس فى الدار الآخرة .

أقوال الهنود والوثنيين فى بوذا الذى يزعمون أنه ابن الله	أقوال النصارى والمسيحيين فى يسوع الذى يزعمون أنه ابن الله
٢٢ — وبوذا لا أول له ولا نهاية وهو خالد .	٢٢ — وعيسى لا أول له ولا نهاية وهو خالد كالأب .
٢٣ — ويروى عن بوذا أنه قال : إننى أحمل سيئات البشر عنهم ليصلوا إلى السلامة .	١٣ — وعيسى مخلص البشر الذى قدم نفسه فداء ليكفر عن خطيئة آدم أبى البشر .
٢٤ — ويروى عن بوذا قوله « أخف أعمالك الطيبة وأعلن على الناس سيئاتك التى ترتكبها » .	٢٤ — ومما علمه عيسى لتلاميذه أن يخفوا أعمالهم الطيبة ويعلنوا مساوئهم وخطاياهم .
٢٥ — وأوصى بوذا أتباعه بالشفقة والحب حتى مع أعدائهم .	٢٥ — وقال عيسى لأتباعه أحبوا أعداءكم وباركوا لاعنيكم وأحسنوا لمن يبغضكم .
٢٦ — ونصح بوذا حوارييه وأتباعه أن يطرحوا الدنيا جانباً ويتنازلوا عن غناهم ويؤثروا الفقر ليقبلوا فى دعوته .	٢٦ — واشترط عيسى على من يريد دخول الدعوة أن يتصدق بماله ويؤثر الفقر ليدخل ملكوت السموات .
٢٧ — وكان هدف بوذا الأسمى أن يكون ما سمته الفلسفة البوذية ملكوت السماء .	٢٧ — ودعا عيسى منذ مطلع رسالته أتباعه ليدخلوا ملكوت السموات .
٢٨ — نادى بوذا بعدم الزواج وشبه الزواج بالاحتراق فى الفحم .	٢٨ — روى عن عيسى قوله أنه من الأفضل للرجل ألا يمس امرأة .
٢٩ — ولم يجز بوذا الزواج إلا عند خوف الزنا .	٢٩ — روى عن عيسى أنه قال إذا خاف الإنسان الزنا جاز له أن يتزوج ، فالزواج خير من الاحتراق فى النار .

أقوال الهنود والوثنيين فى بوذا الذى يزعمون أنه ابن الله .	أقوال النصارى والمسيحيين فى يسوع الذى يزعمون أنه ابن الله
٣٠ — إن بوذا هو الابن الوحيد وإنه تجسد فى الناسوت وقدم نفسه ذبيحة ليكفر عن ذنوب البشر ومن ثم يسمونه المسيح والمخلص والابن.	٣٠ — إن الابن يسوع الكلمة التى تجسدت فى المسيح نتيجة التقاء روح القدس بمريم العذراء، وإنه صلب تكفيراً عن خطيئة آدم الأزلية التى انتقلت إلى ذريته حتى خلصهم المسيح بقتله وصلبه عن هذه الخطيئة (١) .

مقارنة بين عقائد المسيحيين حالياً

وعقائد الوثنيين من البراهمة الهنود

أقوال الهنود الوثنيين فى كريشنه	أقوال النصارى المسيحيين فى عيسى أو يسوع
١ — كريشنه هو المخلص والفادى والمعزى والراعى الصالح والوسيط وابن الله والأقنوم الثانى من الثالوث المقدس وهو الآب والابن والروح القدس .	١ — يسوع المسيح هو المخلص والفادى والمعزى والراعى الصالح والوسيط وابن الله والأقنوم الثانى من الثالوث المقدس وهو الآب والابن والروح القدس .

(١) كتاب (مقارنة الأديان — المسيحية) للدكتور أحمد شلبى .

أقوال الهنود الوثنيين فى كريشنه	أقوال النصارى والمسيحيين فى عيسى أو يسوع
٢ — ولد كريشنه من العذراء ديفاكى التى اختارها الله والدة لابنه بسبب طهارتها وعفتها .	٢ — ولد يسوع من العذراء مريم التى اختارها الله والدة لابنه بسبب طهارتها وعفتها .
٣ — مجدت الملائكة ديفاكى والدة كريشنه ابن الله وقالوا : يحق للكون أن يفاخر بابن هذه الطاهرة .	٣ — فدخل إليها الملاك وقال : سلام لك أيها المنعم عليها – الرب معك .
٤ — عرف الناس ولادة كريشنه من نجمه الذى ظهر فى السماء .	٤ — لما ولد يسوع ظهر نجمه من المشرق وبواسطة ظهور نجمه عرف الناس محل ولادته .
٥ — لما ولد كريشنه سبحت الأرض وأنارها القمر بنوره وترنمت الأرواح وهامت ملائكة السماء فرحاً وطرباً ورتل السحاب بأنغام مطربة .	٥ — لما ولد يسوع المسيح رتل الملائكة فرحاً وسروراً وظهر من السحاب أنغام مطربة .
٦ — كان كريشنه من سلالة ملوكانية ولكنه ولد فى غار بحال الذل والفقر .	٦ — كان يسوع المسيح من سلالة ملكية ويدعونه ملك اليهود ، ولكنه ولد فى حالة الذل والفقر بغار فى فلسطين .
٧ — لما ولد كريشنه أضىء الغار بنور عظيم وصار وجه ديفاكى أمه يرسل أشعة نور ومجد .	٧ — لما ولد يسوع المسيح أضىء الغار بنور عظيم أعيا بلمعانه عينى القابلة وعينى خطيب أمه يوسف النجار .

أقوال الهود الوثنيين فى كريشنه	أقوال النصارى والمسيحيين فى عيسى أو يسوع
٨ — ومن بعد ما وضعته صارت تبكى وتندب سوء عاقبة رسالته فكلمها وعزاها .	٨ — قال يسوع المسيح لأمه وهو طفل: يامريم أنا يسوع ابن الله وجئت كما أخبرك جبرائيل الذى أرسله أبى وقد أتيت لأخلص العالم .
٩ — وعرفت البقرة أن كريشنا إله وسجدت له .	٩ — وعرف الرعاة يسوع وسجدوا له .
١٠ — وآمن الناس بكريشنه واعترفوا بلاهوته وقدموا له هدايا من صندل وطيب .	١٠ — وآمن الناس بيسوع المسيح .
١١ — وسمع نبى الهنود (نارد) بمولد الطفل الإلهى كريشنه فذهب وزاره فى (كركول) وفحص النجوم فتبين له من فحصها أنه مولود إلهى يعبد .	١١ — ولما ولد يسوع فى بيت لحم اليهودية فى عهد هيرودوس الملك إذا المجوس من المشرق قد جاءوا إلى أورشليم قائلين: أين هو المولود ملك اليهود .
١٢ — أن كريشنا انبثق من الإله براهما الذى كان قبل الوجود حيث خلق العالم وسمى نفسه الخالق ، وكريشنا هو الذى خلص بنى الإنسان بتقديم نفسه للصليب فداء عنهم ومن ثم يصورونه مصلوبا مثقوب اليدين والرجلين وعلى قميصه صورة قلب إنسان معلق ، وهناك إله آخر انبثق من الإله براهما ويدعى سيفا موكل بالخراب والفناء .	١٢ — إن الأب هو الأصل والابن هو الكلمة التى تجسدت فى المسيح ،وأن إعدام المسيح صلباً كان تكفيراً منه عن خطيئة آدم الأزلية ، بعد أن أكل من شجرة المعرفة فانتقلت الخطيئة إلى ذريته جيلا بعد جيل. وإلى جميع نسله حتى افتداهم المسيح وخلصهم من هذه الخطيئة ، بقتله وصلبه. وهناك أقنوم ثالث ضمن ثالوث الإله هو روح القدس .

مقارنة بين محاكمة المسيح وبعل إله البابليين :

إن ديانة البابليين كانت معيناً للمسيحية فى موضوع قصة محاكمة المسيح وصلبه ، وقد وضع البابليون قصة محاكمة إلههم بعل فى تمثيلية مؤثرة كانت تمثل كل عام قبل ميلاد المسيح بقرون عديدة ، والغريب أن هذه التمثيلية كانت حافلة بالغموض والحزن ، وقد اكتشف فى مطلع هذا القرن بأرض بابل لوحتان يرجع تاريخهما إلى القرن التاسع قبل الميلاد ، وسجلت عليهما قصة محاكمة بعل ونهايته ، وقد أخذ اليهود إلى سجن بابل بعد هزيمتهم منذ عهد بختنصر ، وهناك رأوا هذه التمثيلية تعرض مطلع كل ربيع ، وعندما عاد اليهود بعد الإفراج عنهم فى بابل إلى فلسطين كانت هذه القصة عالقة بأذهانهم ، ومؤثرة فى حياتهم فانعكست على آدابهم وعلى حياتهم العامة ، حتى إنه عقب نهاية المسيح ، ظهرت تمثيلية بعل بنفس عناصرها مع فارق بسيط هو وضع اسم المسيح مكان اسم بعل ، حتى يمكن القول إن قصة صلب المسيح كما توردها الأناجيل ، هى قصة بعل وضعت بعد انتحال اسم المسيح عليها .

ولندلل على ذلك بما يأتى :

محاكمة بعل	محاكمة المسيح
١ — أخذ بعل أسيراً .	أخذ عيسى أسيراً .
٢ — حوكم بعل علناً .	حوكم عيسى علناً .
٣ — جرح بعل بعد المحاكمة .	اعتدى على عيسى بعد المحاكمة .
٤ — اقتيد بعل لتنفيذ الحكم على الجبل .	اقتيد عيسى لصلبه على الجبل .

محاكمة بعل	محاكمة المسيح
٥ — كان مع بعل مذنب حكم عليه بالإعدام ، وجرت العادة أن يعفى كل عام عن شخص حكم عليه بالموت — وقد طلب الشعب إعدام بعل والعفو عن المذنب الآخر .	وكان مع عيسى قاتل اسمه باراباس محكوم عليه بالإعدام ورشح بيلاطس عيسى ليعفى عنه كالعادة كل عام ، ولكن اليهود طلبوا العفو عن باراباس وإعدام عيسى .
٦ — بعد تنفيذ الحكم على بعل عم الظلام وانطلق الرعد واضطرب الناس .	عقب تنفيذ الحكم على عيسى زلزلت الأرض وغامت السماء .
٧ — حرس بعل فى قبره حتى لا يسرق أتباعه جثمانه .	حرس الجنود مقبرة عيسى حتى لا يسرق تلاميذه جثمانه .
٨ — الإلهات جلسن حول مقبرة بعل يبكينه .	مريم المجدلية — ومريم أخرى جلستا عند مقبرة عيسى تنتحبان عليه .
٩ — قام بعل من الموت وعاد إلى الحياة مع الربيع وصعد إلى السماء .	قام عيسى من قبره فى يوم أحد (١) وفى مطلع الربيع أيضاً وصعد إلى السماء .

(١) كتاب (مقارنة الأديان — المسيحية) للدكتور أحمد شلبى .

الفصل الثالث

الديانات التى انسلخت من التوحيد وصارت إلى تعدد الآلهة الثنائية ـ أو التثليث ـ أو التاسوع أو إلى أكثر من ذلك

هل كانت النصرانية هى الديانة الوحيدة التى صارت إلى التثليث :

كانت عقيدة النصرانية فى أساسها قائمة على توحيد الله بالعبادة وأن عيسى عليه السلام بشر رسول .

١ ـ فمن يرجع إلى النصوص التى جاء بها المسيح لا ما ألحق بكلامه وسيرته من التأويل يجدها كلها تدعو إلى التوحيد الخالص ، وأن ما ورد من كلمة البنوة لله فى بعض المواقف ما كانت إلا من قبيل المجاز ويراد منها المحبة والطاعة ، ولهذا كانت تستعمل مع جميع المؤمنين الصالحين ولا يختص بها عيسى عليه السلام ، وذلك حسبما جاء فى أمر المسيح القائل لهم (يجب أن تصلوا هكذا : أبانا الذى فى السموات ليتقدس اسمك ، ولتكن مشيئتك ، كما فى السماء كذلك على الأرض ، اغفر لنا ذنوبنا) وفى هذا المقام يستطيع كل نصرانى أن يقف ويناجى أباه أى ربه الذى دعاه المسيح أبانا بصيغة الجمع ، أى أنه أب للجميع وليس ذلك قاصراً على المسيح فقط ، أى أنه ليس أبا للمسيح فقط ، ولذا جاء فى بعض نصوص الإنجيل من أطاع الله كان ابناً لله ومن أطاع الشيطان كان ابنا للشيطان .

٢ ـ ومن مناقشة أحد الفريسيين للمسيح يتضح بجلاء أن المسيح لم يكن إلها ولم يدع يوماً أنه إله ، يقول له الفريسى : أيها المعلم الصالح أى صلاح أعمل لتكون لى الحياة الأبدية .

فيستنكر المسيح ذلك منه ويقول له : لماذا تدعونى صالحاً ليس أحد

صالحاً إلا واحدٌ وهو الله (١) .

٣ — وفى رسالة يوحنا الأولى نجد أن يوحنا الرسول يقر بأن الله سبحانه وتعالى لم يره أحد قط وهذا نص كلامه (الله لم يره أحد قط) (٢) .

إلا أنه بعد انقراض أجيال المسيحية الأولى انتشر معتنقو النصرانية بين الأمم الأجنبية خصوصاً فى بلاد الرومان ، حيث كانت تدين بالوثنية ، وبين الأمة المصرية حيث الفلسفات الوثنية فاختل نظام الدعوة التى جاء بها السيد المسيح ، واستحدثت الأفكار الغريبة عنها ، وحرفت دعوة المسيح وشوهت المسيحية فكثرت فيها الآراء الفلسفية ، وأمسك الكهنة بزمام الأمور ، فشاعت بين النصارى عقيدة الثالوث المجتمع من الآب والابن والروح القدس ، وأن الله ، وإن كان واحداً إلا أنه من أقانيم ثلاثة هى الآب والابن والروح القدس ، وإن المسيح هو الابن من هذه الأقانيم ، ثم أشاع الكهنة ، تأليه القديسين والشهداء ، ثم انحدروا بها إلى الحضيض حتى أصبح القسيس وكيل الله على الأرض ، فما يحله فى الأرض يحله الله فى السماء ، وما يربطه على الأرض يربطه الله فى السماء.حتى تحولت المسيحية التى جاء بها المسيح لتخليص العالم من ترهات اليهود ، عن طريقهاالذى رسمه الله ، إلى طريق رسمه الكهنة والقساوسة .

ولم تكن النصرانية وحدها بين الأديان السابقة هى التى طرأ عليها ذلك التحول ،بل إن ذلك التطور الخطير أصاب الأديان السابقة جميعها فانحدرت من الوضوح التام والنقاء الفطرى فى الوحدانية للإله الواحد الأحد، إلى ظلام الشرك والتعدد طبقاً للآتى :

أولا — الديانة الهندوكية :

هى ديانة الغالبية من شعب القارة الهندية ، ولقد جاء فى أحد فصول الفيدا ،وهو مكتوب باللغة السينسكريتية القديمة ذكر الإله الواحد واسمه

(١) العهد الجديد — إنجيل متى إصحاح ١٩ من عدد ١٦ إلى عدد ١٧ .
(٢) رسالة يوحنا الأولى إصحاح ٤ عدد ١٢ .

(برهما سباتى) ومعناه رب الصلاة مجيب الدعاء، فالله عند قدماء البراهمة واحد ألا شريك له سرى منه الروح فى جميع الكائنات من جماد ونبات وحيوان . وورد ما يؤيد ذلك فى أسفار الفيدا على غاية من البساطة دون تعقيد ما ترجمته :

أنا الله نور الشمس ، ضوء القمر ، بريق اللهب ، وميض البرق ، صوت الريح ، أنا الأصل القديم لجميع الكائنات ، منى الحياة لكل الوجود ، معطى الصلاح ، أول آخر (١) .

عقيدة البراهمة :

إن عقيدة البرهمية فى بنودها أو مجموعها تدل على وحدانية الله المطلقة طبقاً للآتى :

١ — اسم الله الظاهرى (برهما سباتى) والاسم الخفى زيوس وهو واحد لا شريك له .

٢ — الإله هو الأصل الأزلى وهو الموجود بحق الذى يستمد منه كل شيء وجوده ، لا تدركه الحواس وقد يدرك العقل بعض صفاته وسرت منه روح فى الجماد والنبات والحيوان .

٣ — إن الإنسان حركة متغيرة مستمرة ، وروحه قبس من نور الله انفصل عنه إلى أجل ينتهى ثم يعود إليه بعد انتهاء الأجل ، وذلك كالبخار الذى يصعد إلى السماء ، ثم يعود إلى الأرض أمطاراً تجرى فى الأرض أنهارا .

٤ — غاية كل إنسان فى الحياة الاتصال بالله والرجوع إليه .

٥ — ثم سرت صفة القداسة إلى بعض الأنهار والحيوانات كالبقر .

٦ — من أهم معتقداتهم إنكار النبوة (٢) .

---

(١) كتاب (الأديان فى كفة الميزان) للأستاذ محمد فؤاد الهاشمى .

(٢) الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام تأليف الدكتور على عبد الواحد وافى استاذ ورئيس قسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية بجامعة القاهرة .

فلاسفة وكهنة الديانة البرهمية الذين يقولون بالتوحيد :

١ — الفيلسوف الهندى مانوا .

قال عن الإله إنه كائن بنفسه لا تصيبه الحواس المادية ، بل يعلم بالروح فقط .

٢ — الكاهن والفيلسوف كلوكا وهو أشهر مفسرى الفيدا .

يقول : إن المشتركين فى الأسرار مع تقديمهم القرابين لبعض قوى الطبيعة المتعددة لم يكونوا معتقدين إلا برب واحد هو نبع كل عدل وحكمة ، المدبر للكل ، والمرتب لنظام الكون ، ولا اسم له إلا المستحق العبادة برهما .

انحدار الديانة البرهمية إلى التثليث بدلا من الوحدانية :

١ — عندما كثر الكهنة جعلوا للديانة أسرارا خفيفة ، وأسرارا ظاهرة ، فكثرت الرموز والطقوس والشعائر ، فانحدرت الديانة وأنشأ الكهنة ما لم يكن أصلا فى الديانة البرهمية ، ألا وهو الثالوث الهندى المعروف وهو : برهما ، فشنو ، سيفا .

٢ — وهكذا ابتدع الكهنة ذلك الثالوث ، وأصبح بدل الإله الواحد آلهة ثلاثة هم عناصر للثالوث ، ويقولون أن عنصرين منه نشآ من الإله الواحد براهما ، وقد فسروا ذلك الثالوث بالآتى :

(أ) براهما ، هو الإله الخالق .

(ب) فيشنو أو كريشنا هو القوة الحافظة أو الإله الحامى للخليقة .

(جـ) سيفا هو القوة التى تفنى وتعيد وتحول ، أى أنه الموكل بالخراب .

٣ — كما ابتدع الكهنة تحريم ذبح بعض الحيوانات وفرضوا على الشعب الهندى تقديس بعضها أو تحريم أكل اللحوم كلية ، وقصر الكهنة على أنفسهم وعلى تلاميذهم معرفة الحقائق العاوية وهى توحيد الله ، وستروها عن الشعب ، وتركوا الشعب يغوص فى متاهات الشرك وتعدد الآلهة.

ثانياً — الديانة البوذيـة :

أسس هذه الديانة ساكياموني أو سيزارسا جوتاما،وهي ليست إلا مذهباً فلسفيا مشتقاً من الديانة البرهمية مع إدخال تعديلات لبعض القواعد فيها ، ويزعم البوذيون أنه بينما كان جوتاما جالساً في ليلة من الليالي تحت ظل شجرة تين تجلى له النور وانكشف عنه الغطاء ، وعرف كثيراً من الأسرار ، وعندئذ أطلق على نفسه لقب بوذا ،أي العالم المستنير ، ثم بدأ يبشر بمذهبه بين الشعب فتبعه كثيرون آمنوا بدعوته وفي الثمانين من عمره مات وأحرق جسده .

عقيدة البوذية :

الديانة البوذية لا تشير إلى إله خالق سوى النرفانا ومعناها الإطلاق الطبيعي أو المتسامي ، ولم يدع بوذا يوماً أنه إله أو ابن إله ولكن مبالغة أتباعه هي التي جعلت من بوذا إلهاً ومن مذهبه الفلسفي والإصلاحي ديناً ، وهذه المبالغة قادتهم إلى الشرك وتقديس بعض الحيوانات ، وتحريم ذبحها تحريماً أساسياً ، والسجود لها في كل لحظة ، كما ابتدعوا ألعاب السحر والشعوذة التي جعلها الأتباع من أهم أسرار الديانة البوذية ، ثم ابتدع الكهنة الثالوث البوذي طبقاً للآتي :

١ — الإله الخالق أو النرفانا .

٢ — بوذا الابن من العذراء مايا الموكل بحساب الناس بعد البعث .

٣ — الروح القدس وهو الذي حل على العذراء مايا فولدت بوذا .

وهكذا انحدرت الديانة البوذية من التوحيد إلى التثليث الذي ابتدعه أتباع بـوذا .

ثالثاً : الديانة الصينية :

١ - كانت ديانة أهل الصين قديماً تقرر أن إله السماء أو عظيم السماء كائن عظيم يحب الخير ويكره الشر ، ويجازى الناس على ما قدموا من عمل ، وهو الإله غير المنظور الرب العظيم ومالك الأكوان ذو الفضل غير المتناهى ، ليس له مكان أو زمان ، موجود فى كل الوجود ، أينما توجه الإنسان فهو معه ، حاضر لا يغيب ، الإله الذى لا يحابى ، بل يجود بلطفه ورعايته على الإنسان الفاضل ، ويحب استعمال الرأفة والرحمة ،وأنه يعتنى بالأرض ، وحضوره فيها دائم وإن كان غير منظور ،وقد سموه (تى سز) أو (تى ين) ثم تطورت التسمية إلى شانج تى . وبمرور الأيام وتداول الأعوام ، تغيرت الأفكار فأضافوا إلى هذا الإله الواحد كثيراً من مظاهر الطبيعة ، كالشمس والقمر والكواكب والنجوم والأرض وما عليها من جبال وتلال ، وما يجرى فيها من بحار وأنهار ، ثم تطورت معتقداتهم إلى وجود كائنات روحية تسكن البيوت وأن تلك الأرواح لها قدرة على النفع والضرر فقدموا لها القرابين - كما كانوا يعبدون أرواح أسلافهم ويقيمون الشعائر الدينية لها ، فخيم الجهل وتكاسل الناس وكسدت التجارة ، ووقفت عجلة الحياة وتوقفت الأعمال العامة والخاصة وبذلك تحول الإله العظيم الواحد إلى آلهة متعددة .

٢ - **ظهور كنفوشيوس :** ولد سنة ٥٥١ قبل الميلاد فى مقاطعة (لو) من أعمال ولاية شانتج ، ولما شب عمل فى التدريس ،ومن وحى عمله نشأ عنده التفكير والتأمل وخرج على الناس بمذهبه الذى ضمنه تعاليمه وآراءه فاتبعه كثيرون من أهل الصين ،وهو يعتبر أكبر حكماء الصين ومؤسس الديانة الصينية وأجمع الصينيون على عبادته وتقديس تعاليمه وحكمه .

مذهب كنفوشيوس :

دعا كونفوشيوس إلى أن يعرف كل إنسان ما عليه من واجبات وما له من حقوق فى المجتمع وفرق بين العبادة والعمل ، وجعل لإصلاح المجتمع أسساً منها :

(ا) إصلاح الفرد هو إصلاح الأسرة .

(ب) صلاح الأسرة هو صلاح للمجتمع .

(ج) دعا أهل الصين إلى العلم .

(د) نشر روح الفضيلة والتآخى .

(ه) نشر الحب والطهر والنقاء ، والصبر والعزة والكرامة والتزود من المعرفة .

كتب كنفوشيوس :

أصبحت الكتب التى تركها كنفوشيوس بعد موته والتى حررت بخط تلاميذه كتباً مقدسة فى الصين ، لها من القداسة ما للكتب السماوية حتى اعتبرت فيما بعد دستوراً للصين ، وهذه الكتب ثلاثة هى الآتى بيانها :

١ — مختارات كنفوشيوس .

٢ — تعاليم البالغين .

٣ — الاعتدال .

عبادة الصينيين وصيرورتها إلى التثليث :

لما كان أهل الصين يقدمون فى شعائرهم القرابين للإله الأعظم وأرواح أسلافهم وقوى الطبيعة المختلفة ، لذلك أقاموا المعابد التى كانت تبنى على شكل هيكل عظيم بداخله هياكل ثلاثة ترمز إلى مذابح ثلاثة لكل معبود هيكل طبقاً للآتى :

١ — مذبح الإله الأعظم :

وهو خاص بعظيم السماء ، وهذا المذبح أقدم المذابح وأعظمها وأكبرها ، لا تجد حوله أصناماً أو تماثيل ، لأنه مذبح الإله الأعظم ، الإله غير المنظور .

٢ — مذبح الكواكب والأفلاك السماوية والأرض وما فيها :

ومذبح الكواكب والأفلاك السماوية والأرض وما فيها ، تقدم فيه القرابين للشمس والقمر والكواكب والنجوم والأرض والتلال والجبال والأنهار وما إلى ذلك من قوى الطبيعة .

٣ — مذبح الأرواح :

حيث كانوا يعتقدون أن أرواح آبائهم وأجدادهم وملوكهم تهديهم فى تلك الحياة وتقف معهم وقت الشدة والرخاء ، فكانوا يقدمون القرابين لها فى ذلك المذبح ، زيادة فى إرضائها وليستهدوها فى أمورهم الحاضرة والمقبلة ، ويطلبوا منها السعادة فى حياتهم .

ويعزون إلى الفيلسوف الصينى المدعو (فوفى) أنه هو الذى ابتدع الثالوث الصينى بعد أن كانت العبادة قاصرة على الإله الواحد العظيم إله السماء ، أو عظيم السماء الإله غير المنظور ، ورسموا ذلك الثالوث الصينى بالعناصر الآتية :

١ — تى ين : أو الإله المجهول غير المنظور .

٢ — تى سز : الشمس والكواكب السيارة .

٣ — تشانج : أرواح الآباء والحكماء والملوك .

وكان المذبحان الثانى والثالث المخصصان لعبادة الأقنومين الأخيرين من الثالوث تقام حولهما الأصنام والتماثيل التى ترمز إلى قوى الطبيعة ، والأصنام والتماثيل التى ترمز إلى صور الآباء والحكماء والملوك ، ومن ذلك الوقت أصبح الصينيون يعبدون الأصنام .

ومن الصين انتقلت هذه المبادىء إلى اليابان حتى أصبحت العائلة المالكة فى اليابان من الآلهة وأعظم الآلهة الإمبراطور .

رابعاً ــ الديانة الكلدانية :

الكلدانيون هم معلمو الوثنية الحقيقية فى الشرق، وقد برعوا فى علم الفلك والسحر والشعوذة ، ومن أور الكلدانيين ظهر إبراهيم عليه السلام ، ولم يرض عن عبادة الأصنام فقام بتحطيمها ثم هاجر من هناك إلى فلسطين طبقاً لما روته عنه الكتب المقدسة .

آلهة الكلدانيين :

جعل الكلدانيون لكل واحد من الكواكب السيارة صنما ، وأكبر الأصنام الذى كان يرمز إلى الشمس هو المعتبر فى عرفهم أعظم الآلهة وأكبر أوثانهم ومن أهم آلهتهم الثالوث الآتى :

١ ــ بعل أو آمون إله الشمس .

ــ عشتروت أو إيزيس إله الجمال .

٣ ــ هوروس أو تموز إله الخصب والنماء ، ويقام له عيد فى شهر يوليو من كل عام .

خامساً ــ الديانة الفارسية (المجوسية) ديانة زرادشت :

(أولا) كانت هذه الديانة فى أصلها ديانة توحيد تدعو إلى عبادة إله واحد(١) هو (أهورامزدا) وتحارب الشرك وعبادة الأصنام والكواكب . ومعنى (أهورامزدا) أى أنا وحدى خالق الوجود أو الكون . وكانت ترمز إلى الإله الواحد برمزين ، أحدهما سماوى وهو الشمس والآخر أرضى وهو النار ، فكلاهما عنصر مضىء طاهر مطهر ، لذلك حرصت على أن يوقد فى كل هيكل شعلة من النار تظل مضيئة يتعهدها الكهان خمس مرات يومياً(١)

---

(١) كتاب الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام تأليف الدكتور على عبد الواحد وافى رئيس قسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية بجامعة القاهرة .

بوقود من خشب الصندل والأعشاب العطرية وترتل حولها الأدعية والصلوات ، وخصوا الشمس باهتمامهم بوصفها المخلوق العظيم الذى تجلى عليها حتى رأوه فى السماء ، وأثبتوا له كثيراً من أوصاف الألوهية فقالوا عنه :

١ — أنه عالم بكل شىء .

٢ — أنه أعظم الموجودات .

٣ — أنه نورانى يشرق على العالم بنوره .

٤ — يملك كثيراً من الأعوان والشركاء ، وهم الصديق وهو الضوء وستة من الملائكة المقربين الذين يحملون العرش وآلافا من الموجودات التى تتمثل فى مظاهر الطبيعة (١) .

(ثانياً) ثم تطورت عبادة الفرس إلى عبادة إلهين فقط ، أحدهما يسمى أهورا مزدا أو مزدا ، وهو إله الخير العالم بكل شىء . وثانيهما ما يسمى إله النور أهريمان وهو إله الشر .

(ثالثاً) ثم انتهى الأمر بهذه النحلة إلى تقديس النار ، يعبدها معتنقو تلك الديانة لذاتها بعد أن كانت مجرد رمز لله وانحصرت عباداتهم فى الآتى :

٢ — تقديس النار وجعلها موقدة فى الهياكل بحيث لا تخبو أبداً .

٢ — لا يسمح أن يقع ضوء الشمس على النار .

٣ — لا يسمح للماء أن يلقى على النار .

٤ — لا يسمح لليدين أن تمسا جثة ميت .

٥ — لا كلام ولا بكاء أثناء الطعام .

٦ — الذهاب إلى الهيكل فى أيام أعيادهم الرئيسية وخاصة فى عيد النيروز ، وهو يوم التوبـــة .

---

(١) الأديان فى كفة الميزان تأليف الأستاذ محمد فؤاد الهاشمى .

٧ — لا يوجد بهذه النحلة رهبانية ولا تقر الصيام إلا فى ظروف خاصة .

٨ — إن جثة الميت بوفاته تصبح نجسة لا يجوز لمسها ، ولا يجوز أن تدفن فى الأرض ولا تحرق بالنار ولا تلقى فى الأنهار ، بل تحمل إلى قمم الجبال فى أبراج منعزلة لا سقف لها لتكون طعاماً لجوارح الطير .

٩ — الإيمان باليوم الآخر والبعث والنشور والجنة والنار ، ويقولون إن الساعة ستقوم على أثر حادث فلكى باصطدام كوكب بالأرض ، فتميد بالناس وتخر الجبال هدا ، وتذوب العناصر ، وينصهر النحاس ويسيل إلى جهنم .

١٠ — يشرف على العبادات طبقتان هما :

(أ) طبقة الموبذة ، ويسمى كل واحد منهم موبذان ، يتولون الوظائف الدينية العليا .

(ب) طبقة الهوابذة ، وكانوا يتولون إقامة الشعائر فى هياكل النار .

كان يدين بهذه النحلة أهل إيران ، ولما ظهر الإسلام دخلوا فيه فانحصرت الزرادشتية فى نفر قليل هاجر بعضهم إلى بلاد الهند ، وما زال لهم بقية حتى الآن فى مدينة بومباى تعرف (بالفرسيين) .

سادساً — الديانة اليونانية :

يتضح للمتأمل لأشعار هومير وهزيود المترجمة إلى اللغات الأخرى ، أن اليونانيين عبدوا كثيراً من الآلهة وكان اعتقادهم فيهم كالآتى :

(أ) هؤلاء الآلهة يأكلون ويشربون .

(ب) ويلعبون ويلهون .

(ج) ويخوضون المعارك فيغلبون ويغلبون .

(د) ويتألمون ويفرحون ويحزنون .

(هـ) ويتباغضون ويتحاسدون فيحقدون .

(و) والويل لمن تعرض لهم أو أغضبهم فإن غضبهم شديد .

كيف وصلت ديانة اليونان إلى الوثنية :

١ — يبدو أن اليونان كانت تدين بالتوحيد أساسا ، وكانت تهتم بالأخلاق والفضائل ثم انسلخت إلى الوثنية وتعدد الآلهة ، لأنه عندما ظهر الفيلسوف سقراط وتكلم عن أسرار الوحدانية وخلود الروح اعتبروه كافرا بالآلهة ، وحكموا عليه أن يشرب كأسا من السم ، فمات شهيد الجهر بالحقيقة .

٢ — ثم ظهرت مدارس فلسفية أخرى بعد ذلك أمثال طاليس ، وفيثاغورس ، وأفلاطون ،وذهبوا شأوا بعيداً فى استطلاع الحقيقة، ولكنهم اختلفوافى المشارب فمنهم من تأثربعلوم الكهنة ومنهم من كاديجهر بحقيقة التوحيد التى كانت تلح فى الخروج إلى عالم الظهور ، لولا خوف الحكماء من أن يكون مصيرهم مصير سقراط .

سابعاً — الديانة الرومانية :

تأثر الرومان بالديانة اليونانية التى كانت تهتم بالأخلاق والفضائل ، حتى وصلت إلى حد تألهها،وغالى الرومان فى هذا الشأن غلوا كبيرا حتى وصل الأمر إلى أنه لم يكن للرومان إله معين بذاته ، بل كان جل همهم فى تربية أبنائهم وأن يلقنوا أبناءهم الأخلاق والفضائل منذ نعومة أظفارهم .

ثامناً — الديانة المصرية القديمة :

١ — تكشف للعلماء فى القرن التاسع عشر الميلادى حقيقة المصريين القدماء ودينهم وشرائعهم ومدنيتهم وتقاليدهم وعاداتهم ، بعد الرجوع إلى الوثائق التاريخية التى وجدت مكتوبة على أوراق البردى،ومن النقوش والكتابات التى وجدت على واجهات المعابد والهياكل والقبور والمسلات والأعمدة ، وأغطية التوابيت وما وجد فى تلك التوابيت .

٢ — وجاء فى مذكرات العالم الأثرى مانيتون أن هناك أنبياء ورسلا قاموا بنشر الدعوة إلى الله بين المصريين ، ودعوا إلى توحيده وعدم الإشراك به ، وأخص هؤلاء الأنبياء نبى المصريين إدريس عليه السلام ، وأنه هو الذى انتقل إلى الهند بعد ذلك ، حيث استأنف التبشير ، والدعوة إلى وحدانية الله لأنه كان على علم بكثير من لغات أهل الأرض ، حتى قيل إنه كان يملك من الأسرار والمذاهب ما كان يؤهله لأن يكون الداعى المجاب ، حيث كان يحدث كل قوم بلغاتهم ولهجاتهم .

٣ — ذكر المؤرخون فى كتبهم أن إدريس عليه السلام ،ولد بمدينة (إدفو) حيث هبط أهله الذين كانوا يسكنون ببابل ، ثم رحلوا إلى مصر وأنه كان يسمى (جوروس) ويقولون إن إدريس هذا هو خانوخ باللغة العبرية ، وأطلق عليه باللغة العربية أخنوخ . وسمى فى اللغة الهيروغليفية (حوروس) أو (هوروش) وفى اللغة اليونانية عرف باسم هرماكيس ثم عرف باسم (هرمس) وسماه البطالسة فيما بعد (اغنتاذى موت) المصرى وسمى فى الكتب المنزلة (إدريس) .

ونسب إدريس هو إدريس بن يزد بن مهلائيل بن قينان بن آنوش ابن شيث بن آدم عليه السلام . وكانت مدة حياته اثنتين وثمانين سنة ، قضاها وهو يدعو الناس إلى عبادة الله وتوحيده وتنزيهه عن كل اشتراك . ويقولون أنه أول من عرف العلوم الكونية والجيولوجيا والرياضيات .

٤ — ومن الآثار التى اكتشفت أخيرا وأخصها خاتمه الذى كان يتمنطق به ، ومن أقواله التى وجدت محررة على أوراق البردى التى سرقت من مصر ، ووزعت على المتاحف ودور الآثار فى أوربا عرفت تعاليم النبى إدريس عليه السلام التى كان يدعو إليها .

(أ) فمنها الزهد والمحبة والعدل والإحسان .

(ب) وقد وجد مكتوبا على خاتمه — الصبر والإيمان بالله يورثان الظفر(١).

(١) كتاب الأديان فى كفة الميزان بقلم الدكتور محمد فؤاد الهاشمى .

(ج) كما وجد على حزامه حكم بالغة ودروس قيمة منها ، حفظ فروض الشريعة من تمام الدين ، وتمام الدين من كمال المروءة، وخاصة من خواص الإنسان النقى .

(د) وقد عثر ضمن آثاره على فراش كان يصلى عليه مصنوع من الحصير ، وكان مكتوبا على ذلك الفراش : السعيد من نظر نفسه فى مرآة صلاته وعبادته .

(ه) ومن أقواله المأثورة حياة النفس فى الحكمة ، وموتها فى الجهل .

٥ — والعقيدة عند المصريين وقتئذ قبل الكهنة طبقا لما قدمنا كانت عقيدة التوحيد تلك التى دعا إليها نبى الله إدريس عليه السلام وكانوا فى عقيدتهم على النحو الآتى :

أولا : عرفوا أن الله واحد لا شريك له فى الذات والصفات .

ثانيا : وكانت عبادتهم خالصة تتمثل فى الرهبة والاحترام والخوف والطاعة لله القديم الأزلى، وهو خالق لابداية له ولا نهاية ويُفنى ولا يَفنى ، كل شىء زائل وهو باق .

ثالثا : وعرفوه باسم آتون وجعلوا لهذا الاسم معنيين أحدهما ظاهر والآخر خفى ، وأعطوا الاسم الظاهر معنى أنه إذا ظهر بمثاله النورانى وهو الشمس سمى آمون (وهذا من تصرفاتهم بعد إدريس عليه السلام ، فإنه لا يوافق على الشرك) وأما الاسم الخفى فهو الذى قام به كل الوجود ، يهب العطايا ويعطى ويأخذ ، وبذلك سمى رع ، ومن هنا كان اسما (آمون — رع) مقدسين عند المصريين(١) .

رابعا : وقد جاء فى مؤلف العلامة الفرنسى الأستاذ ماسبيرو أن إله المصريين الأول كان عالما بصيرا يُدرِك ولا يُدرَك، موجودا بنفسه ، حيا بنفسه ، حاكما بنفسه ، حاكما فى الأرض والسموات فهو أبو الآباء ،

(١) المرجع السابق .

وأم الأمهات ، لا يفنى ولا يغيب ، يملأ الدنيا ، وليس له شبيه ولا حد ويوجد فى كل مكان .

خامسا : ووجد فى هيكل إيزيس بصا الحجر نقش قديم ، يتضمن كلمات منسوبة للإله جاء فيها : أنا كل شيء كان ، وكل شيء كائن ، وكل شيء سيكون ، ومحال على من يفنى أن يزيل النقاب الذى تنقب به وجه من لا يفنى .

سادسا : وكان قدماء المصريين يترنمون فى أناشيدهم باسم إله واحد وينشدون للخالق المصور الذى له الأسماء الحسنى الذى خلق للإنسان عينين وهداه النجدين ، ووهب له أذنين ليسمع بهما أناشيد ذلك الإله الذى استطاع الإنسان أن يبصر قدرته ، معترفا بأنه مولاه ولا مولى له إلا الله ، وقد ورد فى بعض الأناشيد والأدعية الواردة فى كتب قدماء المصريين ، يامولاى وياسيدى إنك خلقتنى وصورتنى وجعلت لى عينا أبصر بها آثار قدرتك وآذانا أسمع بها أناشيد قدسك .

كيف انحرفت الديانة المصرية الوحدانية إلى الشرك بفعل الكهنة :

١ — انحرف الكهنة المصريون بديانة الوحدانية التى كان يعتنقها شعب مصر القديم وقتئذ فاتخذوا من صفات الله ثالوثا ، وكما اتخذ براهمة الهند ثالوثهم برهما وفيشنو وسيفا اتخذ الكهنة المصريون من صفات الله وهى الوجود والحكمة والحياة : الثالوث المصرى آتون — وآمون — ورع .

٢ — وعلى مر السنين والأيام استحدث المصريون أسماء وآلهة أخرى حتى صار الثالوث تاسوعا ، بخلاف آلهة أخرى ثانوية منسوبة إلى هذا التاسوع وظلت الديانة المصرية فى الانحدار حتى انحرفت إلى عبادة النار والنجوم والكواكب وما يشابهها من الظواهر الطبيعية فدعاهم ذلك إلى البحث فى علوم الفلك والجيولوجيا والرياضيات(١) .

---

(١) المرجع السابق .

٣ — والتاسوع المصرى هو كالآتى :

أولا : الثالوث الأول — آتون — ورع — وآمون .

ثانيا : الثالوث الثانى — نيت — وتوت — وشو ، وقد اشتق من الثالوث الأول .

ثالثا : الثالوث الثالث — إيزيس — وأوزريس — وسيت ، وهو الثالوث الأخير من التاسوع . ثم كانت هناك آلهة ثانوية نقتصر على ذكر ثمانية منها هى :

هاتور أو هتريت — تيسر تشر — ويوتاشيت — تنجيت — توت — ومعت — وبتاح ونيفون .

والجدول الآتى يوضح التاسوع المصرى للآلهة وصفة كل إله ووظيفته .

الرقم	الإله	الصفة والوظيفة
١ —	آتوم أو آتون	هو الإله الخفى الذى لا يظهر إلا بصفاته وهو نور الأنوار .
٢ —	رع	هو الذى تشخص فيه النور ، فصار عطاء وخلقا (أى الخلق والرزق)
٣ —	آمون	وهو ظهور القدرة المشرقة فى الشمس ، وهو مظهر رع الذى يوصل عطاءه إلى المخلوقات ، وفى النهاية صار تمثالا لطيبة .
١ —	نيت	هو الأثير العام .
٢ —	توت	هو السماء بأفلاكها وكواكبها والهيولة العامة .
٣ —	شو	هو الجو أو الموجات الكهربائية الموجبة ويشتق منه الإله تفنون وهى الموجات السالبة .
١ —	إيزيس	هو إله الحياة أو الروح .
٢ —	أوزوريس	هو إله النماء والازدهار ، وهذا الإله هو الذى سيحاسب الموتى فى نظرهم .
٣ —	سيت	هو الإله المدمر أو إله الفناء .

والجدول الآتى يوضح بيان الآلهة الثمانية الثانوية وصفة كل إله ووظيفته :

الرقم	الإله	الصفة والوظيفة
١ —	هاتورأوهتريت	هو إله الطبيعة .
٢ —	نيسبر تشر	هو إله النظام والقوانين
٣ —	يوتاشيت	هو إله الفيض ، الشمس
٤ —	تنجيت	هو إله الأطياف الانعكاسية
٥ —	توت	هو إله العلم فى معناه العام
٦ —	معت	هو إله الحكمة
٧ —	بتاح	هو إله القدر
٨ —	نيفون	هو إله الشر

عبادة المصريين بعد انحرافهم بفعل الكهنة :

١ — أصبحت صلاة المصريين بعد انحرافهم موجهة إلى التاسوع المصرى ، وكانت دعواتهم وأناشيدهم تنادى قوى الطبيعة على أنها آلهة ، كما كانت تلك الصلوات والدعوات تصدر منهم تقرباً للتماثيل الرمزية ، التى أقيمت لآتون ورع وآمون فى طيبة من أهم ظواهر الشرك والوثنية حيث ظن المصريون المتأخرون الذين أعقبوا حكم الكهنة ، أن تلك التماثيل الرمزية آلهة مختلفة فعبدوها .

٢ — ثم تعددت الآلهة وصارت المدن مليئة بها ، وكانت لكل مدينة آلهتها التى تقدسها دون الآلهة الأخرى .

(أ) فقد كان موطن أوزوريس فى أبيدوس .

(ب) وبتاح فى منفيس .

(ج) وآمون فى طيبة .

(د) وهوروس فى إدفو .

(ﻫ) وهاتور فى دندرة .

٣ — وكانت مدينة طيبة دون سائر المدن ، مملوءة بالمعابد والتماثيل حتى قام أخناتون بثورته المشهورة لتوحيد الإله الواحد ، بعد إبطاله عبادة الآلهة المتعددة ، وقد كاد يكتب لتلك الثورة النصر لولا قيام الكهنة وقتئذ فى وجهه بالمعارضة القوية .

٤ — وبعد فشل ثورة أخناتون ، تطور عدد الآلهة واستفحل عند المصريين القدماء ، حتى بلغ ما يقرب من المائة بين اسم لفلك وصفة لكوكب ، وعظمة لظاهرة طبيعية ، وتقديس لحيوان أو طير .

٥ — وكانت بعض المدن المصرية تقدس ملوكها وتعبدهم على أنهم آلهة ، وكانوا يقيمون لهم الصلوات ويقدمون لهم القرابين ، ويرفعون إليهم البخور .

٦ — ظل المصريون على حالهم من الشرك والوثنية حتى هاجمهم الفرس واليونان ، فهدموا كثيراً من المعابد ، وخربوا العديد من الهياكل ، وحطموا ما أمكنهم تحطيمه من التماثيل .

٧ — لما فتح الرومان مصر هدموا بقية الهياكل والمعابد — وأبطلوا كثيراً من العبادات المصرية ثم انتهى الأمر بإبطال الديانة المصرية القديمة فى عهد الإمبراطور تيودور الرومانى ، والذى جعل النصرانية ديناً رسمياً للدولة الرومانية ومستعمراتها ، وبذلك فرضت النصرانية الرسمية على مصر بوصفها مستعمرة رومانية(١) .

٨ — واستمر حال المصريين على ذلك القهر الرومانى حتى جاء العرب فى عهد خلافة عمر بن الخطاب ففتحوا مصر بجيش إسلامى كان يقوده

(١) المرجع السابق .

عمرو بن العاص ونشروا دعوة الإسلام التى أساسها الوحدانية لله فدخل غالبية المصريين فى الإسلام وبذلك رجعوا إلى التوحيد أساس ديانتهم الأولى القديمة قبل أن يفسدها الكهنة بالتعدد (١) .

تاسعاً — الديانة اليهودية أو الإسرائيلية :

هذه الديانة هى التى جاء بها نبى الله موسى عليه السلام من عند ربه عندما ظهرت له نار مَن شجرة تشتعل ، وخاطبه الله وأمره هو وأخاه هارون أن يذهبا إلى فرعون ليسمح بخروج بنى إسرائيل من أرض مصر بعد إقامتهم بها منذ أن دعاهم أخوهم يوسف الصديق بن يعقوب عليه السلام للإقامة فيها .

الله فى التوراة :

تقول التوراة فى أسفارها أن موسى عليه السلام عندما رأى النار ظهر له أحد الملائكة فسأله موسى عن اسم الله ، فأجابه بأن اسم الله هو (يهوه) إله إسماعيل وإسحاق ويعقوب ومن أسمائه آهيا ، وألوهيم ، وكل هذه الأسماء تعطى معنى وصفات (الله ، القادر ، الكافى) .

الكلمات العشر :

وبعد أن خرج موسى عليه السلام بقومه من مصر ذهب لمناجاة ربه ، وآتاه الله الكلمات العشر وهى أول التوراة وتتلخص فى الآتى :

١ — أنا الرب إلهك الذى أخرجاك من أرض مصر من بيت العبودية ، لا يكن لك آلهة أخرى أمامى .

٢ — لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة مما فى السماء من فوق ، ومما فى الأرض من تحت ، ومما فى الماء تحت الأرض ، ولا تسجد لهن ، ولا تعبدهن ، لأنى أنا الرب إلهك إله غيور ، أفتقد ذنوب الآباء فى الأبناء حتى الجيل الثالث والرابع من مبغضى ، وأصنع إحسانا إلى الآلاف من محبى وحافظى وصاياى .

---

(١) كتاب المغرب فى حلى المغرب اكمل تأليفه ابن سعيد الأندلسى — الجزء الخاص بمصر عنى بنشره وتحقيقه والتعليق عليه الدكتور زكى محمد حسن طبعة سنة ١٩٥٣ الجامعة المصرية .

٣ — لا تنطق باسم الرب إلهك باطلا ، لأن الرب لا يبرىء من نطق باسمه باطلا .

٤ — احفظ يوم السبت (ومعنى السبت الراحة) ، لتقدسه ، ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك ، وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب إلهك ، لا تعمل فيه عملا ما : أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك وبهيمتك ، ونزيلك الذى داخل أبوابك .

٥ — أكرم أباك وأمك لكى تطول أيامك على الأرض ، حتى يعطيك الرب إلهك أبناء بررة .

٦ — لا تقتل .

٧ — لا تزن .

٨ — لا تسرق .

٩ — لا تشهد على قريبك شهادة زور .

١٠ — لا تشته بيت قريبك ، لا تشته امرأة قريبك ولا عبده ، ولا أمته ، ولا ثوره ولا حماره(١) .

دور الكهنة فى التوراة :

قام الأحبار والكهنة بتدوين شريعة موسى عليه السلام بعد وفاته بمدة ليست بالقصيرة ، فمنها ما ناله التحريف والتبديل والتغيير ، ومنها ما ضاع أثناء التيه ، وقسموا التوراة إلى الآتى :—

أولا : أسفار مقدسة نسبوها إلى الله .

ثانيا : أسفار نسبوها إلى الأحبار والعلماء .

---

(١) انظر سفر التثنية الإصحاح الخامس عدد ٦ الى عدد ٢٢ .

ما هى أسفار التوراة الخمسة المقدسة :

هذه الأسفار هى كالآتى وقد نسبوها إلى موسى عليه السلام :

١ - سفر التكوين : ويحوى تاريخ الخليقة وقصص الأنبياء من آدم وخروجه من الجنة ، إلى إسحق وإشارة إلى يعقوب ويوسف عليهم السلام جميعا .

٢ - سفر الخروج : ويقص التاريخ ابتداء من موت يوسف إلى خروج بنى إسرائيل من مصر ونزول الوصايا العشر .

٣ - سفر اللاويين : وهو النظام التشريعى ، وبه تفصيل عن تقديم الذبائح والمحرقات والقرابين ورسم الكهنة .

٤ - سفر العدد : ويحوى عدد بنى إسرائيل وأنسابهم ، وشجرة القبائل الإسرائيلية ، كما يروى قصة التيه فى الصحراء ، إلى أن وصلوا إلى أرض موآب ثم أرض الميعاد .

٥ - سفر التثنية : ويحوى كلمات موسى الأخيرة وخبر وفاته ووصيته(١) .

باقى الأسفار المقدسة :

هذه الأسفار عددها (٣٤) أربعة وثلاثون سفرا ، وقد بينت تاريخ ضلال بنى إسرائيل وخروجهم من شريعة النبى موسى عليه السلام وهى :

١ - يشوع - والقضاة - وراعوث - وصموئيل الأول والثانى - الملوك الأول والثانى - أخبار الأيام الأول والثانى .

٢ - عزرا - ونحميا - وأستير - وأيوب - والمزامير - والأمثال والجامعة - ونشيد الإنشاد .

٣ - وأشعياء وأرمياء ومراثى أرمياء - وحزقيال - ودانيال وهوشع - ويوئيل - وعاموس .

---

(١) كتاب الأديان فى كفة الميزان تأليف الأستاذ محمد فؤاد الهاشمى .

٤ — عوبيديا — ويونان وميخا — وناحوم — وحبقوق وصفنيا وحجن — وزكريا — وملاخى .

الأسفار المفقودة من العهد القديم :

يتبين من الاطلاع على أسفار العهد القديم ، أن هناك أسفارا مفقودة لا أثر لها ألبتة حاليا ، حتى يمكن القول بأن الموجود حاليا هو جزء صغير من كتاب كان يدعى فى الأيام الحالية توراة ، وهذا طبقا للآتى : —

١ — ففى سفر العدد نراه نقل كلاما من سفر اسمه سفر حروب الرب(١) .

٢ — وجاء فى سفرى القضاة وصموئيل اسم كتاب كان يدعى سفر ياشر .

٣ — وجاء فى سفر تثنية الاشتراع اسم كتاب يدعى سفر أخبار داوود الملك .

٤ — واسم كتاب آخر يدعى سفر أخبار ملوك يهوذا .

٥ — واسم كتاب آخر يدعى سفر أخبار ملوك إسرائيل .

٦ — واسم كتاب آخر يدعى سفر ناثان النبى .

٧ — واسم كتاب آخر يدعى سفر جاد الرائى .

(انقسام اليهود إلى طوائف وفرق)

وقد انقسم اليهود ممثلين فى أحبارهم وعلمائهم إلى الآتى :—

الفريسيون الذين يدعون الربانيين .

---

(١) سفر العدد إصحاح ٢١ عدد ١٤ .

الصدوقيون وهم المشهورون باسم أشكنازى بالإضافة إلى قسم ثالث هم اليهود القراءون .

أولا — آراء الفريسيين أو الربانيين :

يتمسك الفريسيون بحفظ الشرائع والتنفيذ الحرفى للأصول وتشددوا فى تنفيذها، كما تمسكوا بالتقاليد اليهودية ، أى تقاليد المشايخ ، فأخذوا فى تفسير الكتب المقدسة اليهودية مأخذ أسلافهم ، وقد اعتقدوا أن حرية اليهود وكيانهم لا يحفظان إلا بالتمسك بالشريعة وأن عظمتهم لا تسترد إلا بالدين ومن هذه الفرقة تناسل الأسينيون .

والفريسيون أو الربانيون يكونون السواد الأعظم من اليهود وينقسمون أيضا إلى :

١ — السافروديم أى اليهود العرب .

٢ — الأشكنازيم أى اليهود الأوروبيين .

واليهود الربانيون يقدسون التوراة والتلمود معا باعتبار أن التلمود موحى به أيضا .

ثانياً — آراء الصديقيم أو الأشكنازى :

يقول الصديقوم أن الله خلق الإنسان كفؤا ليتولى إدارة شئون نفسه بنفسه، وأن من العبث انتظار إرادة الله، فى حين أن الإنسان خلق مختارا، ويجب أن يحل مشاكله بنفسه ، ولا يعرفون شريعة ولا يتمسكون بسنة ، ولا يعترفون بعادات أو تقاليد ، ويقولون إن آثار موسى ليس فيها ما يؤيد التمسك بالشريعة ، فهم يفسرون النصوص حسب هواهم ، ومن هذه الفرقة تناسل السامريون .

ثالثاً — فرقة اليهود القرائين :

هذه الفرقة تعد فرقة الربانيين ضالين فى معتقداتهم ، ولا تقدس فرقة القرائين إلا التوراة ، ولا يقدسون التلمود ولا يؤمنون به إلا على سبيل

أنه مجموعة من آراء المفكرين القدامى يجب الائتناس بها فى بعض الأحوال لا فى الأحوال كلها .

كيف ظهر التلمود :

لما تغلبت المادة على الجانب الروحى فى شعب اليهودية وضع أحبار اليهود الربانيون وفقهاؤهم تآليف مقدسة خلاف التوراة ، وسموا تلك التآليف المثناة أى المثنى والمكرر إذ هذه التآليف تكرار لتسجيل الشريعة ، ثم شرحت المثناة فيما بعد ، وأطلق على تلك الشروح اسم الجمارا أى الشرح والتعليق ومن مجموع المثناة والجمارا يتألف ما يسمى بالتلمود .

والمثناة تتكون من ستة أسفار تعتبر قاموسا فى الزراعة والأعياد والزواج والدية والذبائح ، والقرابين والطهارة .

وقد جمع التلمود من أصلين ، نتيجة للخلاف بين اليهود ، ذلك الخلاف الذى ظل حتى عهد سليمان خفيفا .

أحدهما : يسمى الأورشليمى وهو ما كتب فى أورشليم وهو أقدم من الثانى .

والثانى : كتب فى نابلس ويسمى النابلسى .

ولما احتدم الخلاف بعد وفاة سليمان ، وحكم رجعام بن سليمان ، انقسم اليهود إلى مملكتين هما مملكة يهوذا ومملكة إسرائيل .

أولا : مملكة يهوذا وكانت تتألف من سبطى يهوذا وبنيامين .

ثانيا : مملكة إسرائيل وكانت تتألف من باقى أسباط بنى إسرائيل العشرة ، وصارت الدولتان تتنافران وتتقاتلان ، حتى تلاشت دولة إسرائيل وظلت دولة يهوذا بعد ذلك مدة خمسة قرون .

---

(١) كتاب الأديان فى كفة الميزان تأليف الأستاذ محمد فؤاد الهاشمى .

تطور الديانة اليهودية وانحرافها عن التوحيد :

١ — تغلبت المادة على الجانب الروحى عند بنى إسرائيل ، وأصبح الدين والشريعة فى عرف اليهود عبارة عن تشريعات رسمت للمعاملات التى يمكن بها أن يستحلوا أموال غيرهم من الناس، وطقوس العبادة عندهم أصبحت صورا من شريعة المعاملات وصيغ السندات والديون والمطالبات وانتهاك الحرمات واستعباد الشعوب واستحلال المحرمات،وفى جملتها يمكن أن يقال أن عبادة اليهود إما للاعتداء ، أو زيادة الرزق عن طريق السلب والنهب ، حتى أصبحت قلوبهم وعقولهم فارغة إلا من المادة وما يتفرع منها .

٢ — ثم مرت باليهود أطوار تعرضوا فيها لنقمة الله جزاء ابتعادهم عن شريعته حتى انقرضوا ، لكن دخل فى اليهودية قوم آخرون ليسوا أصلا من بنى إسرائيل ، لكنهم تهودوا ، وعلى سبيل المثال القبائل التى كانت حول بحر الخزر فى الاتحاد السوفيتى ، ومع ذلك نسبوا إلى إسرائيل عفوا ، فضلا عن ذلك ، فإن اليهود اختلطوا بغيرهم من الأمم وأخذوا عنهم كثيرا من العلوم والآداب ، كما اكتسبوا طرقا جديدة فى التفكير .

٣ — أما فى العبادات فقد انحرف اليهود عن أهدافهم فى عبادة الواحد الأحد فأقاموا الهياكل كما تقيم الأمم والشعوب الوثنية الهياكل لأربابها ، وقدموا القرابين والذبائح كما كان يقدمها عباد الوثنية ، ثم زادوا فى إسفافهم حتى جعلوا الأوثان فى بيوتهم ، وسموها الطرافين ، وعبدوا آلهة الأمم التى اختلطوا بها ، مثل آلهة الآراميين والكلدانيين ، والموآبيين أمثال البعل والبعليم والعشتاروت ، ووضعوها فى هيكلهم المقدس ، هيكل النبى سليمان(١) .

وهكذا انحرفت اليهودية عن عبادة التوحيد ، عبادة الله الواحد الأحد .

---

(١) المرجع السابق .

الفصل الرابع

طوائف النصرانية وفرقها الحالية

كانت هناك طوائف ومذاهب مسيحية كثيرة فى عصر المسيحية الأولى ، لكنها فنيت بسبب قسوة اليهود ثم الرومان ، وأحيانا بسبب قسوة فرق المسيحية الأخرى التى نالت نصيباً من الحظوة لدى أباطرة الرومان (١) وأهم الفرق الباقية هى :

أولا — الكاثوليك : وتسمى كنيستهم بالكنيسة الغربية ، لامتداد نفوذها إلى الغرب اللاتينى الذين يقطنون بلاد إيطاليا وبلجيكا وفرنسا وإسبانيا والبرتغال ، كما يوجد لها أتباع فى بلاد أخرى فى أوربا وأمريكا الشمالية والجنوبية وأفريقيا وآسيا .

ويدعى الكاثوليك أن مؤسس كنيستهم الأول هو بطرس الرسول كبير الحواريين ورئيسهم ، وأن بابوات روما خلفاؤه . لذلك فهم يسمون كنيستهم بالبطرسية أو الرسولية أو اللاتينية أو العامة لأنها تدعى أم الكنائس ومعلمتها ، ولأنها وحدها التى تنشر المسيحية فى العالم .

٣ — وتتبع كنيسة الكاثوليك فى روما النظام البابوى وهو مجمع كنائس مكون من مجلس الكرادلة ويرأسه البابا ، ولهذا المجمع الحق فى إصدار إرادات بابوية سامية ، هى فى نظرهم إرادات إلهية ، لأن البابا خليفة بطرس تلميذ المسيح ووصيه ، فهو بالتالى يمثل الله ، لذا كانت إرادته لا تقبل المناقشة أو الجـــدل .

---

(١) يراجع الباب الرابع من كتاب « محمد نبى الإسلام فى التوراة والإنجيل والقرآن » للمؤلف .

٣ — ومن مستحدثات الكاثوليكية أنها أحلت أكل الدم المخنوق ، وأباحت للرهبان أكل دهن الخنزير ، وكل ذلك لتجذب إليها الجرمان الوثنيين وقتئذ واللادينيين .

٤ — تقول كنيسة روما أن روح القدس نشأ عن الله الآب ، والابن معاً .

٥ — تعتقد كنيسة روما بالمساواة الكاملة بين الإله الآب والإله الابن .

٦ — تقول كنيسة روما أن للمسيح طبيعتين ومشيئتين .

٧ — اعتادت كنيسة روما إصدار صكوك لغفران الذنوب لمن يشاء من رعاياها .

ولقد كانت صكوك الغفران أصلا وسيلة للإعفاء من الاشتراك فى الحروب الصليبية ، يتم مقابل جعل مبلغ من المال يدفع للكنيسة ، ثم أصبحت وسيلة لغفران الذنوب ما مضى منها وما هو آت ، دون حاجة إلى توبة أو رد المظالم إلى أهلها ، فإذا أراد البابا أن يجمع مالا أو يبنى كنيسة طبع صكوكا للغفران ، ووزعها على أتباعه ليبيعوها للناس ، كالذين يبيعون أسهم الشركات أو أوراق اليانصيب ، وبالصك فراغ ترك ليكتب به اسم الذى سيغفر ذنبه ، وقد علق أحد النقاد على هذه الصكوك بأنها إذن بارتكاب كل الجرائم بعد أن ضمنت الجنة لهذا المحظوظ .

نص صك الغفران :

ربنا يسوع المسيح يرحمك يا . . . (يكتب اسم الذى سيغفر له) ويحلك باستحقاقات آلامه الكلية القدسية ، وأنا بالسلطان الرسولى المعطى لى أحلك من جميع القصاصات والأحكام والطائلات الكنسية التى استوجبتها ! وأيضاً من جميع الأفراط والخطايا والذنوب التى ارتكبتها مهما كانت عظيمة وفظيعة ومن كل علة ، وإن كانت محفوظة لأبينا الأقدس البابا ، وللكرسى الرسولى ، وأمحو جميع أقذار الذنب وكل علامات الملامة

التى ربما جلبتها على نفسك فى هذه الفرصة وأرفع القصاصات التى كنت تلتزم بمكابدتها فى المظهر ، وأردك حديثاً إلى الشركة فى أسرار الكنيسة ، وأقربك فى شركة القديسين ، أردك ثانية إلى الطهارة والبر اللذين كانا لك عند معموديتك حتى أنه فى ساعة الموت يغلق أمامك الباب الذى يدخل منه الخطاة إلى محل العذاب والعقاب ، ويفتح الباب الذى يؤدى إلى فردوس الفرح ، وإن لم تمت سنين مستطيلة فهذه المتعة تبقى غير متغيرة ، حتى تأتى ساعتك الأخيرة . باسم الآب والابن والروح القدس (١) .

وهناك طوائف أخرى تتبع الكنيسة الكاثوليكية ، وإن لم تكن تتبع اعتقادها فى طبيعة المسيح ومشيئته وهم الآتى بيانهم :

(أ) النسطورية :

تنسب إلى نسطور الذى كان بطريركاً للقسطنطينية لمدة أربع سنين قبل خلعه ونفيه إلى مصر ، حيث أقام فى مدينة أخميم حتى مات .

وكان نسطور يرى أن مريم العذراء أم المسيح لم تلد الإله ، بل ولدت الإنسان فقط ، ثم اتحد ذلك الإنسان بعد ولادته ، بالأقنوم الثانى وهو الابن وليس ذلك الاتحاد بالمزج أو هو اتحاد حقيقى بل كان اتحاداً مجازيا لأن الإله منحه المحبة ووهبه النعمة فصار بمنزلة الابن .

ولما قال نسطور تلك المقالة فى المسيح ، كاتبه كيرلس بطريرك الإسكندرية ويوحنا بطريرك أنطاكية ليعدل عن رأيه ، لكنه لم يستجب فانعقد مجمع أفسس سنة ٤٣١ وقرر لعنه وطرده ، وإثبات أن مريم العذراء ولدت الإنسان والإله .

ويبدو أن السبب فى لعنه وطرده كان كما يقول صاحب كتاب تاريخ الأمة القبطية (إن كلام نسطور معناه أو يلزمه حتما إنكار ألوهية المسيح) .

---

(١) كتاب المسيحية ـ مقارنة الأديان للدكتور أحمد شلبى .

وقد اندثرت نحلة نسطور حتى بعثت من بعده بمعرفة مطران نصيبين .

يقول ابن البطريق : كانت مقالة نسطور قد اندثرت ، فأحياها من بعده بزمان برصوما مطران نصيبين فى عهد قباذ بن فيروز ملك فارس ، وثبتها فى الشرق وخاصة أهل فارس ولذلك تكاثرت النسطورية فى الشرق فى العراق والموصل والجزيرة .

ويقول صاحب سوسنة سليمان ، إن النسطوريين فى هذا العصر يسمون الكلدان ، ويسكنون خاصة فيما بين النهرين والبلاد المجاورة لهما ، ولهم تعاليم خاصة بهم ، غير أنهم يمتازون عن باقى المذاهب باعتقادهم أن نسطوريوس حرمه مجمع أفسس ظلماً .

وقد تطور اعتقاد النسطوريين فى المسيح فأصبح اعتقادهم فيه أن فيه أقنومين كما أن فيه طبيعتين وقد التصق الأقنومان والطبيعتان حتى صار منهما رؤية واحدة . وقد أدخلتهم الكنيسة الرومانية فى حظيرتها (١) .

(ب) المارونية :

ومقر هذه الطائفة جبل لبنان ، وتنسب إلى القديس مارون الذى أعلن سنة ٦٦٧ م أن المسيح ذو طبيعتين ولكنه ذو إرادة واحدة أو مشيئة واحدة .

ولم تقبل الكنائس المسيحية هذا الرأى ، لذلك اجتمع المجمع السادس بمدينة القسطنطينية سنة ٦٨٠ ميلادية وقرر رفض نحلة مارون ، وحرمانه ولعنه وتكفيره وتكفير كل من يذهب مذهبه .

وقد نزلت بأتباع يوحنا مارون الاضطهادات وصنوف الأذى ، فلم يجدوا لهم ملجأ إلا الفرار والاعتصام بمدن جبل لبنان ، وقد تحايلت الكنيسة الكاثوليكية عليهم وقربتهم إليها ، فأعلنوا لها الطاعة والاتحاد معهاسنة ١١٨٢م ،

---

(١) محاضرات فى النصرانية للأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة .

على أن يبقوا على رأيهم وبطريركهم الخاص بهم وإن كان يقر بالرياسة لبابا روما (١) .

(ج) السريان :

هم طوائف من المسيحيين الآسيويين يقولون أن المسيح ذو طبيعة واحدة (مثل أقباط مصر) لكنهم يعترفون برياسة الكنيسة الكاثوليكية عليهم ، وإن كان لهم رأيهم وبطريركهم الخاص بهم (٢) .

* * *

ثانياً — الأرثوذكس (٣) : وتسمى كنيستهم الكنيسة الشرقية أو اليونانية ، أو كنيسة الروم الشرقيين لأن أتباعها كانوا من الروم الشرقيين ، أى من شرق أوروبا كروسيا ودول البلقان واليونان .

١ — مقر هذه الكنيسة الأصلى كان مدينة القسطنطينية ، بعد انفصالها عن كنيسة روما سنة ١٠٥٤ ، وتتبع تلك الكنيسة نظام الإكليروس ، ويبدأ من البطريرك ويليه فى الرتبة المطارنة ، ثم الأساقفة ثم القمامصة وهم قسس ممتازون يليهم القسس العاديون .

٢ — لم تقبل الكنيسة الشرقية أكل الدم المخنوق ورفضت إباحة أكل دهن الخنزير للرهبـــان .

٣ — أصرت الكنيسة الشرقية على أن روح القدس نشأ عن الله الآب فقط .

٤ — قالت الكنيسة الشرقية بأفضلية الإله الآب عن الإله الابن .

٥ — تصر الكنيسة الشرقية على أن المسيح له طبيعة واحدة ومشيئة

---

(١) محاضرات فى النصرانية للأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة .
(٢) المرجع السابق .
(٣) المسيحية — مقارنات الإديان — للدكتور أحمد شلبى .

واحدة ، وهناك طوائف أخرى تتبع المذهب الأرثوذوكسى ، وإن كانت كنائسها مستقلة عنه وهى الآتى بيانها :

(أ) الكنسية المصرية :

ورئيس هذه الكنيسة هو بطريرك القبط المقيم بالقاهرة ، ويدعى حاليا بابا الإسكندرية ورئيس الإفريقيين المسيحيين ، ويتبعه فى هذه الرياسة سكان الحبشة المسيحيون ، فهم خاضعون لبطريرك الكنيسة القبطية ، وهو يعين لهم أسقفاً يسوسهم .

وتعتقد الكنيسة المصرية أن للمسيح طبيعة واحدة اجتمع فيها اللاهوت بالناسوت ،وانعقد لأجل هذا مجمع أفسس الثانى خلال النصف الأول من القرن الخامس الميلادى ، حيث أعلن هذا الرأى ، إلا أن الكنيسة الكاثوليكية رفضته ووصفت هذا المجمع بأنه مجمع اللصوص ، لكن بعد ذلك انعقد مجمع خليكدونية سنة ٤٥١ ميلادية ، وتقرر فيه أن المسيح فيه طبيعتان لا طبيعة واحدة ، وأن الألوهية طبيعة وحدها والناسوت طبيعة وحدها التقتا فى المسيح ، وبذلك رفض المجمع الأخير رأى الكنيسة المصرية ، بل لعن هذا المجمع ديسقورس بطريرك الإسكندرية ، إلا أن الأقباط المصريين عندما بلغهم ما نزل برئيس كنيستهم غضبوا ، وأجمعوا أمرهم على عدم الاعتراف بقرارات ذلك المجمع ، بل ثاروا ضد الرومان ، ورفضوا تعيين بطريرك على غير مذهبهم ، فكان بعض الأباطرة من الرومان يأخذهم بالعنف ، وبعض الأباطرة يأخذهم بحسن السياسة ولطف الكياسة ، فترك لهم الحرية فى اختيار بطريرك لهم من مذهبهم ، وقد ظهر للمذهب القبطى المصرى داعية قوى الشكيمة بليغ الأثر فى وسط القرن السادس الميلادى ، هو يعقوب البراذعى الذى أخذ يجول فى البلاد الرومانية داعياً إلى اعتناق المذهب القبطى المصرى ، وسلك فى سبيل ذلك طريق المخاطرة والجرأة(١) .

---

(١) محاضرات فى النصرانية للأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة .

وقد كان قرار مجمع خليكدونية هو السبب فى انفصال الكنيسة المصرية عن الكنسية الغربية ، وقد لخص صاحب كتاب تاريخ المسيحية فى مصر عقيدة الكنيسة المصرية فقال الآتى :

« كنيستنا المستقيمة الرأى التى تسلمت إيمانها من كيرلس وديسقورس ومعهما الكنائس الحبشية والسريانية الأرثوذكسية ، تعتقد بأن الله ذات واحدة — مثلثة الأقانيم — أقنوم الأب — وأقنوم الابن — وأقنوم الروح القدس ، وأن الأقنوم الثانى أى أقنوم الابن تجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء ، فصير هذا الجسد معه واحداً ، وحدة ذاتية جوهرية منزهة عن الاختلاط والامتزاج والاستحالة بريئة من الانفصال ، وبهذا الاتحاد صار الابن المتجسد طبيعة واحدة من طبيعتين ومشيئة واحدة » .

(ب) الأرمن :

هم طوائف من المسيحيين موطنهم الأصلى أرمنيا ، وإن كانوا ينتشرون فى مصر وبعض بلاد الشرق الأوسط ، يعتقدون فى المسيح اعتقاد الكنيسة القبطية أن المسيح ذو طبيعة واحدة ومشيئة واحدة . ولكن لهم تقاليد دينية وطقوس دينية مختلفة ، كما أن لهم بطاركة مستقلين بهم ، لأنهم لا يندمجون فى الكنائس الأخرى (١) .

ثالثاً — البروتستانت أو الإصلاح الدينى :

١ — ينتشر البروتستانت فى ألمانيا وإنجلترا والدنمرك وهولنده وسويسرا والنرويج وأمريكا الشمالية ، وهم يسمون كنيستهم الإنجيلية ، بمعنى أن أتباع تلك الكنيسة يتبعون الإنجيل ويفهمونه بأنفسهم دون الخضوع لأحد آخر أو طائفة أخرى ، فالكل قادر الحق فى فهمه ، وهذا الاتجاه منهم فى فهم الإنجيل يعارضون به الكنائس الأخرى التى تعتبر فهم الإنجيل وقفاً

---

(١) المرجع السابق وما قبله .

على رجال الكنيسة ، الذين يعتقدون فى جانبهم الإلهام ، فضلا عن ادعائهم بتلقى تعاليم غير مكتوبة يتناقلها البابوات خلفاً عن سلف .

٢ — ويطالب البروتستانت بإبطال عبادة الصور ، واستحالة تحول الخبز والخمر فى عيد الفصح إلى جسد المسيح ودمه ، وإبطال صكوك غفران الذنوب والتجارة ببيع الثواب لعدم وجود أصل لذلك فى الإنجيل (١) .

٣ — والحقيقة أن البروتستانت لم يغيروا شيئاً من الاعتقاد بأن الكتب المقدسة هى نبراس الهداية فى طريق العلم البشرى ، كما أنها منبع نور الإيمان بالدين الإلهى ، وأنه لا يباح للعقل أن ينساق فى نظره إلى ما يخالف شيئاً مما حوته ، وأنه لا حاجة إلى شىء من العلم وراء ما ورد فيها .

لذلك لم يكن مذهب الإصلاح الدينى كما يحلو لهم أن يسموه ، أخف وطأة على العلم ولا أفضل معاملة له من الكاثوليك ، لأن كلا المذهبين يرجع إلى طبيعة واحدة ، ولم يكن لأهل النظر العقلى جزاء فى كلتا الملتين إلا القتل وسفك الدماء .

٤ — كان لوثر الزعيم الأول للمذهب البروتستنتى ، أشد الناس إنكاراً على من ينظر فى فلسفة أرسطو ، وكان يلقبه بالخنزير الدنس الكذاب ، فى الوقت الذى كان علماء المسلمين يلقبون فيه أرسطو بالمعلم الأول ، ولذا كان سيرفيت يعتقد أن الدين المسيحى دخل عليه شىء من الابتداع قبل مجمع نيقية ، وكان يقول إن روح القدس ينعش الطبيعة بأسرها ، فكان جزاؤه من قبل كلفان الزعيم الثانى البروتستانت بعد لوثر أن أمر بإحراقه فى جنيف فشوى حياً على النار حتى مات .

٥ — وبالجملة فإن البروتستانت لم يبطلوا أصلا من الأصول المسيحية ،

---

(١) المرجع السابق وما قبله .

بل إنهم فقط قالوا بمنع غلو الرؤساء فى سلطتهم ، أو بمعنى آخر كانت حركة لإصلاح الكنيسة لا إصلاحاً للمسيحية وإرجاعها إلى أصولها النقية ، لذلك بقيت موضوعات ضخمة لم يتطرق إليها الإصلاح مثل الآتى :

(أ) التثليث ومدى سلامة قرارات المجامع السابقة فى العقيدة وخصوصاً قرارات مجمع نيقيةسنة ٣٢٥ ميلادية وقرارات مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١ وفى الأول تقررت عقيدة التثليث وألوهية المسيح ، وفى المجمع الآخر تقررت ألوهية روح القدس .

(ب) صلب المسيح للتكفير عن خطيئة البشر ومدى صحةهذهالنظرية .

(ج) البحث عن إنجيل المسيح نفسه بمعنى الاقتصار على تعاليم المسيح الواردة عنه ، واستبعاد التعاليم الدخيلة على المسيحية وخصوصاً ماتعلق منها بالعقيدة .

٦ — ولم تعدم الأجيال المسيحية عباقرة مصلحين حاولوا إصلاح المسيحية وإرجاعها إلى طبيعتها النقية ، وأعلنوها على الملأ فى صراحة ووضوح دون خوف أو وجل ولاقوا فى سبيلها الأهوال (١) وذاقوا العنت والعذاب ، وإن فشلت مساعيهم فيما كانوا يهدفون إليه من إصلاح والأمثلة على ذلك الآتى :

(أ) أعلن آريوس قسيس الإسكندرية فى بداية القرن الرابع الميلادى ، أن الله وحده هو الإله الأصلى الواجب الوجود ، أما المسيح والروح القدس فهما كائنان من خلق الله . فيحكم عليه مجمع نيقية بالكفر والهرطقة ويتقرر قتله مع مشايعيه .

(ب) وهذا أوريجانوس يعلن أن الله روح لا يدركه الفهم ، وهو أعلى من أن تكون أوصافه شبيهة بالإنسان ، وأن الله لا يجزأ ولا يجسد ولا يحصر . فيحكم عليه بالحرمان وتحرق كتبه ثم يطرد مع أتباعه .

---

(١) كتاب « الله واحد أم ثالوث » تأليف الأستاذ محمد مجدى مرجان .

(ج) والفيلسوف المسيحى ترتليان فى القرن الثالث الميلادى ، يعلن قوله (إننا بريئون من الذين ابتدعوا مسيحية رواقية أو أفلاطية أو جدلية بعد المسيح والإنجيل ، لسنا بحاجة إلى شىء) .

(د) والأسقف نسطور ينكر ألوهية المسيح ، ويقرر أنه إنسان كسائر الناس مملوء بالنعمة والبركة ، ويشايعه فى رأيه فلاسفة متأخرون مثل تولستوى ورينان فضلا عن أساقفة متقدمين يشايعونه مثل سابليوس وبولس الشمشاطى .

(هـ) ثم يأتى الأسقف مقدونيوس أسقف القسطنطينية ، فينكر ألوهية الروح القدس أيضاً فيعقد مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١ ميلادية ويقرر طرده وحرمانه وعزله .

(و) وفى أسبانيا يجهر المصلح الأسبانى سرفيتوس برأيه بوحدانية الله ، وإنكار الثالوث فيتقرر إحراقه حياً سنة ١٥٥٣ ميلادية .

(ز) وفى بولونيا نادى سرسينس بوحدانية الله وبشرية المسيح ، مقررا أن الإله لا يحل فى البشر ، وقد تفرع عن عقيدته مذهب الموحدين ، الذين قاموا يدعون إلى تطهير المسيحية من أدران الوثنية وجهالة التجسيد ، ولاقى أفراد هذا المذهب من الاضطهاد والتعذيب ما اضطرهم إلى هجر وطنهم إلى مختلف البلاد فيلاحقهم العذاب أينما حلوا .

وهكذا عشاق الزور والبهتان وعباد الزيف والضلال ، لاحقوا الموحدين تجويعاً وتشريداً ، وسجنا وتعذيباً وإحراقاً وتقتيلا ، حتى تاهت حقيقة الوحدانية الفطرية ، وسط الزحام فى المجتمعات المسيحية ، ودست فى عمق الظلام بين شعوب معتنقى النصرانية ، حتى جاء الإسلام فبدد بنور الوحدانية ظلام الشرك والتعدد والتثليث ، وأرسى عقيدة توحيد الخالق المنزه عن الشريك والوالد والصاحبة والولد ، فأرجع القلوب والأفئدة إلى التوحيد الذى هو دين الأنبياء ، من لدن آدم أبى البشر حتى ختام رسالات السماء بمحمد صلوات الله وسلامه عليه ، يقول الله سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم :

« وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون »(١)

ويقابل ذلك ما ورد فى إنجيل يوحنا ، منسوبا إلى المسيح عليه السلام (٢)

« وهذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى ويسوع المسيح الذى أرسلته » دون أن يشير المسيح إلى أنه هو الإله أو أنه واحد من ثالوث ، فأوضح المسيح طريق الفردوس أتم وضوح ، إذ أشار أنه طريق التوحيد الخالص ، أما غير التوحيد فهو طريق يؤدى بسالكه إلى الجحيم .

كما جاء فى التوراة فى سفر الخروج بيان واضح عن معنى وحدانية الله عند إبلاغ موسى عليه السلام وهو فى الجبل بالوصايا التى يجب أن يسير عليها قومه ليكونوا مؤمنين « أنا الرب إلهك ، لا يكن لك آلهة أخرى أمامى ، لا تصنع لك تمثالا منحوتاً ، ولا صورة مما فى السماء من فوق وما فى الأرض من تحت ، وما فى الماء مما تحت الأرض لا تسجد لهن ولا تعبدهن »(٣) .

---

(١) سورة الأنبياء ٢٥ .

(٢) إنجيل يوحنا إصحاح ١٧ عدد ٢ .

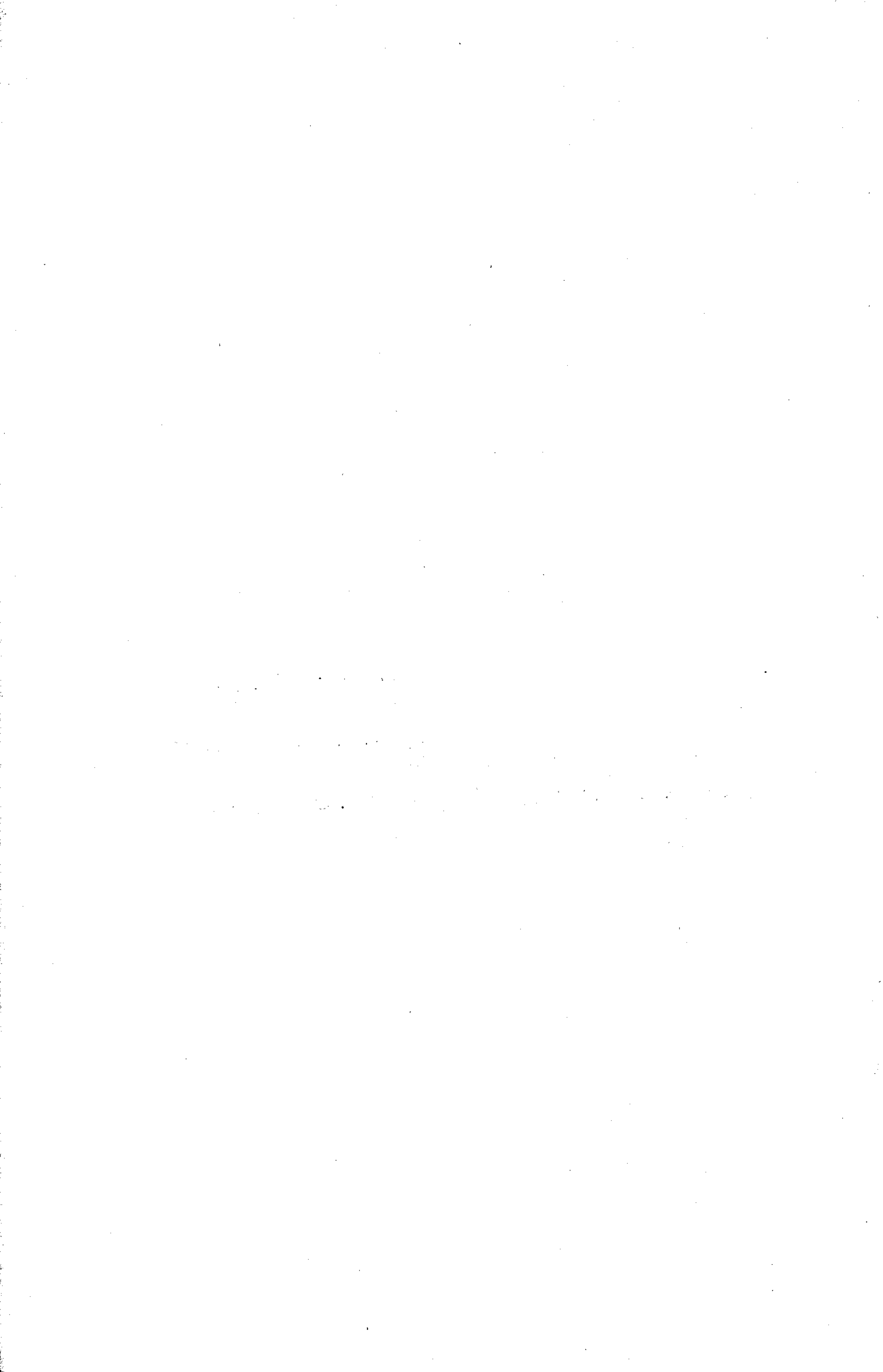
(٣) سفر الخروج إصحاح ٢٠ من عدد ٢ إلى عدد ٦ .

البَابُ الثالث

١ ـ حقائق عن أصول النصرانية .

٢ ـ حقائق عن أصول الإسلام .

٣ ـ تخاريف الرهبان وبعض المعجزات التى تزعمها الكنائس لصحة العقيدة النصرانية مع ذكر لبعض الفضائح عن بعض رؤساء الملة النصرانية



الفصل الأول

حقائق عن أصول النصرانية

أصول النصرانية : إن أى مطلع على الأناجيل المتداولة ، يتبين له بجلاء أن هذه الأصول هى :

الأصل الأول : الذى قام عليه الدين المسيحى هو خوارق العادات ، وهى التى تأتى مخالفة لشرائع الكون ونواميسه ، فلا يوجد دليل على صدق المسيح سوى الخوارق التى كان يأتى بها ، ثم جعل ذلك دليلا على صحة الدين لمن يأتى بعده ، فجعل هذا الدليل لأصحابه وشرطت الأناجيل على حصول تلك الخوارق شرطا واحدا هو الإيمان ، فبالإيمان فقط ولو كان مثل حبة خردل يكفى المسيحى أن يخرق نواميس الكون ، دون حاجة إلى الاستناد إلى قوانينه ونواميسه ، وطبقا لما يأتى من نصوص الأناجيل .

١ — ورد فى إنجيل متى :

هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلا : إلى طريق أمم لاتمضوا ، إلى مدينة للسامريين لا تدخلوا ، بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة ، وفيما أنتم ذاهبون اكرزوا قائلين : إنه قد اقترب ملكوت السموات ، اشفوا مرضى ، طهروا برصا ، أقيموا موتى ، أخرجوا شياطين(١) .

٢ — ورد فى إنجيل متى :

فالحق أقول لكم لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا إلى هناك فينتقل ، ولا يكون شىء غير ممكن لديكم(٢) .

---

(١) إنجيل متى إصحاح ١٠ عدد ٥ وما بعده .

(٢) إنجيل متى إصحاح ١٧ عدد ٢٠ .

٣ — كما ورد فى إنجيل مرقص :

لأن الحق أقول لكم أن من قال لهذا الجبل انتقل وانطرح فى البحر ولايشك فى قلبه بل يؤمن أن مايقوله يكون فمهما قال يكون له ، لذلك أقول لكم كل ما تطلبونه حينما تصلون فآمنوا أن تنالوا فيكون لكم(١) .

والنتيجة من كل ذلك :

١ — أن كل بحث يؤدى إلى أن للكون شرائع ثابتة ، وأن للعلل والشرائط أو الأسباب أو الموانع أحكاما فى معدلاتها أو ما تسبب عنها أوما استحال وجوده لوجودها كان مضادا لهذا الأصل فى أى زمن ، بمعنى أنه إذا كان كل علم من علوم الأكوان لابد فيه من هذا البحث كان ذلك العلم مضادا لهذا الأصل المسيحى .

٢ — لا حاجة طبقا لهذا الأصل إلى العلوم والبحث فيها ، لأنه إذا كان كل علم مضادا للأصل المذكور لم يكن لصاحب الاعتقاد حاجة إلى البحث فى الأسباب والمسببات فهو فى غنى عن العلم والعلم عدو لما يعتقد ، ويكفيه فى الحياة اعتقاده فى الشىء أن يكون قد تم وفق إرادته فيحصل على ما يريد .

كيف تغلبت أوربا على نزعة الكنيسة فى محاربتها للعلم :

شب النزاع بين العلم والدين فى أوروبا بفعل عاملين مما قوض من سلطان الكنيسة فى النهاية ، وأول هذين العاملين هو ظهور الإسلام وامتداده حتى أسبانيا ، واستقرار سلطانه فى بلاد الأندلس وحضور أبناء الأوروبيين إلى هناك لتلقى العلوم والفنون والآداب والفلسفة تحت ظلال من الأمن والحرية .

---

(١) إنجيل مرقص إصحاح ١١ عدد ٢٣ وما بعده .

وثانيهما : احتكاك الأوروبيين بالمسلمين فى الحروب الصليبية ، فلما انتهت رجع الآلاف من الغزاة الصليبيين إلى بلادهم يحملون إلى شعوبهم أخباراً تناقض ما كان ينشره دعاة الحرب من رؤساء الكنيسة ، من أن المسلمين جماعة من الوثنيين غلبوا على الأرض المقدسة ، وهم وحوش ضارية وحيوانات مفترسة ، فلما قفل الغزاة إلى ديارهم قصوا على قومهم أن أعداءهم كانوا أهل دين وتوحيد ومروءة، عندهم وفاء وود وفضل ومجاملة.

ثم ظهر عامل ثالث : ألا وهو انتشار صناعة الورق التى اخترعها العرب ، ثم اكتشفت المطبعة فسهل على الناس أن ينشروا آراءهم ، بعد أن تنبهت أفكارهم ، ثم انساب إلى عقول الأوروبيين شىء مما سماه الأوروبيون فلسفة ابن رشد .

ولكن هل سلمت الكنيسة بافتئات سلطانها بسهولة ؟

عندما ظهرت الأفكار السابقة اهتمت الكنيسة بالأمر ، وأخذت تحارب كل ما يظهر على ألسنة الناس أو يرد على أسماعهم ، مما يخالف ما فى الكتب المقدسة ، وتقاليد الكنيسة ووصفت تلك الآراء بالهرطقة وأنشأت المؤسسات الآتية :

أولا — المراقبة على المطبوعات :

حتم على كل مؤلف وكل طابع أن يعرض مؤلفاته على القسيس ، أو المجلس الذى عين للمراقبة ، وصدرت أحكام المجمع المقدس بحرمان من يطبع شيئاً لم يعرض على المراقبة ، أو بدون إذنها، ووضعت غرامات ثقيلة على أرباب المطابع ، يعاقبون بها فوق الحرمان من الكنيسة .

ثانياً — أنشئت محكمة التفتيش :

بطلب من أحد الرهبان يدعى توركماندا ، لتتبع الآراء العلمية الحرة التى لا ترضى عنها الكنيسة ، وقد قامت المحكمة بأعمالها حق قيام فنى مدة ١٨ سنة من سنة ١٤٨١ إلى ١٤٩٩ عملت الآتى(١) :

---

(١) الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية للمرحوم الأستاذ الإمام محمد عبده .

١ — حكمت على عشرة آلاف ومائتين وعشرين شخصا بأن يحرقوا وهم أحياء فأحرقوا .

٢ — وحكمت على ٦٨٦٠ شخصا بالشنق بعد التشهير بهم ، فشهروا بهم ثم شنقوهم .

٣ — حكمت على ٩٧٣٢٠ شخصا بعقوبات مختلفة ونفذت عليهم .

٤ — أمرت بإحراق كل توراة باللسان العبرى .

٥ — وللحصول على اعتراف المتهمين خلال حبسهم والتحقيق معهم أمرت بأن تجرى عليهم صنوف مختلفة من العذاب بآلات التعذيب المتنوعة حتى يعترفوا ، وعندئذ يصدر الحكم ويعقبه التنفيذ مباشرة .

٦ — بلغ مجموع من حاكمتهم تلك المحكمة من وقت إنشائها سنة ١٤٨١ حتى سنة ١٨٠٨ — ٣٤٠,٠٠٠ نسمة منهم نحو ٢٠٠,٠٠٠ أحرقوا بالنار أحياء .

الأصل الثانى للنصرانية — سلطة الرؤساء .

وهذه السلطة هى سلطة دينية منحتها الأناجيل للرؤساء على المرءوسين فى عقائدهم وما تكنه ضمائرهم ، ويستدلون على شرعية هذه السلطة بالنصوص الآتية فى الأناجيل :

١ — ورد فى إنجيل متى حاكيا عن المسيح مخاطبا تلميذه بطرس « وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطا فى السموات ، وكل ماتحله على الأرض يكون محلولا فى السموات »(١)

٢ — ورد فى إنجيل متى أيضا مخاطبا تلاميذه :

« الحق أقول لكم كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطا فى السماء وكل ما تحلونه على الأرض يكون محلولا فى السماء(٢) » .

---

(١) إنجيل متى إصحاح ١٦ عدد ١٩ .
(٢) المرجع السابق إصحاح ١٨ عدد ١٨ .

والنتيجة من كل ذلك :

١ — أنه ليس المعتقد حرا فى اعتقاده يتصرف فى معارفه كما يرشده عقله ، بل عينا قلبه مشدودتان بشفتى رئيسه الكهنوتى ، فإذا قال هذا الأخير لشخص إنه ليس مسيحيا صار فى الحال كذلك ، وإذا قال له إنه مسيحى أصبح كذلك .

٢ — ليس لكل ذى عقل فهم نصوص الكتاب المقدس ، بل إنما يتلقى فهمه وتفسيره من رؤساء الكنيسة ، خوفا من الزيغ عن الإيمان السليم ، وما على المستمع إلا الطاعة — ولقد نشر البابا فى روما منشورا سنة ١٨٦٤ ، جاء فيه لعن كل من يقول بجواز خضوع الكنيسة لسلطة مدنية ، أو جواز أن يفسر أحد شيئا من الكتب المقدسة على خلاف ما ترى الكنيسة ، أو يعتقد بأن الشخص حر فيما يعتقد ويدين لربه — وفى سنة ١٨٦٨ أصدر البابا منشورا يقضى على المؤمنين بأن يفدوا نفوذ الكنيسة بأرواحهم وأموالهم ، وعليهم أن ينزلوا لها عن آرائهم وأفكارهم .

الأصل الثالث — ترك الدنيا والعزوف عنها :

هذا الأصل تمتلىء به الأناجيل وأعمال الرسل ، فلابد للمسيحى أن أن يتجرد للانقطاع إلى العبادة والابتعاد عن الدنيا وعدم الزواج ، لأن الملكوت قد نيط أمره بالإيمان المجرد عن النظر فى الأكوان ويستدلون على ذلك بالآتى :

١ — ورد فى إنجيل متى منسوبا إلى المسيح(١) .

(لا تقدرون أن تخدموا الله والمال ، لذلك أقول لكم لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون ولا لأجسادكم بما تلبسون ، أليست الحياة أفضل من الطعام ؟ والجسد أفضل من اللباس ؟) فالمسيحية إذاً تحارب الأبدان .

---

(١) إنجيل متى إصحاح ٦ عدد ٢٤ وما بعده .

٢ — ورد فى إنجيل متى أيضاً(١) .

« لكن اطلبوا أولا ملكوت الله وبره ، وهذه كلها تزاد لكم ، فلا تهتموا للغد لأن الغد يهتم بما لنفسه ، يكفى اليوم شره » .

٣ — ورد فى إنجيل متى أيضاً(٢) .

« لا تقتنوا ذهباً ولا فضة ولا نحاساً فى مناطقكم ، — ولا مزودا للطريق ولا ثوبين ولا أحذية ولا عصا » .

٤ — كما ورد فى إنجيل متى أيضاً(٣) .

(فقال لتلاميذه : الحق أقول لكم إنه يعسر أن يدخل غنى إلى ملكوت السموات) .

٥ — وحث على عدم الزواج ، وطبيعى أن عدم الزواج يؤدى إلى انقطاع النسل البشرى طبقاً لما جاء فى إنجيل متى (٤) .

« ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات من استطاع أن يقبل فليقبل » .

٦ — فالمسيحية تحارب العمران طبقاً لما تقدم ، فهى تكره المال وتحاربه مع أن المال عصب العمران . فقد جاء فى إنجيل متى ولوقا ومرقص قصة الشاب الذى أراد أن يتعلم من المسيح ، فقال له : لا تقتل لاتسرق ، لا تزن ، لاتشهد الزور . فقال الشاب : حفظت هذا كله وعملت به ، قال عيسى : بع أملاكك وأعط ثمنها للفقراء واتبعنى . فلم يقبل الشاب ، فقال المسيح :

---

(١) المرجع السابق إصحاح ٦ عدد ٣٣ وما بعده .
(٢) المرجع السابق إصحاح ١٠ عدد ٩ .
(٣) المرجع السابق إصحاح ١٩ عدد ٢٣ .
(٤) المرجع السابق إصحاح ١٩ عدد ١٢ .

«يعسر أن يدخل غني ملكوت الله، ولدخول الجمل فى ثقب إبرة أيسر من دخول الأغنياء ملكوت الله» (١) .

الأصل الرابع — الإيمان بغير المعقول :

هذا الأصل يعتبره المسيحيون جميعاً هو أصل الأصول لا يختلف فيه كاثوليك ولا أرثوذكس ولا بروتستانت ، لذلك فهم يعتقدون أن الإيمان منحة لا دخل للعقل فيها ، وأن من الدين ما هوفوق العقل أى يناقض أحكام العقل فمجرد الإيمان كاف فى الخلاص دون حاجة للفهم .

ويقول فى ذلك القديس أنسليم :

(يجب أن تعتقد أولا بما يعرض على قلبك بدون نظر ، ثم اجتهد بعد ذلك فى فهم ما اعتقدت) وكلام ذلك القديس من ضمن مقاصده عقيدة الثالوث ، التى تدور عليها المسيحية الحالية ، فلقد أدرك أساقفة الثالوث أنفسهم وكبار أحبار وفلاسفة المسيحية غموض عقيدة الثالوث ، ومجافاتها للعقل والمنطق وبعدها عن الحق والصواب طبقاً للآتى :

١ — **يقول القس توفيق جيد** : أن الثالوث سر يصعب فهمه وإدراكه — وإن من يحاول إدراك سر الثالوث تمام الإدراك ، كمن يحاول وضع ماء المحيط كلها فى كفه (٢) .

٢ — **ويقول القمص باسيليوس إسحاق** : أجل إن هذا التعليم عن التثليث فوق إدراكنا ولكن عدم إدراكه لا يبطله(٣) .

٣ —**ويقول الأستاذيسى منصور** : إن من الصعب أن نحاول فهم هذا الأمر بعقولنا القاصرة(٤) .

---

(١) إنجيل متى إصحاح ١٩ من عدد ١٧ إلى ٢٣ وإنجيل مرقص ص ١٠ من عدد ١٧ إلى عدد ٢٥ وإنجيل لوقا ص ١٨ من عدد ١٨ إلى عدد ٢٥ .

(٢) كتاب سر الأزل للقس توفيق جيد .

(٣) كتاب الحق للقمص باسليوس إسحاق .

(٤) كتاب « التثليث والتوحيد » للأستاذ يسى منصور .

٤ — أما الأستاذ عوض سمعان فيقرر (إننا لا ننكر أن التثليث يفوق العقل والإدراك ، ولقد حاول كثيرون من رجال الفلسفة توضيح إعلانات الكتاب المقدس عن ذات الله ، أو بالحرى عن ثالوث وحدانيته فلم يستطيعوا إلى ذلك سبيلا ، لأنهم انحرفوا عن أقواله واعتمدوا على عقولهم وحدها)(١) .

ويعلق على ذلك أنه إذا كان أساقفة الثالوث وكبار الأحبار وفلاسفة المسيحية وعلماؤها قد عجزوا عن فهم هذا الثالوث ، فمن يا ترى يمكنه إدراك هذا الفهم ، وما هو موقف غيرهم من عامة المسيحية من هذه العقيدة .

ولو عرضت فكرة الثالوث على صفحة العقل لرفضها بسرعة ، لأن العقل لا يمكن أن يتصور إلهاً واحداً مكوناً أو مركباً من أجزاء أو عناصر ثلاثة طبقاً للآتى :

١ — إن الشيء المركب لا يتكون ولا يتم وجوده إلا بعد وجود باقى العناصر والأجزاء الأخرى المكملة ، فوجود الأجزاء يسبق تكوينها وتركيبها ، والخالق سبحانه وتعالى وهو أصل الوجود لم يكن مسبوقاً بشيء .

٢ — أن الشيء المركب يفتقر فى تحققه وتكونه إلى كل جزء من أجزائه ، والافتقار عجز ومحال أن يكون الخالق عاجزاً ومحتاجاً إلى الأجزاء ليتركب منها ، فهو القوى الكبير الغنى عن الجزئية والتركيب .

٣ — إذا كانت الألوهية مركبة من ثلاثة أجزاء أو عناصر أو أقانيم فلابد لها من مركب يتولى تركيب تلك الأجزاء أو العناصر أو الأقانيم وضم بعضها إلى بعض حتى يتكون الكل ويصير كاملا ، إذ من غير المعقول أن تضم بعضها إلى بعض دون علة ، وإذا استقام ذلك المنطق العليل ، كانت تلك الأقانيم معلولة وضعيفة لافتقارها إلى ذلك المركب ، ولم تكن آلهة

---

(١) كتاب « الله ذاته ونوع وحدانيته » للأستاذ عوض سمعان .

بل صار ذلك القوى وهو المركب هو الإله ، ورجعنا إلى النظرية السليمة وهى الوحدانية المطلقة لهذا الإله القوى .

٤ — ويقول الفيلسوف أرسطو ، كل مركب صائر إلى الانحلال ، لذلك لا يكون الواحد إلا بسيطا غير قابل للتجزئة .

٥ — ويبرهن الإمام رحمة الله الهندى على استحالة الجمع بين الوحدانية والتثليث لمخالفة ذلك لكل عقل ومنطق بأن المثلث لا يمكن أن يكون موحداً لله تعالى بالتوحيد الحقيقى ، لأن التوحيد والتثليث بالنظر إلى ذاتيهما ضدان حقيقيان ، بل ونقيضان فى نفس الأمر فلا يمكن اجتماعهما فى أمر واحد ، ذلك أن الواحد الحقيقى ليس مجموع آحاد والثلاثة هى مجموع آحاد ثلاثة ، لأن جزأها واحد ، والثلاثة لها ثلث صحيح وهو واحد ، فلو اجتمع الواحد والثلاثة فى محل واحد يلزم كون الجزء كلا والكل جزءا وهذا محال(١) .

٦ — ويقول المرحوم الدكتور محمد عبد الله دراز فى كتابه (الدين) إنه لا يقول بالتعدد إلا العقل القانع المتعجل الذى يقف عند أدنى مبادىء الغيب وغاياته ، فيرى أن وراء كل فصيلة من الظواهر الكونية مبدأ يدفعها وينظمها ، فيقوده ذلك إلى الاعتقاد بوجود إله للريح وإله للشعر وإله للحرب وهكذا ، أما العقول الواعية الطليقة المتسامية فإنها ترى أن خلف هذا كله قوة واحدة أسمى وأعظم ، تصرف جميع الشئون ، فهى لا ترضى بآحاد القوانين ولكنها تسمو إلى قانون القوانين ، وتستشرف إلى اليد التى جمعت تلك القوانين ونسقتها(٢) .

٧ — ويقول الدكتور ولتر أوسكار لندبرج فى مقال نشر فى كتاب (الله يتجلى فى عصر العلم) إن جميع المنظمات الدينية المسيحية تبذل محاولات لجعل الناس يعتقدون منذ طفولتهم فى إله على صورة إنسان ، بدلا من

---

(١) كتاب « إظهار الحق » للإمام رحمة الله بن خليل الرحمن الهندى .

(٢) كتاب (الدين) للدكتور محمد عبد الله دراز .

الاعتقاد بأن الإنسان قد خلق خليفة لله على الأرض ، وعندما تنمو العقول بعد ذلك وتتدرب على استخدام الطريقة العلمية ، فإن تلك الصورة التى تعلموها منذ الصغر ، لا يمكن أن تنسجم مع أسلوبهم فى التفكير أو مع أى منطق مقبول ، وأخيرا عندما تفشل جميع المحاولات للتوفيق بين الأفكار الدينية القديمة ، وبين مقتضيات المنطق والتفكير العلمى تجد هؤلاء المفكرين يتخلصون من الصراع بنبذ فكرة الله كلية(١) .

ويعلق الأستاذ مجدى مرجان على ذلك بقوله إن العالم الأمريكى يقرر أن تمثيل رجال الدين الله بإنسان مكونا من ثلاثة عناصر أو أجزاء : ذات ونطق وحياة ، هذه الصورة الغريبة التى تخالف كل فكر وطبع ، والتى يسعى رجال الدين جاهدين فى دعوة الناس إلى تقبلها ، تجعل المسيحى المثقف فى صراع دائم بين هذه الأفكار ، وبين عقله ومنطقه ، وفى دوامة هذا الصراع ، إما أن يصل إلى الحقيقة ويجهر بها معلنا التوحيد ، وإما أن يفضل السلامة فيكتفى بالإلحاد(٢) .

الأصل الخامس أن الكتب المقدسة حاوية كل ما يحتاج البشر فى المعاش والمعاد .

فالعهد الجديد والعهد القديم يحتويان فى نظر المسيحيين على كل ما يحتاج البشر سواء كان متعلقا بالاعتقادات الدينية أو الآداب النفسية أو الأعمال البدنية مما يؤدى إلى نيل السعادة فى الملكوت الأعلى .

ويقول فى ذلك تير تورليان من علماء المسيحية فى نهاية القرن الثالث عشر :

« إن أساس كل علم (عند المسيحيين) هو الكتاب المقدس وتقاليد

---

(١) (الله يتجلى فى عصر العلم) لنخبة من العلماء الأمريكيين ترجمة الدكتور الدمرداش عبد الحميد سرحان .

(٢) كتاب (الله واحد أم ثالوث) تأليف الأستاذ محمد مجدى سرحان .

الكنيسة ، وإن الله لم يقصر تعليمنا بالوحى على الهداية إلى الدين فقط ، بل علمنا بالوحى كل ما أراد أن نعلمه من الكون فالكتاب المقدس يحتوى على العرفان على المقدار الذى قدر للبشر أن ينالوه » .

بمعنى أن ما جاء به من وصف للسماء والأرض ، وما فيها وتاريخ الأمم يجب التسليم به مهما خالف المعقول أو خالف شاهد الحس ، فعلى الناس أن يؤمنوا به أولا ثم يجتهدوا ثانيا فى حمل أنفسهم على فهمه والتسليم به وكل علم خالف ذلك فهو ممقوت .

ونتيجة لذلك :

١ — أحرقت مكتبة الإسكندرية التى كانت تحتوى على كتب البطالسة والمصريين القدماء على عهد جول قيصر ، وكانت قسمين أحدهما مكتبة البروخيوم وتحتوى على ٤٠٠ ألف مجلد والأخرى السرابيوم وتضم ٢٠٠ ألف مجلد .

٢ — ثم إن تيوفيل بطريرك الإسكندرية انتحل أدنى الأسباب لإثارة ثورة فى المدينة لإتلاف ما بقى فى مكتبة البطالسة بعضه بالإحراق وبعضه بالتبديد(١) ، ولقد قال أوروسيوس المؤرخ إنه رأى أدراج المكتبة خالية من الكتب ، بعد أن نال تيوفيل الأمر الإمبراطورى من قيصر الرومان بإتلافها بنحو عشرين سنة .

٣ — ثم جاء بعد تيوفيل ابن أخته سيريل بطريركا على الإسكندرية ، وكان خطيبا مفوها له على الشعب سلطان بفصاحته ، وكان فى الإسكندرية فتاة تسمى هيباتى الرياضية ، تشتغل بالعلوم والفلسفة ، وكان يجتمع إليها كثير من أهل النظر فى العلوم الرياضية ، وكان لا يخلو مجلسها من البحث

---

(١) كتاب (الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية) للأستاذ الشيخ محمد عبده :

فى الفسلفة فى مسائل ثلاث هى (أ) من أنا (ب) وإلى أين أذهب ؟ ، (ج) وماذا يمكننى أن أعمل ؟ فلم يحتمل سيريل السماع بها وبعلومها ، مع أن الفتاة لم تكن مسيحية بل كانت على دين آبائها المصريين القدماء ، فأخذ يثير الشعب عليها حتى قعدوا لها وقبضوا عليها فى الطريق سائرة إلى دار ندوتها ، فهل تدرى ماذا فعلوا بها بعد ذلك ؟ .

أولا : جردوها من ثيابها كلية .

ثانيا : أخذوها إلى كنيسة الإسكندرية مكشوفة العورة .

ثالثا : وفى مقر الكنيسة المقدس قتلوها .

رابعا : ثم قطعوا جسمها تقطيعا .

خامسا : ثم جردوا اللحم عن العظم .

سادسا : ما بقى منها بعد ذلك ألقى فى النار(١) .

ويقول مؤرخ هذه القصة وراويها ، ولم تسأل الدولة القديس سيريل بطريرك الإسكندرية عما صنع بالفتاة هيباتى ولم تنظر الحكومة الرومانية فيما وقع عليها .

٤ — وشبيه بذلك ما ذكره العالم دى رومنيس أن قوس قزح ليست قوسا حربية بيد الله ينتقم بها من عباده إذا أراد ، بل هى من انعكاس ضوء الشمس فى نقط الماء فقبض عليه وأحضروه إلى روما وحبس حتى مات ، ثم حوكمت جثته وكتبه فحكم عليها وألقيت فى النار .

٥ — بعد انحسار الإسلام عن بلاد الأندلس فى أسبانيا ، قام الكاردينال اكسيمنيس بإحراق(٨) ثمانية آلاف كتاب عربى مخطوطة فى غرناطة ، فيها كثير من ترجمة الكتب المعول عليها عند علماء أوربا وقتئذ .

---

(١) المرجع السابق وكتاب (أوربا والإسلام) للدكتور عبد الحليم محمود .

ونخلص من كل ذلك بالآتى :

إن تعاليم الأناجيل خالية تماما مما يحث على العلم أو يقود إلى الإصلاح ، أو يهدف إلى المدنية ، ومن الخطأ بمكان ربط مدنية الغرب المسيحى فى تقدمه بالمسيحية ، لأن مدنية الغرب مدنية مادية مبنية على حب المال والسلطة والتغلب ، والعزة والكبرياء والعظمة والتمتع بالشهوات ، والتعاليم المسيحية تناقض هذا كله ، وما وصل الأوروبيون إلى ما وصلوا إليه إلا بعد ما نبذوا التعاليم المسيحية وراء ظهورهم ، ولو أن هذه المدنية من أثر التعليم المسيحى لنشأت بقرب نشأته ، ولكنها لم تظهر إلا بعد بضعة قرون من ظهوره(١) .

وتطبيقا لهذا منعت الكنيسة إبان نفوذها أن ينشر التعليم بين العامة إلا ما كان دعوة إلى الصلاح وتقرير الإيمان ، وبقى غير القسيسين فى جهالة حتى بأمور الدين وحقائقه وأسراره . ولقد عارضت الكنيسة القول بكروية الأرض ، وعارضت رحلة كريستوف كولمبس للكشف عن أمريكا ، وعارضت الحقن تحت الجلد ، وعارضت تخدير المرأة لتسهيل ولادتها ، وكانت معارضة الكنيسة لمثل هذه الأمور أن هذه الأشياء لم ترد فى الكتاب المقدس ، وليس لأحد أن يقترح شيئا لم يرد فى هذا الكتاب .

الأصل السادس للنصرانية :

مفارقة المسيحيين لغيرهم من الفرق الأخرى ، ولو وصل الأمر إلى حد استعمال السيف ضد الأب والابنة والأم ، والدليل على ذلك :

ورد فى إنجيل متى :

« لا تظنوا أنى جئت لألقى سلاما على الأرض ، ما جئت لألقى سلاما بل سيفا فإنى جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه والابنة ضد أمها ، والكنة ضد حماتها ، وأعداء الإنسان أهل بيته»(٢) .

---

(١) شبهات النصارى وحجج الإسلام للسيد محمد رشيد رضا .

(٢) إنجيل متى إصحاح ١٠ عدد ٣٤ وما بعدها .

ورد فى إنجيل لوقا منسوبا إلى المسيح إن كان أحد يأتى إلى ولا يبغض أباه وأمه وامرأته وأولاده وإخوته وإخوانه حتى نفسه أيضا فلا يقدر أن يكون لى تلميذا(١) (وهل هناك تفكك للأسرة أشد من هذا التفكك الذى تدعو إليه تلك التعاليم) .

ونتيجة لذلك :

١ — يقول البابا أنوثان الثالث عند الكلام فى مصادرة الذين يخالفون العقيدة الكاثوليكية ، « لا يجوز أن يترك لأولاد الجاحدين سوى الحياة وترك الحياة لهم من الإحسان ، فلم يقصر الجزاء على الجاحدين ، ولكن تعداه إلى أولادهم ، وعد ترك الحياة لأولادهم يتمتعون بها ضربا من الإحسان عليهم ، لأنهم لا حق لهم فى أن يعيشوا وقد جحد آباؤهم .

٢ — اشتدت محكمة التفتيش فى طلب المجرمين طلاب العلوم والسعاة إلى كسبها ، ونيط بها كشف البدعة والحكم فيها مهما اشتد خفاؤها ، فى المدن ، فى البيوت ، فى السراديب ، فى الأنفاق ، فى المخازن، فى المطابخ، فى المغارات ، فى الغابات ، وفى الحقول ، فوفت بما كلفت مع البهجة والسرور اللائقين بأصحاب الغيرة على الدين عملا بالقول الجليل « ما جئت لألقى سلاما بل سيفا » .

٣ — ولقد قرر مجمع لاتران أن يكون من وسائل الاطلاع على أفكار الناس ، الاعتراف الواجب أداؤه على المذهب الكاثوليكى أمام القسيس فى الكنيسة ، فمثلا تذهب البنت أو الزوجة أو الأخت لأجل الاعتراف بين يدى القسيس يوم الأحد ، فيكون مما تسأل عنه عقيدة أبيها أو زوجها أو أخيها وما يبدر من لسانه فى بيته ، وما يظهر فى أعماله بين أهله ، فإذا وجد القسيس متلقى الاعتراف شيئاً من الشبهة فى طلب العلم غير المقدس على من سأل عنه ، رفع أمره إلى محكمة التفتيش فينقض شهاب التهمة على من سأل عنه ، فإذا

---

(١) إنجيل لوقا إصحاح ١٤ عدد ٢٦ .

سأل عن الشاهد الذى عول عليه فى اتهامه لا يجاب ، وإنما يقام عليه التعذيب حتى ينتزع الاعتراف منه تحت قسوة العذاب .

٤ — يقول غليادیس ما كان يقوله جميع الناس فى ذلك العهد المشئوم : يقرب من المحال أن يكون الشخص مسيحيا ويموت على فراشه .

٥ — وفى أسبانيا بعد انحسار نور الإسلام عنها ورجوعها إلى النصرانية قدمت محكمة التفتيش(١) للنار أكثر من ٣١ ألف نسمة أحرقوا جميعا ، وحكمت على أكثر من ٢٩٠ ألفا بعقوبات أخرى تلى الإعدام .

٦ — وفى عام ١٥٦٨ أصدر الديوان حكمه بإدانة جميع سكان الأراضى الواطئة (وهى هولندا وبلجيكا) والحكم عليهم بالإعدام ، واستثنى من الحكم أفراد نص القرار على أسمائهم وبعد عشرة أيام من صدور الحكم دفع للمقصلة ملايين الرجال والنساء والأطفال .

٧ — وكان الإعدام يسبق بصور من التعذيب كالكى بالنار والضرب لعل المتهم يعترف بجرمه ، فإن لم يعترف قتل ، لأنه لم يكن يعتبر بريئا حتى تثبت إدانته ، بل مجرما حتى تثبت براءته ، وهيهات أن تثبت ، وإذا اعترف المتهم بجريمته استمر تعذيبه قبل القضاء عليه لعله يكشف عن أنصاره وشركائه ، وللوصول إلى ذلك كانت تسلط الشموع على جسم الضحية وتخلع أسنانه كما حدث لبنيامين كبير أساقفة مصر ، لأنه رفض الخضوع لقرار مجمع خليكادونية الذى قرر أن للمسيح طبيعتين إلهية وإنسانية .

٨ — وكانت القوانين تقضى أن يحمل الأبناء أو الأحفاد تبعة الجرم الذى يدان به الآباء ، فيسلبوا حقهم فى مباشرة الكثير من الوظائف ومزاولة الكثير من المهن .

---

(١) مقارنة الأديان المسيحية — للدكتور أحمد شلبى .

٩ — ولما ظهر البروتستانت اتجهت الكنيسة الكاثوليكية لهم بالاضطهاد العنيف ، وكثرت المذابح ومن أهمها مذبحة باريس فى ٢٤ أغسطس سنة ١٥٧٢ ، التى سطا فيها الكاثوليك على ضيوفهم من البروتستانت بعد أن دعوهم إلى باريس لعمل تسوية تقرب بين وجهات النظر ، ثم قتلوا غدراً وهم نيام ، فلما أصبحت باريس كانت شوارعها تجرى بدماء هؤلاء الضحايا، وانهالت التهانى على شارل التاسع ملك فرنسا من بابا روما ، ومن ملوك الكاثوليك فى أوروبا وعظمائها على هذا العمل الدنىء .

١٠ — ولما قويت شوكة البروتستانت مثلوا نفس دور القسوة مع الكاثوليك ، ولم يكونوا أقل وحشية فى معاملة أعدائهم السابقين ، والمثال الحى على ذلك فى وقتنا الحاضر ما يجرى فى إيرلندا الشمالية من قتال وحشى بين الكاثوليك والبروتستانت ، رغم أنهما أبناء شعب واحد .(١)

١١ — وهكذا دون التاريخ للمسيحية — بحارا من الدماء ، وأكداسا من رماد الذين أحرقوا مع يتم ودموع وأنين ووحشية وبربرية بعد أن أتيح لها السلطان ، فكانت نقمة وشرا .

ولو ضم إلى هذا ما فعله المسيحيون بالمسلمين فى البلاد التى اجتاحتها الحروب الصليبية وبالمسلمين الأسبان بعد سقوط غرناطة ، وما فعله الاستعمار المسيحى بأقطار المسلمين لظهر بجلاء أن المسيحية التى هى أساسا كما جاء بها المسيح دين الرحمة كانت تستعمل بابا من العذاب وجحيما من التنكيل وحشدا من الغل والكراهية والحقد .

١٢ — ويبدو أن التعذيب والتنكيل وإراقة الدماء قديم فى المسيحية الرسمية التى أصبح لها السلطان باعتناق أباطرة الرومان لها ، فمنذ انعقاد مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م وتقريره ألوهية المسيح وإدانة آريوس المتوحد الذى كان يعارض هذا الادعاء لقوله ببشرية المسيح فقط ، فقرر المجمع طرد آريوس

---

(١) المرجع السابق .

وإحراق كتاباته وتحريم اقتنائها ، وخلع أنصاره من وظائفهم الكنسية ونفيهم والحكم بإعدام كل من أخفى شيئا من كتابات أريوس وأتباعه ، وانتهى الأمر بقتل أريوس نفسه .

١٣ — علق بعض النقاد على الحروب التى شنتها المسيحية دائما ، واضطهادات الكنيسة بقوله : « ما أهون الدم على من يمثل فى عبادته أكل الدم ، وعلى من يعتقد أن خلاص العالم الإنسانى من الخطيئة ، إنما كان بسفك الدم البشرى البرىء على يد المعتدى الأثيم » .

فهل يتفق هذا مع ما تدعو إليه المسيحية فى أناجيلها من طلب الحب والتسامح حتى وصلت إلى القول بحب من يكره والتسامح مع العدو ؟؟

الجواب : لا ، لأنهم ينفذون ماورد فى إنجيل لوقا منسوبا إلى المسيح فضلا عما ورد عنه فى إنجيل متى كما قدمنا « أما أعدائى أولئك الذين لم يريدوا أن أملك عليهم فأتوا بهم إلى هنا واذبحوهم قدامى(١) » .

* * *

(١) الكتاب المقدس — العهد الجديد — إنجيل لوقا إصحاح ١٩ عدد ٢٧ .

الفصل الثانى

حقائق عن الإسلام

إن حقائق الإسلام تتلخص فى الآتى :

أولا : الاعتقاد بوجود الله ، وهذه الحقيقة لا يعول فيها إلا على تنبيه العقل البشرى وتوجيهه إلى النظر فى الكون ، واستعمال القياس الصحيح ، والرجوع إلى ما حواه الكون من النظام والترتيب وتعاقد الأسباب والمسببات ، ليصل بذلك إلى أن للكون صانعا واجب الوجود عالما حكيما قادرا .

وأن ذلك الصانع واحد لوحدة النظام فى الأكوان ، وعلى العقل أن يفكر دون أى قيد عليه فى الوصول إلى هذه الحقيقة الفطرية ، فعليه أن يفكر فى خلق السموات والأرض ، واختلاف الليل والنهار ، وهبوب الرياح على نظام يتيسر للبشر أن يستعملها فى تسخير سفن البحر لمنافعه ، فضلا عما تقوم به تلك الرياح من إثارة السحاب فينزل منه الماء ، فتحيا به الأرض بعد موتها ، وتنبت ما شاء الله لها من النبات والشجر ، مما فيه رزق ما يدب على الأرض وحفظ حياته .

والقرآن فى استدلاله على التوحيد لم يفارق هذا السبيل .

قال تعالى : « إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب »(١) .

---

(١) آل عمران : آية ١٩٠ .

وقال سبحانه :

« لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا »(١) .

وقال تعالى :

« ما اتخذ الله من ولد ، وما كان معه من إله ، إذا لذهب كل إله بما خلق ، ولعلا بعضهم على بعض ، سبحان الله عما يصفون»(٢) .

فالإسلام فى قضية الوحدانية لا يعتمد على شيء سوى الدليل العقلى ، والفكر الإنسانى الذى يجرى على نظامه الفطرى أو ما نسميه بالنظام الطبيعى دون مؤثرات خارجية ، فلا يدهشك بخارق ولا يغشى بصرك بأطوار غير معتادة .

والاعتقاد بالله فى الإسلام مقدم على الاعتقاد بالنبوات ، إذ لا يمكن الإيمان بالرسل إلا بعد الإيمان بالله سبحانه وتعالى ، لذلك فإنه لا يعقل أن يؤمن الإنسان بكتاب أنزله الله إلا إذا صدق قبل ذلك بوجود الله الذى له أن ينزل ما يشاء من كتاب أو يرسل من يشاء من الرسل .

ثانياً : حقيقة الإسلام الثانية هى رسالة النبى محمد صلى الله عليه وسلم ودعوة الناس إليها ، هذه الحقيقة هى التى يحتج فيها الإسلام بخارق العادة وهو القرآن الكريم ، فهو الذى تواتر خبره ، ولم ينقطع أثره ، فهو الكتاب الذى أملى من علم الله المحيط ، وحمله روح القدس جبريل عليه السلام حتى وصل به إلى النبى محمد صلى الله عليه وسلم ، والدليل على أنه معجزة خارقة للعادة معنوى ولفظى ، فالمعنوى اشتماله على العلم والعرفان والهداية الكاملة لصلاح الأمم مع أنه جاء على لسان أمى ، واللفظى بلاغته الفائقة لبلاغة البشر ، وقوة تأثيره على القلوب ، حتى تخبت لربها ، وتستجيب لهاديها وما كان ذلك إلا بسحر بيانه وفصاحة كلمه ومتانة أسلوبه واتساق عباراته ،

---

(١) سورة الأنبياء الآية ٢٢

(٢) سورة المؤمنون الآية ٩١ .

حتى أدلى بعضها إلى بعض ، ونم أولها عن آخرها ، وعاد قاصيها على دانيها ، واشتبكت قوادمها بخوافيها ، فهو سلسلة محكمة كل حلقة لها بأختها صلة وأى صلة، وهذا إذا دل فلا يدل إلا على أنه وحى من الله وحده وليس من اختراع البشر ، فقد جاء على لسان أمى لم يتعلم الكتابة ولم يمارس العلوم ، وقد نزل لتأييده فى دعوته ، هاديا للضال مقوماً للمعوج كافلا لنظام عام لحياة من يهتدى به من الأمم ، منقذاً لهم من الخسران الذى كانوا فيه ، والهلاك الذى كانوا مشرفين عليه ، ولقد انتظم من العقائد الصحيحة والآداب الحميدة والأخلاق العالية والأعمال الصالحة ، ما هو كفيل بسعادة البشر فى دنياهم الحاضرة ، وحياتهم الآخرة لو أنهم دانوا بما أوجب وتأدبوا بما سن ، وتخلقوا بما بين ، وعملوا بما شرع ، فهو الدواء لعلل البشر النفسية ، وأمراضهم الخلقية ومشاكلهم الاجتماعية لو أنهم تجرعوه ، وما هو بالمر المذاق ، ولكنه العذب الفرات ، لمن تناوله بشهية وتقبله بنفس رضية .

قال تعالى :

(وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولايزيد الظالمين إلا خساراً) (١) .

(أ) ولقد دعا الفصحاء والبلغاء أن يعارضوه بشىء فعجزوا ، ولجأوا إلى المجالدة بالسيوف وسفك دماء المسلمين ، واضطهاد المؤمنين به ، إلى أن ألجأوهم إلى الدفاع عن حقهم ، وكان من أمرهم ما كان من انتصار للحق على الباطل ، وظهور شمس الإسلام تمد عالمها بأضوائهم وتنشر أنوارها فى أجوائهم .

(ب) كما دعا الناس جميعا إلى النظر فيه بعقولهم ، وطولبوا بأن يأتوا فى تفنيده بآخر ما تنتهى إليه قوتهم ، فما وجدوا طريقاً لإبطال إعجازه .

---

(١) سورة الإسراء ٨٢ .

قال تعالى :

(وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله) (١) .

وقال تعالى :

« أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً » (٢) .

و أما أصول الإسلام فتتلخص فى الآتى :

١ — **الأصل الأول :** النظر العقلى لتحصيل الإيمان الصحيح ، فقد أقامك منه على سبيل الحجة وقاضاك إلى العقل لتذعن إلى سلطته .

٢ — **الأصل الثانى :** تقديم العقل على ظاهر الشرع عند التعارض واستحالة التوفيق بينهما ، مع الاعتراف بصحة الشرع والعجز عن فهمه ، وتفويض الأمر إلى الله تعالى بشأنه ، وإن كان مثل ذلك نادراً ، فإن الغالب بل المطرد هو إمكان التوفيق ، بتأويل النص ليتفق مع العقل كما فى قوله تعالى « يد الله فوق أيديهم » حيث أولت بقدرة الله فوق قدرتهم ، لاستحالة الجارحة على الله تعالى .

وبهذا الأصل الذى قام على الكتاب وصحيح السنة مهدت بين يدى العقل كل سبيل وأزيلت من سبيله جميع العقبات واتسع له المجال إلى غير حد. فماذا عساه يبلغ نظر الفيلسوف حتى يذهب إلى ما هو أبعد من هذا ، وأى فضاء يسع أهل النظر وطلاب العلوم إن لم يسعهم هذا الفضاء .

وهذان الأصلان من أصول الإسلام ضد الأصل الرابع والأصل الخامس من أصول النصرانية .

٣ — **الأصل الثالث ، البعد عن التكفير :**

فإذا صدر قول من قائل يحتمل الكفر من مائة وجه ويحتمل الإيمان

---

(١) سورة البقرة ٢٣ .

(٢) سورة النساء ٨٢ .

من وجه واحد ، حمل على الإيمان ، ولا يجوز حمله على الكفر ، فهل رأيت أو سمعت تسامحا مع أقوال الفلاسفة والحكماء أوسع من هذا الحكم . وهل يليق بالحكيم أو الفيلسوف أن يكون من الحماقة بحيث يقول قولا لا يحتمل الإيمان من وجه من مائة حتى يكفره المتزمتون من أهل الأديان ويحكموا عليه بالإعدام كما تقدم بيانه للعبرة والاتعاظ .

٤ — **الأصل الرابع** : أن عهد الاعتماد على المعجزات الكونية لإثبات النبوة قد مضى بنزول القرآن ، وأن الاعتبار بما أنزله الله فى أمم الأنبياء السابقين من عقاب بقيت آثاره واجباً للعبرة والاتعاظ .

قال تعالى :

« قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين » (١)

وقال تعالى :

« سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا » (٢) .

وقال تعالى :

« فهل ينظرون إلا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا » (٣) .

وقال تعالى :

« أو لم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم » (٤)

عناية الأولين بفهم القرآن وتفهيمه

جاء الإسلام لمحو الوثنية عربية كانت أو يونانية أو رومانية أو غيرها ، فى أى لباس وجدت ، وفى أى صورة ظهرت ، كما جاء بشرائع الله

---

(١) سورة آل عمران ١٣٧ .
(٢) سورة الإسراء ٧٧ .
(٣) سورة فاطر ٤٣ .
(٤) سورة الروم ٩ .

السديدة النظيفة ولا يتأتى فهم ذلك منه إلا بمعرفة اللسان العربى ، لذلك قام المسلمون الأولون ببذل الأموال وركوب الأسفار وإنفاق الأعمار فى جمع كلام العرب وحفظه وتدوينه وتفسيره ، توسلا بذلك إلى فهم كتابهم المنزل ، وكانوا يعدون ذلك ضربا من ضروب العبادة ، يرجون من الله فيه حسن المثوبة وهذا باب من التسامح لا يقدر سعته إلا أهل العلم به .

أما المسيحيون الأولون فقد هجروا لسان المسيح عليه السلام سريانيا كان أو عبرانيا أو آراميا ، وكتبوا الأناجيل باللغة اليونانية ، حتى إن اسم الإنجيل نفسه يونانى . كل ذلك كراهة لليهود الذين كان ينطق المسيح بلسانهم ويعظهم بلغتهم ، وتحرجاً من النظر فى دواوين آدابهم وما توارثوا من عاداتهم (وهذا الأصل من أصول الإسلام ضد الأصل الأول للنصرانية) .

٥ — الأصل الخامس للإسلام ، هدم السلطة الدينية :

لقد محا الإسلام أثر هذه السلطة حتى لم يبق لها عند الجمهور من أهله اسم ولا رسم :

(أ) لم يدع الإسلام لأحد بعد الله ورسوله سلطانا على عقيدة أحد ولا سيطرة على إيمانه . والرسول صلى الله عليه وسلم كان مبلغاً ومذكراً لا مهيمناً ولا مسيطراً .

قال تعالى :

« فذكر إنما أنت مذكر * لست عليهم بمسيطر (١) » .

(ب) ولم يجعل لأحد من أهله أن يحل ويربط ، لا فى الأرض ولا فى السماء ، بل الإيمان يعتق المؤمن من كل رقيب فيما بينه وبين الله سوى الله وحده ، ويرفع عنه كل رق إلا العبودية لله وحده ، وليس لمسلم مهما

---

(١) سورة الغاشية ٢١ - ٢٢ .

علا شأنه ، حق على آخر مهما انحطت منزلته إلا حق النصيحة و الإرشاد .

قال تعالى فى وصف المفلحين :

«وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » (١) .

وقال تعالى :

« ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » (٢) .

فالمسلمون يتناصحون فيما بينهم ، ثم هم يقيمون أمة،أى جماعة من العلماء تدعو إلى الخير وتردهم إلى السبيل السوى إذا انحرفت عنه ، وتلك الأمة من العلماء ليس لها عليهم إلا الدعوة والتذكير والإنذار والتحذير ، ولا يجوز لها ولا لأحد من الناس مهما كبر وعظم أن يتتبع عورة أحد ، ولا يسوغ لقوى ولا لضعيف أن يتجسس على عقيدة أحد ، والمسلم ليس عليه أن يأخذ عقيدته أو يتلقى أصول ما يعمل به عن أحد إلا عن كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلكل مسلم أن يفهم عن الله من كتاب الله وعن رسوله من كلام رسوله بدون توسيط أحد ، من سلف ولا خلف ، لكن يجب عليه قبل ذلك أن يحصل من الوسائل ما يؤهله للفهم ، كقواعد اللغة العربية وآدابها وأساليبها ، وما كان عليه الصحابة زمن النبي صلوات الله وسلامه عليه من حسن الامتثال وما وقع من الحوادث وقت نزول الوحى وشىء من الناسخ والمنسوخ من الآثار ، فإن لم تسمح له حاله بالوصول إلى ما يعده لفهم الصواب من السنة والكتاب ، فليس عليه إلا أن يسأل العارفين بهما ، وله بل عليه أن يطالب المجيب بالدليل على ما يجيب به سواء كان السؤال فى أمر الاعتقاد أو فى حكم عمل من الأعمال .

(وهذا الأصل من أصول الإسلام ضد الأصل الثانى من أصول النصرانية)

---

(١) سورة العصر ٣ . (٢) سورة آل عمران ١٠٤ .

ولا يفوتنا أن ننوه بأن الإسلام عقيدة وشريعة ودولة فهو قد وضع حدوداً ورسم حقوقاً ؛ وليس كل معتقد فى ظاهر أمره يجرى على قواعد الإسلام فى عمله ، فقد يغلب الهوى وتتحكم الشهوة فيتعدى حدود الله ، فلا تكمل الحكمة من تشريع الأحكام إلا إذا وجدت قوة لإقامة الحدود ، وتنفيذ القضاء بالحق وصون نظام الجماعة ، وتلك القوة لابد أن تكون فى يد السلطان أو الخليفة عن النبي .

والخليفة عن المسلمين ليس بالمعصوم ، ولا هو مهبط الوحى ولا من حقه الاستئثار بتفسير الكتاب وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وينبغى أن يكون مجتهداً على علم باللغة العربية وآدابها ، بحيث يتيسر له أن يفهم من الكتاب والسنة ما يحتاج إليه من الأحكام ، حتى يتمكن بنفسه من التمييز بين الحق والباطل ، والصحيح والفاسد ، فيسهل عليه إقامة العدل الذى يطالبه به الدين والأمة معاً .

وبناء على ما تقدم فإن هذا الخليفة أو السلطان لا يخصه الدين فى فهم كتاب الله والعلم بأحكامه بمزية ، ولا يرتفع به إلى منزلة فوق البشر ، بل هو وسائر طلاب الفهم سواء ، يتفاضلون فيما بينهم بصفاء العقل ، وكثرة الإصابة فى الحكم ، ثم هو مطاع ما دام على المحجة ، ونهج الكتاب والسنة ، والمسلمون له بالمرصاد ، فإذا انحرف عن النهج أقاموه عليه ، وإذا اعوج قوموه بالنصيحة فإنه « لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق » .

ومعنى ذلك أن الخليفة إن فارق الكتاب والسنة فى عمله ، وجب على الناس أن يستبدلوا به غيره ما لم يكن فى استبداله مفسدة تفوق المصلحة فيه ، دون أن يكون للخليفة أى سلطان إلهى . ومفهوم ذلك أن الخليفة أو السلطان ما هو إلا حاكم مدنى من جميع الوجوه ، له حق السيطرة ضبطاً لأمور الناس فى دنياهم ، ولا حق له فى معادهم وكل ذلك فى نطاق الكتاب والسنة والإسلام ، ولم يجعل للقاضى أو للمفتى أو لشيخ الإسلام أدنى سلطة على

العقائد وتقرير الأحكام ، وكل سلطة يتولاها واحد من هؤلاء فهى سلطة نظامية قررها الشرع الإسلامى ، ولا يسوغ لواحد منهم أن يدعى حق السيطرة على إيمان أحد أو عبادته لربه ، أو ينازعه فى طريق نظره ، فالقاضى مهمته الفصل فى الخصومات التى ترفع إليه ، ووظيفة المفتى بيان المسائل التى يسأل عنها ، ولكل عالم بهذا الفن أن يرد عليه إذا أخطأ ، ولقب شيخ الإسلام كان يطلقه العلماء على بعض الممتازين فى العلوم ، وأطلقته الدولة العثمانية على أكبر العلماء من الوجهة الرسمية ، وجعلت له حق اختيار قضاة الشرع والمفتين بمقتضى قانون صادر من الدولة .

ولا يتدخل الحاكم الشرعى فى عقائد الناس إلا فى حالة ارتدادهم عن الإسلام ، بأية صورة من الصور ، فعليه أن يستتيب المرتد ، فإن لم يتب بعد إمهاله أمر بقتله ، وعليه أن يحكمهم بموجب الشريعة ، فإن أساءوا عاقبهم وفق الكتاب والسنة .

٦ — الأصل السادس للإسلام : حماية الدعوة لمنع الفتنة :

يقول أعداء الإسلام إنه دين جهادى شرع فيه القتال ففى طبيعته روح الشدة على من يخالفه ، وليس فيه ذلك الصبر والاحتمال اللذان تقضى بهما شريعة المسيحية ، التى تقول فى وصاياها (من لطمك على خدك الأيمن فحرك له الآخر ومن سخرك ميلا فاذهب معه اثنين) (١) .

ولقد دعت إلى محبة الأعداء كما فى قولها (وأما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم احسنوا إلى مبغضيكم) (٢) .

والرد على ذلك سهل يسير ، فإن دفع الشر بالشر عند القدرة عليه وعند عدم الجدوى من سواه ليس خاصا بالدين الإسلامى بل هو عام فى

---

(١) إنجيل متى إصحاح ٥ عدد ٣٩ ، ٤١ .
(٢) إنجيل متى إصحاح ٥ عدد ٤٤ .

جميع الأديان ، وكما أن الإسلام أمر بدفع الشر بمثله عند الضرورة ، فقد أمر بالعفو .

١ — فليس القتل فى طبيعة الإسلام بل فى طبيعته العفو والتسامح .

قال تعالى :

« خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » (١) .

٢ — والقتال فى الإسلام هو لرد اعتداء المعتدين على الحق وأهله ، إلى أن يأمن الناس شرهم وتضمن السلامة من غوائلهم .

٣ — ولم يكن القتال فى جميع عصور الإسلام للإكراه على اعتناق دينه ، ولا للانتقام من مخالفى عقيدته ، ولهذا لا نسمع فى تاريخ الفتوح الإسلامية ما نسمعه فى الحروب المسيحية عندما اقتدر هؤلاء المسيحيون على محاربة غيرهم ، فقتلوا الشيوخ والنساء والأطفال ، ولم تقع حرب إسلامية بقصد الإبادة كما وقع كثير من الحروب بهذا القصد ، بأيدى المسيحيين كما حدث فى الحروب الصليبية ضد المشرق الإسلامى ، وكما حدث ضد المسلمين فى أسبانيا إثر هزيمتهم بيد الأسبان .

١ — والإسلام فى فتحه للبلاد والدول كان يكتفى بإدخال الأرض المفتوحة تحت سلطانه ، ثم يترك الناس وما كانوا عليه من الدين ، يقيمون شعائرهم كما تشاء لهم عقيدتهم ، وكل ما كلفهم به الإسلام هو دفع جزية تكون عوناً على صيانتهم ، والمحافظة على أمنهم فى ديارهم ، وهم فى عقائدهم ومعابدهم وعاداتهم بعد ذلك أحرار لا يضايقون فى عمل ، وخلفاء المسلمين كانوا يوصون قواد جيوشهم باحترام من انقطعوا فى الأديرة والصوامع وعدم التعرض للنساء والأطفال ومن لم يعن على القتال .

---

(١) سورة الأعراف ١٩٩ .

كما تواترت السنة فى النهى عن إيذاء أهل الذمة وتقرير ما لهم من الحقوق على المسلمين « لهم ما لنا وعليهم ما علينا » .

ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

« من آذى ذمياً فأنا خصمه » .

والإسلام يقول فى كتابه القرآن فى شأن الوالدين المشركين .

« وإن جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفاً واتبع سبيل من أناب إلى » (١) .

فهو فى اشتداده على من يهددون أمنه لا يقضى بالفرقة بين أب وابن ، ولا بين أم وبنت ، بل يأمر الأولاد المؤمنين أن يصحبوا الوالدين المشركين بالمعروف فى الدنيا ، مع محافظتهم على دينهم .

٢ — والمسيحية عكس ذلك فإنها ترى لها حق القيام على كل دين يدخل تحت سلطانها ، تراقب أعمال أهله وتخصهم دون الناس بضروب من المعاملة السيئة ، لا يحتملها الصبر مهما عظم ، حتى إذا تمت لها القدرة على طردهم بعد العجز عن إخراجهم عن دينهم ، أجلتهم عن ديارهم ، ولا يمنع غير المسيحى من تعدى المسيحى عليه إلا كثرة العدد أو شدة العضد ، وليس ذلك غريباً عليه لأن اعتقاده مبنى على ما ورد فى إنجيل متى «لا تظنوا أنى جئت لألقى سلاماً على الأرض ما جئت لألقى سلاما بل سيفاً » (٢) .

وما ورد فى إنجيل لوقا (٣) .

« أما أعدائى أولئك الذين لم يريدوا أن أملك عليهم فأتوا بهم إلى هنا واذبحوهم قدامى » .

---

(١) سورة لقمان ١٥ .
(٢) الكتاب المقدس — العهد الجديد — إنجيل متى إصحاح ١٠ عدد ٣٤ .
(٣) الكتاب المقدس — العهد الجديد إنجيل لوقا إصحاح ١٩ عدد ٢٧ .

وأما العهد القديم فقد جاء فى سفر التثنية (١) .

« وإذا أغواك سراً أخوك ابن أماك أو ابنك أو ابنتك أو امرأة حضتك أو صاحبك الذى مثل نفسك قائلا تذهب وتعبد آلهة أخرى لم تعرفها أنت ولا آباؤك من آلهة الشعوب الذين حولك القريبين منك أو البعيدين عنك من أقصاء الأرض إلى أقصائها فلا ترض منه ولا تسمع له ولا تشفق عينك عليه ولا ترق له ولا تستره بل قتلا تقتله » .

وجاء فى سفر التثنية أيضاً (٢) .

« حين تقرب من مدينة لكى تحاربها استدعها إلى الصلح ، فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك ، وإن لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها ، وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف ، وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما فى المدينة كل غنيمتها فتغنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التى أعطاك الرب إلهك ، هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جداً التى ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا ، وأما مدن هؤلاء الشعوب التى يعطيك الرب إلهك نصيباً فلا تستبق نسمة ما » .

وجاء فى إنجيل لوقا :

« وكان جموع كثيرة سائرين معه فالتفت وقال لهم إن كان أحد يأتى إلى ولا يبغض أباه وأمه وامرأته وأولاده وإخوته وأخواته حتى نفسه أيضاً فلا يقدر أن يكون لى تلميذاً » (٣) .

---

(١) الكتاب المقدس — العهد القديم سفر التثنية إصحاح ١٣ عدد ٦ ، ٧ ، ٨ .
(٢) الكتاب المقدس — العهد القديم — سفر التثنية — إصحاح ٢٠ عدد ١٠ إلى ١٦ .
(٣) الكتاب المقدس — العهد الجديد — إنجيل لوقا — إصحاح ١٤ عدد ٢٥ ، ٢٦

الأصل السابع : الإحسان وأداء الحق لمن يخالفنا فى العقيدة :

وهذا الأصل ضد الأصل السادس للنصرانية .

أباح الإسلام للمسلم أن يتزوج الكتابية نصرانية كانت أو يهودية وجعل من حقوق الزوجة على زوجها المسلم أن تتمتع بالبقاء على عقيدتها ، والقيام بفروض عبادتها والذهاب إلى كنيستها أو بيعتها رغم أنها قرينة نفسه وأميرة بيته ، وأم بنيه وبناته . فلم يفرق الإسلام فى حقوق الزوجية بين الزوجة المسلمة والزوجة الكتابية ، فكلتاهما يندرج تحت قوله تعالى :

« ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة ، إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » (١) .

وقال صلى الله عليه وسلم « من آذى ذميا فقد آذانى » .

والهدف الذى توخاه الإسلام وأراد أن يعود القلوب على الشعور به هو أن الدين معاملة بين العبد وربه ، والعقيدة موضعها القلوب ، فيجب أن يكون أمرها بيد علام الغيوب فهو الذى يحاسب عليها ، وأما المخلوق فغاية مايطلب إليه إن كان عارفاً بالحق أن ينبه الغافل ويعلم الجاهل وينصح الغاوى ويرشد الضال ، ولا يكفر فى ذلك نعمة العشير ، ولا يسلك به مسالك التعسير ، ولا يخالف سنة الوفاء ، ولا يحيد عن شرائع الصدق فى الجـوار .

ويقول بعض النصارى : إذا كان الإسلام أباح للمسلم أن يتزوج بالكتابية مع التباين فى العقيدة ، فلماذا لم يسمح للكتابى أن يتزوج بالمسلمة ؟ والرد على ذلك أن الرجال بطبيعتهم أقوى من النساء فليس من العدل ولا الرحمة أن يسمح لقوى يحثه دينه على كراهة زوجته الضعيفة التى تخالفه

---

(١) سورة الروم ٢١ .

فى دينه كما رأينا آنفاً فى إنجيل لوقا إصحاح ١٤ ويأمره ببغضها وبغض أولاده ووالده إذا خالفوا عقيدته . ليس من العدل أن يسمح له بأن يتزوج بامرأة مخالفة له فى العقيدة، وفضلا عن ذلك فإن الكتابى يهودياً أم نصرانياً لا يبيح له دينه التزوج بالمسلمة إلا جحوداً لدينه أو فسوقاً عنه ، وإيثاراً لشهوته عليه فكيف يستقيم أمر أسرة على هذا المنوال ؟

ولهذا لم يبح للمسلمة أن تتزوج برجل كتابى .

٨ — **الأصل الثامن من أصول الإسلام ، الجمع بين مصالح الدنيا والآخرة**، وهذا الأصل من أصول الإسلام ضد الأصل الثالث من أصول المسيحية .

(أ) إن أوامر الإسلام ونواهيه لا تمنع المسلم عن كسبه ، ولا تحرمه من التمتع به ، ولا توجب عليه تقشف الزهادة ، ولا تجشمه فى ترك اللذات مافوق العادة ، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن استشاره فيما يتصدق من ماله (الثلث والثلث كثير ، إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس) .

(ب) ولقد فرض الصوم على المؤمنين لكن إذا خشى منه المرض أو زيادته ، أو زادت المشقة فيه جاز تركه ، بل قد يجب إذا غلب على الظن الضرر فيه ، كذلك الحال إن خشى من استعمال الماء فى الوضوء والاغتسال بسبب مرض أو ضرر أو مشقة جاز التيمم ، وكذلك الحال فى باقى العبادات ومن أراد الاستزادة فليرجع إلى كتب الفقه المختلفة .

(ج) ولقد أباح الإسلام لأهله التجمل بأنواع الزينة والتوسع فى التمتع بالمشتهيات على شريطة القصد والاعتدال وحسن النية والوقوف عند الحدود الشرعية ، والمحافظة على صفات الرجولة .

قال تعالى :

« يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا

إنه لايحب المسرفين * قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ، كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون ، قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغى بغير الحق ، وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون » (١) .

(د) وضع الإسلام قانوناً للإنفاق وحفظ المال .

قال تعالى :

« وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيراً * إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً » (٢) .

وقال أيضاً سبحانه :

« ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً » (٣) .

(ه) والإسلام طلب من المؤمن ألا يغلو فى طلب الآخرة فيهلك دنياه وينسى نصيبه منها ، فذكر فى كتابه ، وهو القرآن الكريم ، أن الآخرة يمكن نيلها مع التمتع بنعم الله التى أباحها لنا فى الدنيا .

قال تعالى :

« وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد فى الأرض ، إن الله لايحب المفسدين »(٤)

والنتيجة من كل ذلك أن الإسلام جمع بين مصالح الدين والدنيا فجعل المسلم من أهل الدنيا ، كما هو من أهل الآخرة ، واستبقاه من أهل هذا العالم الجسدانى كما دعاه إلى أن يطلب مقامه الروحانى .

---

(١) الآيات من سورة الأعراف ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ .
(٢) سورة الإسراء ٢٦ ، ٢٧ .
(٣) السورة السابقة ٢٩ .
(٤) سورة القصص ٧٧ .

الفصل الثالث

تخاريف الرهبان والمعجزات التى تزعمها الكنائس لصحة العقيدة المسيحية - أو النصرانية وبعض الفضائح عن بعض رؤساء الملة المسيحية

زعم النصارى أن فى ديانتهم أموراً تزكى عقيدتهم ولكنها على عكس ذلك تكشف (١) عن تخاريفهم وإليك بعضاً منها طبقاً للآتى :

١ - زعموا أن الكلمة الأزلية نزلت إلى الأرض فولجت فؤاد امرأة وسكنت بطنها تسعة أشهر تتغذى بدم حيضها ، ثم تصورت وخرجت من فرجها إنساناً ، فتردد فى الأرض بين الناس ، وناله ماينال الأطفال من تقلب الأحوال ، إلى أن بلغ بين الأطفال مبلغ الرجال ، لا يظهر له فيها أثر ، ولا ينقل عنه خبر ، فلما شرع يشهر نفسه ويطهر قدسه ، وثب عليه طائفة من عبيده فكذبوا فمه ، وسفكوا دمه ، وقتلوه عيانا ، وصلبوه عريانا ، وكل ذلك لتخليص البشر من الجحيم ، وتخصيصهم بالنعيم المقيم (٢) .

فكأنه على زعمهم عجز عن خلاص عباده وهو معافى ورام سلامتهم فقتل وصلب .

٢ - ومنها كما يروى إنجيل لوقاً وإنجيل يوحنا أن إلههم صلب مع اللصوص ، ودفن بين الأموات لكنه قام فى اليوم الثالث ، وصعد إلى

---

(١) المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل تأليف الشيخ أبى الفضل المالكى السعودى

(٢) إنجيل يوحنا الإصحاح الأول والإصحاح ١٩ - وإنجيل لوقا إصحاح ٢٣ .

السماء وحل فيها (١) مع أنه لم يرد بهذين الإنجيلين أو إنجيل مرقص أن المسيح قال قبل قتله أنه سيقوم فى اليوم الثالث (٢) .

٣ — وذكروا أن إبليس احتمل المسيح ورفعه إلى جبل عال ، وأراه الدنيا بأسرها وقال . هذا كله لى وأنا أعطيكه إن خررت لى ساجداً (٣)

فكيف يستقيم ذلك مع قولهم إن المسيح رب إبليس ورب كل شىء ، ثم يطمع إبليس أن يكون إلهاً لذلك الإله ويحاول أن يغريه ليسجد له ، إنها لسذاجة دونها سذاجة الأطفال .

٤ — تركوا سنة الختان ، وجعلوه معصية مع أنه شرع لا يسع المكلف خلافه بنص التوراة ، انظر سفر التكوين عما قاله الله لإبراهيم « هذا هو عهدى الذى تحفظونه بينى وبينكم ، وبين نسلك من بعدك يختن منكم كل ذكر (٤) » .

وبنص الإنجيل يتضح أن المسيح ختن وهو طفل « ولما تمت ثمانية أيام ليختنوا الصبي سمى يسوع (٥) » .

حاول النصارى من قديم دعم ديانتهم ببعض الشواهد المفتعلة ، لشد انتباه معتنقيها على أنها خوارق ومعجزات عندهم ، وإليك بعضاً منها فيما يلى .

١ — كانت هناك كنيسة فى بعض البلدان تحج إليها بعض فرق النصرانية يزعمون أن يد الله تخرج إليهم من الستر فتصافحهم فى يوم من السنة ، فبلغ بعض رؤساء تلك الدولة فذهب إلى الكنيسة فى ذلك اليوم المحدد ، وعندما ظهرت اليد المزعومة قربه القسيس إليها ليقبلها ، وعندئذ أمسك بها فصاح

---

(١) إنجيل يوحنا إصحاح ٢٠ — وإنجيل لوقا إصحاح ٢٤ .
(٢) كتاب حديث الأيام فى قصة الموت والقيام للأستاذ محيى الدين سعيد البغدادى .
(٣) إنجيل متى — إصحاح ٤ عدد ٨ وما بعده .
(٤) سفر التكوين — إصحاح ١٧ عدد ١٠ .
(٥) إنجيل لوقا إصحاح ٢ عدد ٢١ .

عليه القسس والرهبان وقالوا : الساعة تخسف الأرض وتنزل الصواعق على رءوسهم ، ولكنه أصر على أن يرى وجه صاحبها ولما لم تجدمعه أقوالهم وتهديداتهم كشفوا له عن وجه صاحبها ، فإذا هو أسقف منهم كان يختبئ وراء الستر .

٢ — كانت لبعض فرق النصارى كنيسة فى بلاد المغرب ، وجعلوا فى قبتها صليباً من حديد وأوقفوه بالهواء بغير علاقة ولا دعامة ، وكانت شعوب النصرانية هناك تحج إليها لتشاهد معجزة الصليب ويتعجبون من تلك الآية ، ولما استحوذ الإعجاب على بعض ملوكهم تباهى بهذه المعجزة على بعض خاصته من اليهود ، فذكروا له أن فى جهات الصليب الأربع قطعا كبيرة من المغناطيس مخبأة فى الجدران ، وفى سقف القبة وأرض الكنيسة فهى التى أوجبت قيامه ، ومنعته من السقوط ، فحضر ذلك الملك إلى الكنيسة فى وقت كانت خالية من زوارها ، وأمر بالكشف عن تلك المكعبات الممغنطة ، وبمجرد محاولة العبث بها اضطرب الصليب حتى خشى سقوطه ، فقفل راجعاً ذلك الملك بعد أن تكشفت له خديعتهم .

٣ — كما كانت لهم هناك فى بلاد المغرب كنيسة ، توجد بها ثريا معلقة ينزل إليها نور من فوق فتضىء فى وقت معين من السنة يعظمونه ويفخمونه ، ولما علم بها بعض حكامهم توجه إليهم ، فاكتشف أنها تشتعل بحيلة أساقفتها ، ذلك أنهم مدوا من أحد الجدران أنبوبة حديد مجوفة ، تنتهى إلى الثريا ، فإذا جاء الوقت المحدد أرسلو نار النفط فى تلك القصبة فتخرج بسرعة فتشتعل الثريا فى الحال .

٤ — ومنها أنهم كانوا يزعمون أن السيدة مريم أم المسيح تنزل من السماء على دار المطران بطليطلة فى يوم معروف فى السنة ، بكسوة تلبسه إياها ، وهم لا يشكون فى صحة هذه الأسطورة مع أنه كان من المفروض ما دامت فى زعمهم أما لابن الله — تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً — أن

يصونها عن التبذل لرجل من جذبها أجنبي عنها ، ويرسل إليه الكسوة بمعرفة أية وسيلة أخرى . علماً أن عمليات التمويه والسحر من الأمور التى أتقنها هؤلاء استغفالا لرعاياهم وابتزازاً لأموالهم .

٥ — فى بيت المقدس عندما كان يحل عندهم عيد النور يجتمعون فى كنيسة هناك فإذا اكتمل عقدهم ، نزلت نار من تجويف القبة فتتعلق بذبالة القنديل فتشتعل بسرعة ، وهنا تكثر الأصوات وتعج بالدعاء والابتهال ولا يشكون فى أنها آية نزلت من السماء ، مع أن الحقيقة أنها حيلة رجل يختبىء فى أفريز القبة من الداخل ، فإذا كان الوقت وقرىء الإنجيل أرسل الرجل المذكور قبساً من نار النفط ، فجرت على خيط مدهون بدهن البلسان فيتقد ، ولو كان نوراً كما يزعمون لم تنقد القناديل ، إذ صفة النور الإشراق أما النار فصفتها الاحتراق .

٦ — كانت هناك كنيسة فى بعض بلاد الروم مشهورة ، يحجون إليها فى أحد أيام السنة ، وهناك يشاهدون صنما بها ، إذا قرىء الإنجيل بين يديه وثدييه خرج منهما اللبن فيشاهده من حضر ويحدث به من غاب ويعدها آية بينة ، ودلالة على صحة دين المسيحية وبالبحث بمعرفة أحد ملوكهم تبين له وجود طاقة لطيفة وراء جدران التمثال ، تصل منها إلى ثديي الصنم أنبوبة من النحاس ، فإذا كان يوم العيد فتحها وصب فيها لبنا فيخرج من ثديي الصنم ويسقط نقطة نقطة على التدريج ، فلا يشك من حضر أنها آية ظهرت عند تلاوة الإنجيل وقد كشف أمر تلك الحيلة أحد رؤساء الدولة النصارى هناك وقتئذ .

٧ — كان يوجد قديماً بالقسطنطينية صنم له عيد فى أحد أوقات السنة ، يحج إليه النصارى هناك من كل مكان ، وإذا تلى الإنجيل بين يديه ، يبكى الصنم بدموع غزار ، وعندما يشاهده البسطاء الحاضرون يبكون هم أيضاً بدموع غزار ، ويعجون بالضجيج والدعاء ، وقد كشف أمر هذه الخديعة أحد ملوك الدولة وقتئذ ، إذ وجد حفرة مصنوعة والصنم له تجويف ضيق

أسفله ، فإذا كان يوم العيد المحدد ، وضع أحد الأساقفة قربة ماء فى الحفرة وجعل فيها أنبوبة رفيعة مستطيلة تتصل برأس الصنم ، وقد ستر الحفرة ستراً محكما ، فإذا مسها أحد ضغطها فصعد الماء فى الأنبوبة إلى رأس الصنم ، وقد حشى رأسه بقطن وعندما يتشرب القطن الماء تسيل منه دمعات وتسقط من عين الصنم على التدريج .

أما عن فضائح بعض رؤساء ملتهم فإليك شرحاً عنها :

رغم أن القديس بولس الرسول يذكر فى تعليمه ضرورة الزواج لمن تبوأ الرياسة الدينية إلا أن المسيحيين تركوا تلك التعاليم ، وحرموا على رؤسائهم الروحانيين الزواج طبقاً لما يلى :

١ — ورد برسالة بولس :

« لذلك أسلمهم الله إلى أهواء الهوان ، لأن إناثهم استبدلن الاستعمال الطبيعى بالذى على خلاف الطبيعة ، وكذلك الذكور أيضاً تاركين استعمال الأنثى الطبيعى ، اشتعلوا بشهوتهم بعضهم لبعض فاعلين الفحشاء ذكوراً بذكور ، ونائلين فى أنفسهم جزاء ضلالهم المحقق » (١) .

٢ — ويقول بولس أيضاً فى رسالته إلى تيموثاوس :

« فيجب أن يكون الأسقف بلا لوم بعل امرأة واحدة » (٢) .

ويقول أيضاً بعد ذلك :

« ليكن الشمامسة كل بعل امرأة واحدة » (٣) .

ولقد كان لمخالفة هذه التعاليم أثر سيء ، فظهر الفجور والفسق بينهم

---

(١) رسالة بولس إلى أهل رومية — الإصحاح الأول عدد ٢٦ وما بعده .

(٢) رسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس — إصحاح ٣ عدد ٢ .

(٣) المرجع السابق — أصحاح ٣ عدد ١٢ .

مما طفحت به المؤلفات ، وقد ذكر مؤلف كتاب الفارياق بعضاً منها نكتفي هنا بالنزر اليسير طبقاً للآتي :

١ — استوزر البابا سرجيوس تاودورة أم ماروزيا التي تزوجت بمركيز طوسكاني فاتصل البابا بماروزيا فولدت ولدا رباه عنده داخل قصره بالفاتيكان .

٢ — كان البابا يوحنا الثاني عشر المسمى أكطافيانوس خليعا ماجنا ، فانعقد لمحاكمته مجمع حضره كثير من أمراء الألمان والإيطاليين ، وأربعون أسقفا وسبعة عشر كردينالا في كنيسة القديس بطرس ، واتهم بأنه فسق بعدة نساء ، ومنهن من تدعى إيتنت التي توفيت وهي نفساء ، كما نسب إليه أنه قلد مطرانية طودي لغلام كان سنه عشر سنين ، فقرر المجمع خلعه وتنصيب البابا ليو الثامن في مكانه ، وقد قتل البابا يوحنا الثاني عشر وهو معانق لامرأة ، وكان القاتل هو زوجها .

٣ — اختلف البابا غريقوريوس السابع مع إمبراطور النمسا إنري الرابع ، فقرر خلعه فذهب إمبراطور النمسا إلى هذا البابا المذكور في روما ، ولما دخل عليه وجده مختليا بالكونتيسة ماتيلده أف كانوزا .

٤ — لما عقد البابا إينوصنت الرابع المجمع ١٣ على الإمبراطور فردريك الثاني وحكم عليه بالكفر ، رد على البابا واتهمه بالزنى والرشوة غير مرة .

٥ — كان البابا كليمنضوس الخامس عشر يجول في فيني وليون لجمع المال ، ومعه عشيقته دون أي حياء .

٦ — حكى البابا يوحنا الثالث والعشرون بأنه قام بسم سلفه ، وباع الوظائف الكنسية ، وأنه كان كافرا ولوطيا معا .

٧ — اختصر مؤلف كتاب الفارياق إحدى الحكايات ، يعف اللسان

عن ذكرها لكنه سماها : قسيس ، وكيس ، وتحليس ، وتلميس • ونحن بدورنا نعف عن ذكرها .

٨ — ذكر الخورى جبرائيل قرقماز فى كتابه (القول الصحيح فى دين المسيح) شيئاً عن مساوىء كنيسته فيما مضى فى روسيا الآتى :

« فكم وكم من أديرة يأوبها الذكور والإناث ، وربك أخبر بما وراء ذلك ، فتولد منهم العلميون (أى أولاد الزنا) الذين كثر عديدهم واستفحل أمرهم أو كاد ، فانتشروا فى جميع الأنحاء عاملين على دك أركان الحكومة وملاشاة الدين وكل اعتقاد بالله » .

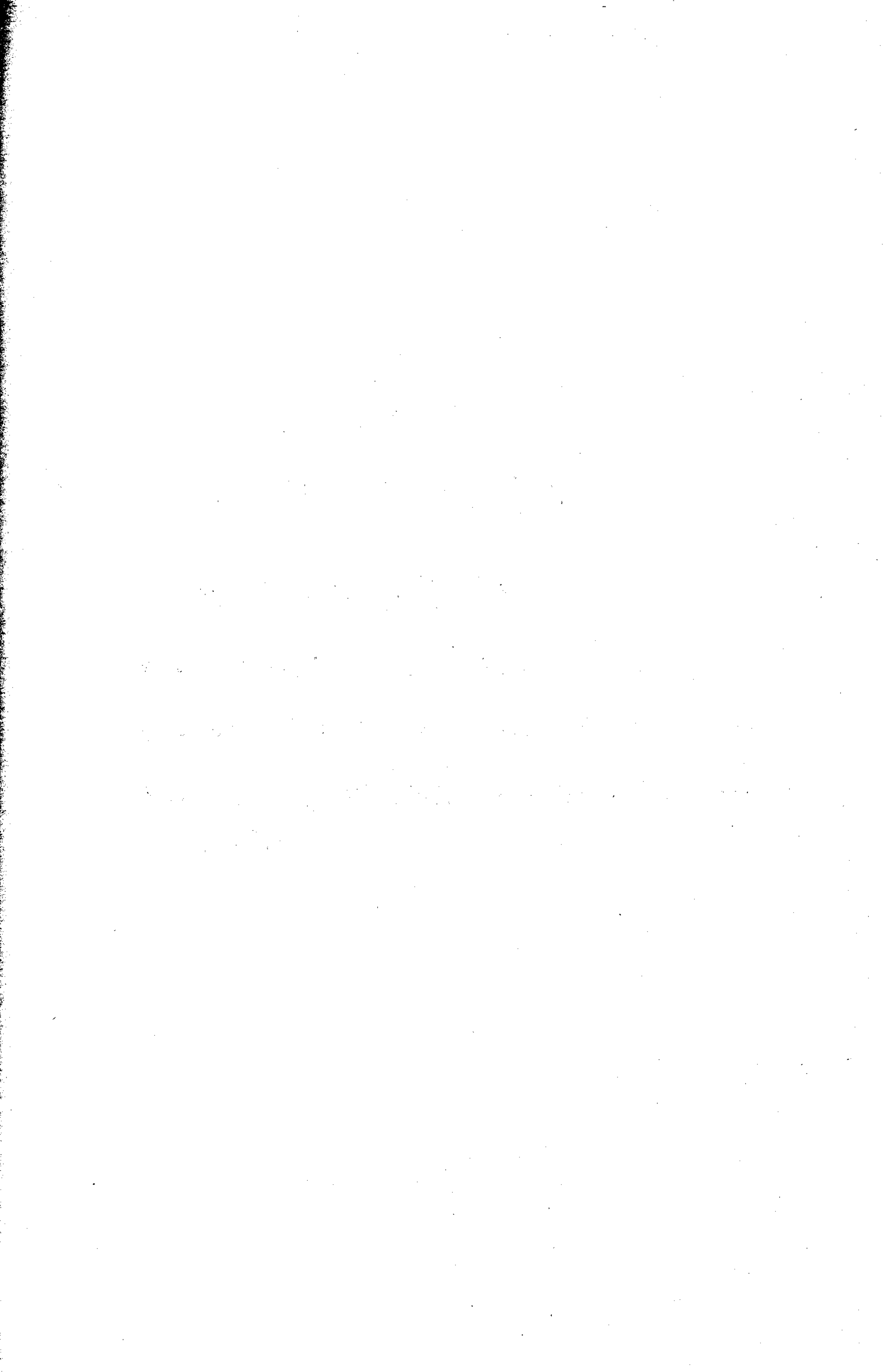
الباب الرابع

١ ــ عقيدة المسلمين فى المسيح والنصرانية .

٢ ــ عقيدة اليهود فى المسيح والنصرانية .

٣ ــ اختلاف الأناجيل فى نسب المسيح حتى إبراهيم عليه السلام .

٤ ــ هل ولد المسيح حقاً فى فصل الشتاء كما يقول النصارى الغربيون والشرقيون .



الفصل الأول

عقيدة المسلمين فى المسيح والنصرانية

أولا : عقيدة المسلمين فى المسيح والديانة التى دعا إليها :

١ — يعتقد المسلمون أن المسيح رسول شأنه شأن باقى الرسل السابقين ، بعثه الله إلى بنى إسرائيل مصدقا لما بين يديه من التوراة ، وجاءهم من الدين بما فيه هدى لهم ورشاد فى شئون معاشهم ومعادهم ، فديانته التى جاء بها هى التوحيد المطلق ، ولم يطالبهم بتعطيل قوة من قواهم التى منحهم الله تعالى إياها ، بل طالبهم بشكر الله تعالى عليها ، ولا يشكر الله تعالى حق الشكر إلا باستعمال تلك القوى جميعها فيما أعدها الله له .

والعقل من أجل القوى ، بل هو قوة القوى الإنسانية وعمادها ، والكون جميعه هو صحيفته التى ينظر فيها وكتابه الذى يتلوه ، وكل ما يقرأ فيه هو هداية إلى الله وسبيل للوصول إليه (١) .

٢ — يعتقد المسلمون أيضا فى خلق المسيح بدون أب وأن المسيح روح الله وكلمته ، وإضافة الروح إلى الله من إضافة المملوك لمالكه والمخلوق لخالقه ، أى روح صادرة عن الله صدور المخلوق عن الخالق ، وكل أرواح البشر صادرة عن الله تعالى ، واختص عيسى فى القرآن بهذه النسبة ، تشريفا له لصفاء روحه ، وأما إطلاق كلمة الله عليه ، فلأنه صادر عن الله بكلمة (كن) على غير سنن التوالد الناشىء عن لقاء الزوجين ، وليس خلقه بدون أب أعجب من خلق آدم الذى خلقه الله دون أب أو أم بكلمة (كن) وبلفظ كن خلق الله السموات والأرض فإنها من إرادة الله ، والله يقول

---

(١) الإسلام والنصرانية ، مع العلم والمدنية — للشيخ محمد عبده .

« إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون »(١)فليس عيسى هو المخلوق وحده بكلمة كن ، بل كل ما سواه خلقه الله كذلك ، وإنما خص عيسى بعبارة (كلمة الله) ليرد بها على اليهود الذين وصموا أمه بالسفاح ، فكأنه يقول لهم أنه خلق بكلمة منى فلم يحتج إلى والد ، كما لم يحتج خلقى للسموات والأرض إلى أصل تنشأ عنه ، فلا تعجبوا من خلقه بلا أب ، ولا تسبوا أمه من أجل ذلك ، فإن خلقه بلا أب يسير على ، فلا يحتاج إلا إلى مشيئتى وأمرى ، فيكفى فى خلقه كلمة منى .

بعد هذا الذى قررناه نقول الذين يؤلهون المسيح لولادته من غير أب :

ليس ميلاد المسيح من عذراء مبررا للقول بألوهيته ، وزعمكم أنه ما دام المسيح قد ولد دون أب فلا بد أن الله أبوه ، وأنه ليس من جنس الناس ، وتراهم يستندون فى ذلك إلى ما ورد بإنجيل لوقا على لسان الملاك جبريل عندما بشر السيدة مريم بولادته :

« الروح القدس يحل عليك ، وقوة العلى تظلك فلذلك أيضا القدوس المولود منك يدعى ابن الله »(٢) .

ولا شك أنهم مخطئون فيما زعموه ، فان خلقه بدون أب أمر هين بجانب قدرة الله سبحانه وتعالى ، ولا يرفع من قدر عيسى إلى مقام الألوهية ويسلخه من جنس الآدمية ، ذلك أن المتتبع لدورة الخلق يرى أن الله سبحانه وتعالى قادر على كل شىء .

١ — فآدم أبو البشر عليه السلام خلقه الله رجلا كاملا من تراب الأرض ، ولم يتوسط فى خلقه بشر ودون أن يمر بدور الطفولة .

ويقول سفر التكوين عن خلق آدم « وجبل الرب الإله آدم ترابا من الأرض ونفخ فى أنفه نسمة حياة فصار آدم نفسا حية »(٣) .

---

(١) القرآن الكريم سورة يس ٨٢ .

(٢) إنجيل لوقا — إصحاح ١ عدد ٣٥ .

(٣) سفر التكوين — إصحاح ٢ عدد ٧ .

كما قرر القرآن الكريم هذا المعنى فى قوله تعالى :

« أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا »(١) .

٢ — وكذلك حواء زوجة آدم أبى البشر خلقت من آدم وهو ذكر وذلك بلا أنثى تتوسط هذا الخلق، امرأة كاملة التكوين نامية الجسم والعقل دون أن تمر بدور الطفولة والمراهقة التى تمر بها سائر الفتيات .

٣ — أما المسيح عليه السلام فقد خلق طفلا رضيعا تربى فى حجر أمه ، حتى أصبح شابا ثم كهلا مع مر الأيام والشهور والسنين ، وقبل ذلك كان جنينا فى بطن أمه ٩ أشهر كاملة ، فإذا كان النصارى يزعمون أنه قد صار إلها لولادته من أم دون أب فآدم وجد دون أب ولا أم وكان خليقا طبقا لمنطق النصارى أن يكون أحرى بالألوهية من المسيح الذى خلق من أم فقط ، ولا أحد من الناس ادعى ألوهية آدم عليه السلام لهذا السبب ولا لغيره .

وإلى هذا يشير القرآن الكريم لافتا الأنظار إلى ذلك بقوله تعالى .

« إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون »(٢) فإذا كان الله سبحانه قادرا على خلق إنسان من غير أب ولا أم ، ومن مادة ليس من شأنها أن يتكون منها إنسان حى ، فأولى أن يكون قادرا على خلق إنسان من غير أب ومن أم هى إنسان يلد ويحيا ويموت ، وهى وعاء لحياة الإنسان وهو جنين .

٤ — ولقد عاش المسيح منذ ميلاده حتى وقت بعثته فى سن ٣٠ سنة ، إنسانا عاديا وخلا حادثة ميلاده الفريد ونطقه فى المهد لم يحدث له طوال تلك الفترة حادث يرفعه عن مرتبة الآدميين ، أو يشتم منه خروجه عن

---

(١) سورة مريم — ٦٧ .
(٢) سورة آل عمران — ٥٩ .

فطرة البشر العاديين ، أو حتى بلوغه مرتبة الأنبياء أو الأولياء ، ولو تصورت السيدة مريم أو زوجها يوسف النجار وأقاربها أن فى يسوع شيئاً ينأى به عن مرتبة البشر لما أعادت هى وزوجها الاتصال ببعضهما لإنجاب المزيد من الأبناء إخوة يسوع ، ولنفرت من زوجها يوسف ، ولترفعت عنه بوصفها أم إله وليست أم إنسان ، وأم الإله لا تلد الأناسى ولا تعاشر الرجال ولا تنجب الأطفال ، ولكن مريم الإنسانة أم يسوع الإنسان عاودت الحمل والولادة من زوجها ، وأنجبت له بنين وبنات كانوا قرة عين والديهم(١) .

وقد ذكر إنجيل مرقص بيانا عن إخوة المسيح من أمه « ولما كان السبت ابتدأ يعلم فى المجمع وكثيرون إذ سمعوا بهتوا قائلين من أين لهذا هذه ، وما هذه الحكمة التى أعطيت له حتى تجرى على يديه قوات مثل هذه ، أليس هذا هو النجار ابن مريم وأخوه يعقوب ، ويوسى ويهوذا وسمعان ، أو ليست أخواته ههنا عندنا فكانوا يعثرون به »(٢) .

٥ — ويقول الأستاذ عوض سمعان وهو من كتاب النصارى الحاليين : (٣)

« إن المتفحص لعلاقة الرسل والحواريين بالمسيح ، يجد أنهم لم ينظروا إليه إلا على أنه إنسان ، ولم يتصوروا على الإطلاق أنه إله ، ولكن لماذا ؟ لأنهم أى الرسل والحواريين كيهود كانوا يعلمون تمام العلم ، أن الاعتراف بأن إنسانا هو الله يعتبر تجديفا يستحق الرجم فى الحال ، ولأنهم كيهود أيضا كانوا يستبعدون أن يظهر الله فى هيئة إنسان ، نعم كانوا ينتظرون المسيا بالنسبة إلى أفكارهم التى توارثوها عن أجدادهم ، فلم يكن سوى رسول ممتاز يأتيهم من عند الله ، وليس هو ذات الله » .

ومن ذلك يتبين بصراحة هذا المسيحى ، والذى هو من نصارى هذه

---

(١) كتاب (المسيح إنسان أم إله) للأستاذ محمد مجدى مرجان .

(٢) إنجيل مرقص — إصحاح ٦ عدد ٢ ، عدد ٣ .

(٣) كتاب (الله . . طرق اعلانه عن ذاته) للأستاذ عوض سمعان .

الأيام القول الفصل فى أن الحواريين والتلاميذ لم يؤلهوا المسيح ، ولا اعتبروه فوق مرتبة البشر ، لذلك كان من التجوز نسبة أى كلام يتضمن القول بتأليه المسيح إلى أحد من تلاميذه ، أو إلى أحد حوارييه ، وأن مثل هذا الكلام وضع بعد انقراض جيل الحواريين وجيل هؤلاء التلاميذ .

٦ — أما عن الدين فإن دين الله واحد فى الأولين والآخرين لا تختلف إلا صوره ومظاهره ، وأما روحه وحقيقته فواحدة ، وهى التى نادى بها الأنبياء والمرسلون جميعا ولا تتغير ولا تتبدل ويمكن تلخيصها فى الآتى :

(أ) إيمان بالله وحده ، وإخلاص له فى العبادة .

(ب) تعاون الناس بعضهم لبعض فى الخير وكف أذاهم عن الشر ما قدروا .

وإن دين الإسلام بوصفه الدين الذى منحه الله للبشرية بعد وصولها إلى مرتبة الكمال الخلقى والعقلى جاء ليجمع البشر كلهم على اختلاف أجناسهم وتباين ألوانهم على هذه الأصول السابق الإشارة إليها .

لذلك قرر الإسلام أول ما قرر فى العقيدة وحدانية الإله المنزه عن الصاحبة والولد ، فالله وحده هو الحى الذى لا يدركه الفناء ، القيوم الذى له الهيمنة والتدبير والقيام على شئون الخلق بالإيجاد والتربية الجسمية والعقلية والإعزاز والإذلال ، مع العلم المحيط بكل شىء والقدرة النافذة القاهرة . وجميع الأنبياء والمرسلين يشهدون ويقرون بالوحدانية بما فيهم المسيح نفسه ، قال تعالى « وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ماليس لى بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم مافى نفسى ولا أعلم مافى نفسك إنك أنت علام الغيوب . ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله

ربى وربكم وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شىء شهيد . إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم . قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم . لله ملك السموات والأرض وما فيهن ، وهو على كل شىء قدير »(١) .

ولقد ورد فى إنجيل مرقص ما يؤيد دعوة المسيح إلى الوحدانية صراحة عندما جاءه أحد الكتبة « سأله أحد الكتبة : أية وصية هى أول الكل فأجاب عيسى : إن أول الوصايا هى : اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد ، وتحب الرب إلهك من كل قلبك ، ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك ، هذه هى الوصية الأولى ، وثانية مثلها هى أن تحب قريبك كنفسك ، فقال له الكاتب : جيدا يا معلم بالحق قلت ، لأن الله واحد وليس آخر سواه »(٢) .

وكان موقف الإسلام من عقائد أهل الكتاب السابقين موقف المصحح لهم فى عقيدتهم ، ولم يكن موقف الناقل المستعير ، لذلك كانت دعوته فى الألوهية دعوة إلى تنزيه الإله الواحد من لوثة الشرك . وأنه منزه عن جهالة العصبية وسلالة النسب . منزه عن التشبيه الذى تسرب من الوثنية إلى الأديان الكتابية ، وبصفة عامة كان الإله الذى يؤمن به المسلمون ، هو إله واحد أحد ، منزه عن كل نقص ، متصف بكل صفات العزة والكمال ، أما عن المسيح فهو بشر رسول ، أرسله الله مثل باقى الأنبياء السابقين عليه .

---

(١) سورة المائدة — ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ .

(٢) إنجيل مرقص — إصحاح ١٢ عدد ٢٨ وما بعده .

قال تعالى :

« وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما فى السموات والأرض كل له قانتون »(١)

« إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون . الحق من ربك فلا تكن من الممترين »(٢) .

فشأن عيسى عند الله حيث خلقه من غير أب كشأن آدم حيث خلقه من غير أبوين ، وكما قدمنا آنفا كان شأن آدم أعجب ، حيث خلقه من تراب يابس ، فمن آمن بقدرته تعالى فى خلقه آدم من تراب كيف لا يؤمن بقدرته تعالى فى خلقه عيسى من غير أب؟ ثم انظر إلى قوله تعالى بعد ذلك فى نفس السورة :

« ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادالى من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تُعَلِّمُون الكتاب وبما كنتم تدرسون . ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون »(٣) .

ثم قال بعد ذلك :

« أفغير دين الله يبغون وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون . قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون . ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين »(٤) .

وفى هذه الآيات الأخيرة يبرز سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز وحدة

---

(١) سورة البقرة — ١١٦ .
(٢) سورة آل عمران ٥٩—٦٠ .
(٣) سورة آل عمران ٧٩—٨٠ .
(٤) سورة آل عمران ٨٣—٨٥ .

الدين عند الله وعلى لسان رسله جميعا ، وأن الإسلام هو الدين عند الله وأن من يبتغى غيره دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين .

وتأيد ذلك بقوله تعالى فى سورة أخرى .

« وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون . وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون . لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون • يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون • ومن يقل منهم إنى إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين »(١) .

وقد أسرف المسيحيون فى شأن المسيح زاعمين أنه أحد الأقانيم من الثالوث المقدس : الأب والابن والروح القدس .

فجاء القرآن مصححا هذا الخطأ مبينا أن عيسى لم يكن إلا من آل عمران الذين اصطفاهم الله من بين من اصطفى ، وأن ولادته لم تكن إلا تنفيذا لإرادة الله الذى يصور الناس فى الأرحام كيف يشاء ، الذى له سنن عرف منها ما عرف وجهل منها ما جهل، والذى إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون . وهذا شأنه فى خلق السموات والأرض عامة ، وفى خلق آدم ، وفى خلق يحيى بن زكريا والمسيح بن مريم خاصة .

قال تعالى :

« وهو الذى خلق السموات والأرض بالحق ويوم يقول كن فيكون ، قوله الحق »(٢) .

وقال تعالى :

« إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين »(٣)

---

(١) سورة الأنبياء ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ .
(٢) سورة الأنعام ٧٣ .
(٣) سورة آل عمران ٣٣ .

وقال تعالى :

« يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق ، إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، فآمنوا بالله ورسله ، ولا تقولوا ثلاثة ، انتهوا خيرا لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد ، له مافى السموات وما فى الأرض وكفى بالله وكيلا . لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ، ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا . فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله ، وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا أليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا »(١) .

وما ذكره الله فى شأن خلق السموات والأرض وخلق آدم ويحي ابن زكريا ، هو عين ما ذكره فى شأن خلق عيسى – وجدت السموات والأرض إنشاء وإبداعا ، ووجد يحي بن زكريا على كبر من أبيه ويأس من أمه ، وبشرت الملائكة زكريا بيحي عليهما السلام وتعجب زكريا من هذه البشارة مع حالته الضاربة فى الشيخوخة ، فرده الله إلى مشيئته سبحانه وتعالى .

قال تعالى :

« قال كذلك الله يفعل ما يشاء » (٢)

وهكذا كان شأن عيسى ، وجد من غير أب بمشيئة الله وبشرت الملائكة به أمه بأمر الله ، وعجبت مريم لهذه البشارة .

قال تعالى فيما قصه عنها :

« قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر »(٣) .

---

(١) سورة النساء ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ .

(٣) سورة آل عمران ٤٠ .

(٣) سورة آل عمران ٤٧ .

فردها سبحانه وتعالى إلى مشيئته بقوله :

« قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون »(١)

أما الخوارق التي ظهرت على يد عيسى فلم تكن إلا من الله ، فهى من سنته فى تأييد رسله بالمعجزات الدالة على أنهم عباد علمهم الكتاب والحكمة ؛ وأن الله أرسله إلى بنى إسرائيل بآيات من ربه .

قال تعالى :

« إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين . ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين . قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون . ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ، ورسولا إلى بنى إسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم ، أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وأبرىء الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله ، وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم إن فى ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين . ومصدقا لما بين يدى من التوراة ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون . إن الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم . فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصارى إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله وأشهد بأنا مسلمون . ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين . ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين »(٢) .

ومما تقدم يتضح أن المسلمين يعتقدون أن المسيح رسول من الله أرسل إلى بنى إسرائيل خاصة فقط ، وبعد أن كشف القرآن للذين أسرفوا فى شأن

---

(١) سورة آل عمران ٤٧ .
(٢) سورة آل عمران ٤٥–٥٤ .

المسيح شبهتهم التى ضلوا بها عن حقيقة التوحيد وعن حقيقة الدين عند الله ، يسلك معهم سبيلا آخر فيأمر الرسول محمدا صلى الله عليه وسلم بأن يتقدم إليهم فى ثقة بنفسه واطمئنان إلى دعوته ، فيدعوهم إلى المباهلة ، وهى أن يجتمعوا جميعاً مع محمد صلوات الله وسلامه عليه وجماعته فى صعيد واحد ويستمطر الكل لعنة الله على الكاذب من الفريقين .

قال تعالى :

« إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون . الحق من ربك فلا تكن من الممترين .. فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين »(١) .

وروى أن سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم لما أورد الدلائل على نصارى نجران على عبودية عيسى لله وأنه لا يخرج عن كونه من البشر أصروا على جهلهم ، فقال عليه الصلاة والسلام : إن الله أمرنى إن لم تقبلوا الحجة أن أباهلكم فقالوا : يا أبا القاسم بل نرجع فننظر فى أمرنا ثم نأتيك . فلما رجعوا قالوا للعاقب — وكان ذا رأيهم : ما ترى ؟ فقال : والله لقد عرفتم نبوته وقد جاءكم بالفصل فى أمر صاحبكم ، والله ما باهل قوم نبياً إلا هلكوا ، وإن أبيتم إلا إلف دينكم فوادعوا الرجل وانصرفوا . فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد غدا محتضناً الحسين وآخذاً بيد الحسن وفاطمة تمشى خلفه وعلى رضى الله عنه خلفهما وهو — أى النبى عليه الصلاة والسلام — يقول « إذا أنا دعوت فأمنوا » .

فقال أسقفهم : يا معشر النصارى إنى لأرى وجوهاً لو سألوا الله أن يزيل جبلا من مكانه لأزاله فلا تباهلوا فتهلكوا ، فأذعنوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبذلوا له الجزية ألفى حلة حمراء وثلاثين درعا من حديد .

---

(١) سورة آل عمران ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١

فقال عليه الصلاة والسلام « لو باهلوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادى ناراً ولاستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على الشجر » .

ويقول الإمام رحمة الله بن خليل الرحمن الهندى عن هذه الواقعة أنها دلت على وجهين(١) :

الأول : أنه صلى الله عليه وسلم خوف نصارى نجران بنزول العذاب عليهم ولو لم يكن واثقاً بذلك لكان ذلك منه سعياً فى إظهار كذب نفسه ، لأنه لو باهل ولم ينزل العذاب ظهر كذبه ، ومعلوم بأنه كان أعقل الناس فمن غير المعقول ولا يليق به أن يعمل عملا يفضى إلى ظهور كذبه ، فلما أصر على ذلك علمنا أنه إنما أصر عليه لكونه واثقاً بوعد الله ، لأنه صادق فى دعوته .

ثانياً : أن طائفة النصارى المشار إليها كانت تبذل النفوس والأموال فى المنازعة مع الرسول صلى الله عليه وسلم ، فلو لم يعرفوا أنه نبى لما تركوا مباهلته . اهـ.

١ — وهكذا كما تحدى القرآن المشركين أن يأتوا بمثله وهم أرباب اللسان والبيان .

٢ — تحدى المسرفين فى شأن المسيح بهذه المباهلة السهلة الهينة لو كانوا صادقين فلم يقدروا عليها .

٣ — ثم تحدى التاريخ فى كل ما قصه فى شأن عيسى بقوله فى نفس سورة آل عمران « إن هذا لهو القصص الحق وما من إله إلا الله وإن الله لهو العزيز الحكيم . . فإن تولوا فإن الله عليم بالمفسدين »(٢) .

وبعد هذا يتجه القرآن إلى النبى صلى الله عليه وسلم فيأمره فى السورة المشار إليها بأن يوجه إليهم جميعاً دعوة المنتصر فى حقه القوى فى برهانه

---

(١) كتاب إظهار الحق تأليف الإمام رحمة الله بن خليل الرحمى الهندى .
(٢) سورة آل عمران ٦٢، ٦٣ .

الحريص على خير المخالف له وسعادته مناشداً إياهم أن يفعلوا ما يقربهم إلى الله تعالى ويخفف من غطرستهم وغلوائهم قال تعالى : « قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون »(١) .

ثم حسم الموقف بالنسبة لخلطهم ودعواهم الألوهية للمسيح ، فحكم فى سورة المائدة بكفر من يقول إن الله هو المسيح ، أو من يقول إن الله ثالث ثلاثة . ثم قرر أن المسيح ماهو إلا رسول شأنه شأن الرسل الذين سبقوه يخضع لله بصفة العبودية ، وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام ، أى كانا محتاجين إلى القوت وإلى القوى التى لابد منها فى هضمه ، وإحالته إلى ما به قوام الجسم والحياة ، وإلى التخلص من فضلاته لأن من أكل الطعام احتاج إلى إخراج رواسبه ، ومع هذا النقص هل يعقل الاعتقاد بأنه إله أو أنه هو وأمه إلهان .

قال تعالى فى سورة المائدة :

« لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن فى الأرض جميعاً ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شىء قدير . وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السموات والأرض وما بينهما وإليه المصير . . يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شىء قدير »(٢) .

وقال تعالى بعد ذلك فى نفس السورة :

« لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم وقال المسيح يابنى

---

(١) سورة آل عمران ٦٤ .

(٢) المائده ١٧-١٩ .

إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار »(١) .

ثم قال تعالى بعد ذلك فى السورة السابقة :

« لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم . . أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم . . ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون . . قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضراً ولا نفعاً والله هو السميع العليم . قل يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل»(٢) ثم ناقش القضية عقلياً فقال تعالى فى سورة (المؤمنون) « ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله ، إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون . عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون)(٣) .

وقال تعالى حاكياً عن المسيح عندما تكلم فى المهد مقرراً أنه عبد الله ونبيه . « قال إنى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبياً » (٤) .

ولقد توعد سبحانه الكافرين من أهل الكتاب والمشركين بنار جهنم يدخلونها خالدين فيها بعد أن غيروا وبدلوا فى عيسى حتى جعلوه إلهاً أو جزء إله أى أقنوماً من ثلاثة أقانيم فهم والمشركون سواء فى نار جهنم ، والحال كذلك بالنسبة لليهود الذين زعموا أن عزيراً ابن الله ، فهم والنصارى والمشركون سواء .

---

(١) سورة المائدة ٧٢ .

(٢) سورة المائدة ٧٣-٧٧ .

(٣) سورة المؤمنون ٩١ - ٩٢ .

(٤) سورة مريم ٣٠ .

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله أنهم يجعلون له ولداً وهو يرزقهم ويكافئهم .

وقد حكى القرآن عن المسيح أنه بشر بنى إسرائيل بنبى الإسلام (١)

« وإذ قال عيسى ابن مريم يابنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدى من التوراة ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين » (٢) .

لذلك يعتقد المسلمون أن اختفاء إنجيل عيسى كان عملا مقصوداً ، لأن إنجيل عيسى قريب الصلة بالقرآن ، كما يعتقدون أن اختفاء هذا الإنجيل مهد للتزيد والحذف والتحريف فى تعاليم الديانة المسيحية ، فانهارت أسسها وضاعت معالمها كديانة سماوية .

ويعتقد المسلمون أن اليهود أرادوا قتل المسيح ، ولكن الله نجاه من القتل والصلب . قال تعالى حاكياً عن اليهود :

« وقولهم إن قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وماقتلوه وماصلبوه ولكن شبه لهم » (٣) .

ولكن الخلاف بين المسلمين هو : ماذا كانت نهاية عيسى بعد النجاة من الصلب والقتل؟ هل رفع إلى السماء حياً بجسمه وروحه ، أم أنه استوفى أجله على الأرض وهو مختف ثم مات حيث شاء الله .

---

(١) كتاب محمد نبى الاسلام فى التوراة والإنجيل والقرآن — للمؤلف .

(٢) سورة الصف ٦ .

(٣) سورة النساء ١٥٧ .

١ — هناك رأى لبعض العلماء الإسلاميين يقول إن عيسى استوفى أجله على الأرض وهو مختف ثم مات حيث شاء الله ورفعت روحه إلى بارئها .

٢ — وهناك رأى آخر لبعض العلماء المسلمين يرى أن عيسى رفع إلى السماء بجسمه وروحه .

ويدلل أصحاب الرأى الأول بقوله تعالى :

« إذ قال الله ياعيسى إنى متوفيك ورافعك إلى » (١) فالتوفى هنا الإماتة العادية طبقاً لظاهر الآية ، وأما قوله رافعك إلى فهو رفع الروح ، لأنه يكون بعد الموت .

١ — وقد ذكر ذلك الأستاذ الإمام محمد عبده ، وقد أضاف السيد محمد رشيد رضا دراسة جديدة ، هى أن مسألة الرفع بالجسم والروح هى فى الحقيقة عقيدة النصارى ، وقد استطاعوا بحيلة أو بأخرى دفعها تجاه الفكر الإسلامى ، كما استطاعوا إدخال كثير من الإسرائيليات والخرافات ، فليس فى القرآن نص صريح على أن عيسى رفع بروحه وجسده إلى السماء ، وليس فيه نص صريح بأنه ينزل من السماء ويحكم فى الأرض ، وإذا أراد الله سبحانه وتعالى أن يصلح العالم فمن السهل أن يصلحه على يد أى مصلح وفق القرآن الكريم ، ولا ضرورة إطلاقاً لنزول عيسى أو أى أحد من الأنبياء السابقين .

٢ — كما يقرر فضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة أن الأحاديث النبوية المتعلقة بنزول عيسى هى أحاديث آحاد وليست متواترة ، ولم تشتهر قط إلا بعد القرون الثلاثة الأولى للهجرة .

كما يقرر بأن أحاديث نزول المسيح إلى الأرض يخشى أن تكون من دس النصارى وكم دسوا فى الإسلام حيث كان يوحنا الدمشقى فى بلاط

---

(١) سورة آل عمران ٥٥ .

بنى أمية فى عصر التابعين يؤلف الجماعات السرية التى تدس الآراء والأفكار التى من شأنها أن تفسد عقائد المسلمين .

وأن نص الآية الكريمة « فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم » صريح فى أنه توفى ، وواضح من قوله تعالى أنه غاب عنهم وأن ذلك الغياب كان بالوفاة ، كما أن قوله تعالى « إنى متوفيك ورافعك إلى ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة » فسرها الفخر الرازى بقوله : إنى متوفيك أى منهى أجلك ورافعك أى رافع مرتبتك ورافع روحك إلى .

كما أن الألوسى فى كتابه روح المعانى يذكر أن (إنى متوفيك) معناها قابض روحك حتف أنفك ، وأن الرفع فى رافعك هو رفع معنوى ، لذلك فإنه يقول إن نصوص القرآن لا تلزم المسلمين بالاعتقاد بأن المسيح رفع إلى السماء بجسده ، وأما أخبار عودة المسيح إلى الأرض فما ورد عنها كان أحاديث آحاد ، يريد أن العقائد لا تثبت إلا بالمتواتر وهذه من العقائد فلهذا لابد من النص القرآنى الذى لا يحتمل التأويل أو الحديث المتواتر الذى لا يحتمل التأويل . وأما واقعتا القتل والصلب فإن القرآن نفاهما عن المسيح (١) فى قوله تعالى فى سورة النساء « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم » وفى قوله تعالى « وما قتلوه يقيناً . بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً » (٢) .

٣ — كما قرر الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الأزهر السابق أنه ليس فى القرآن نص صريح قاطع على أن عيسى عليه السلام رفع بجسمه وروحه ، وعلى أنه حى الآن بجسمه وروحه ، والظاهر من الرفع أنه رفع درجات عند الله ، كما قال تعالى فى إدريس عليه السلام « واذكر

---

(١) ندوة لواء الإسلام فى بحث (هل رفع المسيح حيا إلى السماء) العدد الرابع السنة ١٧ ذو الحجة سنة ١٣٨٢ — ٢٥ إبريل سنة ١٩٦٣ .

(٢) سورة النساء ١٥٧–١٥٨ .

فى الكتاب إدريس إنه كان صديقاً نبياً ، ورفعناه مكاناً علياً » (١) فحياة عيسى حياة روحية كحياة الشهداء وحياة غيره من الأنبياء .

وقد ذكر صاحب كتاب (فى ظلال القرآن) عند تفسير الآية المشار إليها. (لقد أرادوا قتل عيسى وصلبه ، وأراد الله أن يتوفاه وفاة عادية ففعل ، ورفع روحه كما رفع أرواح الصالحين من عباده ، وطهره من مخالطة الذين كفروا ، ومن البقاء بينهم وهم رجس ودنس) .

٤ — ويقول الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر السابق :

إن كلمة (توفى) وردت فى القرآن الكريم كثيراً بمعنى الموت حتى صار هذا المعنى هو الغالب عليها المتبادر منها .

قال تعالى :

« إذ قال الله يا عيسى إنى متوفيك » (٢) .

وقال تعالى :

« قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم » (٣) .

وقال تعالى :

« إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم » (٤) .

« ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة » (٥) .

---

(١) سورة مريم ٥٦ ، ٥٧ .
(٢) سورة آل عمران ٥٥ .
(٣) سورة السجدة ١١ .
(٤) سورة النساء ٩٧ .
(٥) سورة الأنفال ٥٠ .

ولا سبيل إلى القول بأن الوفاة هنا مراد بها وفاة عيسى بعد نزوله من السماء كما يقول البعض ، إن الآية ظاهرة فى تحديد علاقته بقومه هو لا بالقوم الذين يكونون آخر الزمان، وهم قوم محمد باتفاق(١) . ولم تستعمل كلمة توفى فى غير معنى الموت إلا وبجانبها ما يصرفها عن هذا المعنى المتبادر ، مثال ذلك .

قوله تعالى :

« الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها » (٢) .

أما آية سورة النساء فى قوله تعالى « بل رفعه الله إليه » فإنها رفع المكانة لا رفع الجسد ، وخصوصاً أنه قد جاء بجانب الرفع قوله « ومطهرك من الذين كفروا » مما يدل على أن الأمر أمر تشريف وتكريم ، وقد جاء الرفع فى القرآن الكريم كثيراً بهذا المعنى مثل قوله تعالى « فى بيوت أذن الله أن ترفع » ومثل قوله « ورفعنا لك ذكرك » ومثل قوله « ورفعناه مكانا علياً » .

وخلاصة القول :

أنه ليس فى القرآن الكريم ولا فى السنة المطهرة مستند يصلح لتكوين عقيدة يطمئن إليها القلب بأن عيسى رفع بجسمه إلى السماء ، وأنه حى إلى الآن فيها وأنه سينزل منها آخر الزمان إلى الأرض ، وأن كل ما تفيده الآيات الواردة فى هذا الشأن هو وعد الله عيسى بأنه سيوفيه أجله ويرفعه إليه ويعصمه من الذين كفروا ، وأن هذا الوعد قد تحقق ، فلم يقتله أعداؤه ولم يصلبوه ، ولكن وفاه الله أجله ، ورفعه إليه (أى رفع روحه إليه) .

٥ — ويقول الأستاذ محمد الغزالى : إنه خير لنا أن نرى الرأى الذى يقول إن المسيح عيسى ابن مريم مات وأنه انتهى ، وأنه كغيره من الأنبياء لا يحيا إلا بروحه فقط ، حياة الكرامة وحياة رفعة الدرجة . وكما يقول

---

(١) الفتاوى لفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر السابق رحمه الله .

(٢) سورة الزمر ٤٢ .

الإمام ابن حزم الأندلسى وهو من فقهاء الظاهر : إن صرف الظاهر عن حقيقته لا معنى له ، فعبارة الوفاة فى الآيات الخاصة بالمسيح بالنسبة إليه وإلى والدته لا تفيد إلا الوفاة وهى الموت ، لأنهما بشر ينطبق عليهما ما ينطبق على سائر البشر ، طبقاً لما حكاه الله عنه وعن والدته فى سورة المائدة « ما المسيح بن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام » . فهو كسائر الأنبياء مات ورفع بروحه فقط ،وإن جسمه فى مصيره كأجساد الرسل والأنبياء كلها ، تنطبق عليه الآيات الكريمة « إنك ميت وإنهم ميتون » .

وأما عودة المسيح فكما يقول ابن حزم أيضاً ،أنه سيعود . وإن هذه العودة إلى الأرض هى خلق جديد ، وعلة عودته أنه يكذب بنفسه الشائعات التى دارت حول مقتله وحول أنه كفارة للخطايا التى يقترفها الخلق .

٦ — ويقول الأستاذ عبد الرحيم فودة إن مسألة الرفع لا ثمرة من النقاش والجدل فيها ، لأن المسيح إن كان قد مات أو أنه سيموت فلا دخل لشىء من هذا فى عقيدة المسلم ، وعيسى أولا وأخيراً لم يكن إلا عبداً لله « ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لى من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون »

٧ — ويقول الأستاذ حسنى الزمزمى : إنه يميل إلى القول بأنه ليس فى القرآن نص يثبت أن عيسى ينزل من السماء ويحكم فى الأرض ، لأن عيسى إذا نزل من السماء ليحكم على شريعة محمد فهل معنى ذلك أنه نسخ كرسول وألغيت رسالته ؟ وإذا نزل بشريعته هو فهل يمكن أن يعقل هذا بعد شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ، إذ لا شريعة بعدها . وما ورد فى الرفع إنما هو أحاديث آحاد ، وهى لا تفيد العقيدة ، ومسألة صلاح العالم إذا أراد الله سبحانه وتعالى أن يصلحه فمن السهل أن يصلحه على يد أى مصلح ولا ضرورة إطلاقاً لنزول عيسى أو أحد من الأنبياء .

٨ — ويقول الأستاذ أمين عز العرب أنه لا يستطيع أن يفهم الحكمة فى نزول عيسى مرة أخرى ، وإن أحاديث النزول أحاديث آحاد لأنه ليس ثمة نص صريح وجازم فى ذلك (١) .

أما أصحاب الرأى الثانى : فهم يرون أن عيسى رفع إلى السماء بجسمه وروحه وأنه ينزل آخر الزمان قبل فناء العالم ، حاكما بالشريعة الإسلامية ، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ، ويقتل الدجال ، ولا يقبل من أحد ديناً سوى دين الإسلام ، ويمكث فى الأرض ما شاء الله أن يمكث ، ثم يموت فيصلى عليه المسلمون ويدفنونه ، ويستدلون على ذلك بالأحاديث الآتيـــة :

١ — قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه عنه أبو هريرة رضى الله عنه :

(والذى نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد ، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها) ثم يقول أبو هريرة : (واقرأوا إن شئتم : وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً)(٢) .

٢ — روى أبو هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم) .

٣ — روى أبو هريرة رضى الله عنه حديثاً ثالثاً عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(لينزلن ابن مريم حكما عادلا فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير

---

(١) ندوة لواء الإسلام فى بحث هل رفع المسيح حيا إلى السماء — العدد الرابع السنة السابعة عشرة ذو الحجة سنة ١٣٨٢ ، ٢٥ أبريل سنة ١٩٦٣ .

(٢) سورة النساء ١٥٩ .

وليضعن الجزية ولتتركن القلاص فلا يسعى عليها ، ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد ، وليدعون إلى المال فلا يقبله أحد) .

٤ — قال أبو هريرة رضى الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليهلن عيسى بن مريم بفج الروحاء بالحج أو العمرة أو ليثنيهما جميعا » .

٥ — عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

«الأنبياء إخوة لعلات ، أمهاتهم شتى ودينهم واحد ،وإنى أولى الناس بعيسى بن مريم لأنه لم يكن بينى وبينه نبى ، وإنه نازل فاذا رأيتموه فاعرفوه ، رجل مربوع إلى الحمرة والبياض، عليه ثوبان ممصران ، كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل ، فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ، ويدعو الناس إلى الإسلام ، ويهلك الله فى زمانه الملل كلها إلا الإسلام ، ويهلك فى زمانه المسيح الدجال ثم تقع الأمنة على الأرض ، حتى ترتع الأسود مع الإبل والنمور مع البقر ، والذئاب مع الغنم ، ويلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم ، فيمكث أربعين سنة ثم يتوفى ، ويصلى عليه المسلمون ويدفنونه» (١).

٦ — عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

«لاينزل الدجال المدينة ولكنه بين الخندق : وعلى كل نقب منها ملائكة يحرسونها ، فأول من يتبعه النساء فيؤذينه فيرجع غضبان حتى ينزل الخندق ، فعند ذلك ينزل عيسى بن مريم »(٢) .

٧ — عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

(١) رواه أحمد وابن حبان وقال عنه الحافظ ابن حجر فى فتح البارى إسناده صحيح .
(٢) أخرجه الطبرانى فى الأوسط .

« ليهبطن ابن مريم حكماً عادلا وإماماً مقسطاً ، وليسلكن فجاً حاجاً أو معتمراً ، وليأتين قبرى حتى يسلم على ولأردن عليه » يقول أبو هريرة : (أى بنى أخى إن رأيتموه فقولوا أبو هريرة يقرئك السلام) (١) .

٨ — ويروى أبو هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إنى لأرجو إن طال بى عمر أن ألقى عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم فإن عجل بى موت فمن لقيه منكم فليقرئه السلام منى » (٢) .

٩ — عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ألا إن عيسى ابن مريم ليس بينى وبينه نبى ولا رسول ، إلا أنه خليفتى فى أمتى من بعدى ، ألا إنه يقتل الدجال ويكسر الصليب ، ويضع الجزية وتضع الحرب أوزارها ، ألا من أدركه منكم فليقرأ عليه السلام»(٣) .

١٠ — وعن أبى هريرة رضى الله عنه أيضاً قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ينزل ابن مريم إماماً عادلا أو حكماً مقسطاً فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ويرجع السلم ويتخذ السيوف مناجل ، وتذهب حمة كل ذى حمة ، وتنزل السماء رزقها ، وتخرج الأرض بركاتها ، حتى يلعب الصبى بالثعبان ولا يضره ، ويراعى الغنم الذئب ولا يضرها ، ويراعى الأسد البقر ولا يضرها » (٤) .

١١ — وعن أبى هريرة رضى الله عنه أيضاً قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

(١) أخرجه الحاكم وصححه .
(٢) أخرجه الإمام أحمد .
(٣) أخرجه الطبرانى فى الأوسط والصغير .
(٤) أخرجه أحمـــد .

« لاتقوم الساعة حتى تنزل الروم بالأعماق أو بدابق فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ فإذا تصافوا قالت الروم : خلوا بيننا وبين الذين ضبوا منا نقاتلهم . فيقول المسلمون : لا والله لا نخلى بينكم وبين إخواننا . فيقاتلونهم فيهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبداً ويقتل ثلث هم أفضل الشهداء عند الله ويفتتح الثلث لا يفتنون أبداً ، فيفتحون قسطنطينية فبينما هم يقسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون إذ صاح فيهم الشيطان أن المسيح قد خلفكم فى أهليكم فيخرجون وذلك باطل فإذا جاءوا الشام خرج فبينما هم يعدون للقتال يسوون الصفوف إذ أقيمت الصلاة فينزل عيسى بن مريم فيؤمهم فإذ عدو الله ذاب كما يذوب الملح فلو تركه لذاب حتى يهلك ولكن يقتله الله بيده فيريهم دمه فى حربته » (١) .

وأصحاب الرأى الثانى فى التوفى لا يكتفون بالاستشهاد بالسنة وإيراد الأحاديث التى تؤيد وجهة نظرهم بل إنهم يعززون رأيهم بالتفسير لبعض الآيات الواردة فى القرآن الكريم طبقاً للآتى :

١ — قوله سبحانه وتعالى فى البشارة بعيسى :

« ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين » (٢) .

(أ) قال ابن جرير فى تفسيره عن يونس عن ابن وهب وعن زيد يقول فى هذه الآية قد كلمهم عيسى فى المهد ، وسيكلمهم إذا قتل الدجال وهو يومئذ كهل ، فلقد رفعه الله إليه قبل أن يكون كهلا ، قال : وينزل كهلا .

(ب) ويقول الحسين بن الفضل البجلى إن المراد بقوله وكهلا أن يكون كهلا بعد أن ينزل من السماء فى آخر الزمان ويكلم الناس ويقتل الدجال .

---

(١) رواه الإمام مسلم فى صحيحه .
(٢) سورة آل عمران ٤٦ .

(ج) وقال العلامة الألوسى فى الكلام عن هذه الآية :

إن المراد أنه يكلمهم حال كونه طفلا وكهلا ، والمقصود التسوية بين الكلام فى حال الطفولية وحال الكهولة ، وكان كلامه فى المهد ساعة واحدة بما قص الله تعالى لنا ثم لم يتكلم حتى بلغ أوان الكلام .

ويقول الجبائى إن الكهولة هى ما بين الأربعين إلى الستين وتأتى بعد مرحلة الشباب التى بين الثلاثين والأربعين .

والكهولة مأخوذة من قولهم اكتهل النبت إذا تم طوله وظهر نوره ، كما يقول الأعشى :

يضاحك الشمس منها كوكب شرق مؤزر بعميم النبت مكتهل

أى متناه فى الحسن والتمام ، ولا شك أن سن الأربعين هو نهاية أشد الإنسان ، ووقت استواء قوته وكمال عقله طبقاً لما ذكره سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم :

« حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحاً ترضاه وأصلح لى فى ذريتى إنى تبت إليك وإنى من المسلمين » (١) .

١ — وقال تعالى :

« إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس فى المهد وكهلا » (٢) .

ويقول الحافظ السيوطى فى تكملة تفسير الجلال المحلى عقب قوله وكهلا : إن ذلك يفيد نزوله قبل الساعة لأنه رفع قبل الكهولة . ا هـ .

وهذه الآية تتضمن الإخبار بأن عيسى عليه السلام يكلم الناس كهلا ،

---

(١) سورة الأحقاف ١٥ .

(٢) سورة المائدة ١١٠ .

ويأتى ذلك على خلاف المعتاد المعهود ، فإن الناس يتكلمون كهولا وشبانا وليس فى ذلك ما يدعو إلى العجب ، ولكن فى شأن عيسى عليه السلام أنه يرفع شابا ويغيب مئات السنين فى عالم لا تجرى عليه الأغيار الجسمانية ثم ينزل ويكلم الناس بعد ذلك كهلا مما يعد أمراً غريباً استحق لغرابته أن يشار إليه فى محكم التنزيل تارة بطريق البشارة ، وتارة بطريق الامتنان ، ولذا قوبل فى كلتا الآيتين بأمر لا يقل عنه غرابة وهو كلامه فى المهد فاشتملتا بذلك على معجزتين عظيمتين . وإلى هذا أشار أحمد بن يحيي فى قوله : ذكر الله لعيسى آيتين تكلم الناس فى المهد فهذه معجزة ، والأخرى نزوله إلى الأرض عند اقتراب الساعة كهلا يكلم أمة محمد صلى الله عليه وسلم فهذه آية ثانية .

ثم إن التعبير حيث قال تعالى (ويكلم الناس) ولم يقل ويكلم بنى إسرائيل أو قومه كما هو المعهود فى كل رسول أنه يكلم قومه الذين أرسل إليهم خاصة ، للإشارة إلى أن الذين يكلمهم عيسى ليسوا قومه فحسب ، بل هم وغيرهم ممن ينزل عليهم آخر الزمان ، فانظر إلى قوله تعالى فى سورة آل عمران فى شأن البشارة بعيسى « ورسولا إلى بنى إسرائيل » وانظر كيف خص رسالته بقومه فقط لأنه لم يكن مرسلا إلى غيرهم ، ثم قابله بقوله تعالى « ويكلم الناس فى المهد وكهلا » تجد بينهما تخالفاً فى الخصوص والعموم مع أنهما فى سياق البشارة والتنويه بعيسى عليه السلام ، فما هذا التخالف إلا للإشارة إلى أن كلامه فى حالتى طفولته وكهولته ليس بوصفه كونه رسولا (١) .

٢ — وقال تعالى :

« وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً » (٢) ويفسر هذه الآية أبو هريرة وابن عباس وقتادة وابن زيد وابن

---

(١) إقامة البرهان على نزول عيسى فى آخر الزمان للمحدث عبد الله بن محمد بن الصديق الغمارى الحسنى الإدريسى خريج جامعة القرويين بفاس .

(٢) سورة النساء ١٥٩ .

مالك والحسن رضوان الله عليهم أن ما من أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى عليه السلام وذلك عند نزوله آخر الزمان حاكما بهذه الشريعة المحمدية داعياً إليها فلا يبقى يهودى ولا نصرانى إذ ذاك إلا آمن به أنه عبدالله ورسوله، وتصير الملل كلها واحدة هى ملة الإسلام، ويوم القيامة يكون عليهم أى على اليهود والنصارى شهيداً يشهد على من كفر به منهم وكذبه وافترى عليه فالضميران فى به وفى موته عائدان على عيسى عليه السلام وراجعان إليه .

٣ — وقال تعالى :

« وإنه لعلم للساعة فلا تمترن بها » (١) .

ويقول ابن عباس ومجاهد وقتادة والحسن والسدى والضحاك وابن زيد : إن خروجه لعلم للساعة يدل على قرب قيامها ، إذ خروج عيسى شرط من أشراطها ، وهو نزوله من السماء فى آخر الزمان .

ويقول الألوسى فى روح المعانى أنه بنزول عيسى شرطاً من أشراطها أو بحدوثه بغير أب أو بإحيائه الموتى دليل على صحة البعث الذى هو معظم ما ينكره الكفرة .

والنتيجة التى نراها من هذه المناقشة :

أنه مهما كان من خلاف بين أصحاب الرأى الأول وأصحاب الرأى الثانى ، فإننا نرى أن كل رأى له وجاهته وله دليله وحجته ، وهذا يدل على الحرية الفكرية التى يتمتع بها علماء الإسلام فى مثل هذه المسائل الفرعية والتى لا تدخل فى مسائل العقيدة حيث إن بعضهم أول النصوص مما يشهد لنزول عيسى آخر الزمان ، وبعضهم أولها بما يصرفها عن ذلك ، لأنه يرى أن لا حاجة لنزول عيسى ، فإن فى القرآن الكفاية .

واستكمالا لمسألة التوفى والرفع المذكورة فى الآيات من سورة آل

---

(١) سورة الزخرف ٦١ .

عمران يتطرق البحث إلى الآيات التالية للآيات السابقة وهى قوله تعالى :

« ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ثم إلى مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون ، فأما الذين كفروا فأعذبهم عذاباً شديداً فى الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين»(١) .

فالتطهير يعنى إزالة الأدران والخبائث ، فالله سبحانه وتعالى طهر عيسى عليه السلام من الآثام التى حاول أن يلصقها اليهود به وبأمه ، فطهره سبحانه وتعالى مما رماه به اليهود وما رموا به أمه ، وقرر سبحانه فى القرآن عفتها ونزاهتها كما قرر سلامته مما ادعوه عليه من قتل وصلب ، كما طهره سبحانه ممن جاءوا بعد ذهابه من هذا العالم وادعوا اتباعه وهم لم يتبعوه ، إذ أفرطوا فى محبته حتى حسبوا أنه إله أو ابن إله ، فتطهير الله لعيسى كان من كل رجس معنوى يأتى من الذين كفروا ، على أية صورة كان كفرهم .

ولقد جعل الله سبحانه وتعالى الذين اتبعوه فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ، لكن من هم أولئك الذين اتبعوه ومن هم الذين كفروا به ، وما هذه الفوقية التى تكون للذين اتبعوه ؟ .

ليس الذين اتبعوه هم الذين قالوا إنا نصارى ويزعمون أنهم أتباع المسيح ، ويؤمنون بأنه ثالث ثلاثة وأنه ابن الله ، لأنه ما قال بالأقانيم وما ادعى بنوة الله على زعمهم ، ولكنه جاء بالتوحيد والإيمان بالله سبحانه وحده ، ولكن الذين اتبعوه هم الذين آمنوا به وبأنه رسول من رب العالمين وبأنه بشر كسائر البشر ، وأن تعاليمه هى العدالة والرحمة والسماحة والإخلاص فى طلب الحق وعبادة الله كما أمر الله ، وآمنوا أيضاً بما آمن به عيسى من وحدانية الله ، ورسالة سيدنا محمد الذى بشرهم به ودعاهم إلى العمل برسالته ، فبهذا يكونون متبعين لعيسى ، ومتفوقين على الذين كفروا إلى يوم القيامة ، لأنهم فى هذه الحالة مسلمون ، والمسلمون جميعاً فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة عقيدة ومنزلة فى الدنيا ، ما داموا متحدين عاملين بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وليس بلازم أن تكون الفوقية فوقية

---

(١) سورة آل عمران ٥٥-٥٦ .

سيف وسنان ، بل فوقية حجة وبرهان ، وهذه الحجة قائمة فى الدنيا إلى يوم القيامة ، حتى إذا انتهوا إلى ذلك اليوم المعلوم المقطوع بأنه سيقع لا محالة ، يكون الاحتكام بها إلى الحكم العدل العليم ، فيحكم فيما كانوا يختلفون فيه ، فمن كفر يعذبه عذاباً شديداً ، فعذاب الآخرة الأمر فيه إلى الله سبحانه وتعالى ، وأما عذاب الدنيا ففيه تفصيل بالنسبة لمن كذبوا المسيح طبقاً للآتى :

فبالنسبة لليهود عذابهم الذلة والتفرق فى الأرض مهما حاول أعوانهم من الكافرين أمثالهم مد يد المساعدة والمعاونة لهم ، فإن حبلها مقطوع يوماً ما طبقاً لوعيد الله لهم .

وأما النصارى فإنهم فى عذاب مستمر باختلافهم فيما بينهم وتفرقهم شيعاً وفرقا ، عداوتهم فيما بينهم شديدة ، فضلا عن الحرب التى تشعل فيما بينهم بصفة مستمرة تراق فيها الدماء وتفنى الذرارى وتخرب الدور والبلاد .

* * *

الفصل الثاني

عقيدة اليهود في المسيح والنصرانية والمخلص

اعتقاد اليهود فى أنفسهم وفى بقية الأمم :

يعتقد اليهود اعتقاداً جازماً بأنهم شعب الله المختار ، اختارهم وحدهم شعباً خالصاً له دون سائر الشعوب ، افتراء على الله بما تراءى لخيالهم فى مواضع كثيرة من كتبهم بأنه خلق العالم من أجلهم وخلق باقى الأمم لخدمتهم ، هم وحدهم الناس ، وباقى الشعوب عبيد لهم وخدم ، بل كلاب وخنازير طبقاً للآتى :

١ — ورد فى سفر الخروج على لسان يهوه إله إسرائيل :

« وأنتم تكونون لى مملكة أحبار وشعباً مقدساً » (١) وفى طبعة أخرى « وأنتم تكونون لى مملكة كهنة وأمة مقدسة » .

٢ — ورد فى سفر التثنية على لسان إله شعب إسرائيل موصياً لهم :

« مباركاً تكون فوق جميع الشعوب ، وتأكل كل الشعوب الذين الرب إلهك يدفع إليك لاتشفق عيناك عليهم » (٢) .

٣ — كما ورد فى سفر الخروج وصيته لشعب إسرائيل بالقضاء على الشعوب المجاورة .

« فإن ملاكى يسير أمامك ويجىء بك إلى الأموريين والحثيين والفرزيين والكنعانيين والجوبين والبيوسيين فأبيدهم » .

---

(١) سفر الخروج ص ١٩ عدد ٦ .

(٢) سفر التثنية ص ٧ عدد ١٤ ، ١٦ .

« أرسل هيبتى أمامك وأزعج جميع الشعوب الذين تأتى عليهم ، وأعطيك جميع أعدائك مدبرين ، وأرسل أمامك الزنابير فتطرد الحويين والكنعانيين والحثيين من أمامك ، قليلا قليلا أطردهم من أمامك إلى أن تثمر وتملك الأرض ، وأجعل تخومك من بحر سوف إلى بحر فلسطين ومن البرية إلى النهر ، فإنى أدفع إلى أيديكم سكان الأرض فتطردهم من أمامك ، لا يسكنوا فى أرضك لئلا يجعلوك تخطىء إلى » (١) .

٤ — وفى سفر العدد نفس هذا المعنى :

فتجندوا على مديان كما أمر الرب وقتلوا كل ذكر ، وملوك مديان قتلوهم فوق قتلاهم ، أوى وراقم وصور وحور ورابع ، خمسة ملوك مديان ، وبلعام بن يعور قتلوه بالسيف (مع أنه نبى بنص التوراة) ، وسبى بنو إسرائيل نساء مديان وأطفالهم ، ونهبوا جميع بهائمهم وجميع مواشيهم وكل أملاكهم ، وأحرقوا جميع مدنهم بمساكنهم وجميع حصونهم بالنار ، وأخذوا كل الغنيمة وكل النهب من الناس والبهائم (٢) .

مدلول كلمة المسيح عند اليهود :

إن الشعب الفلسطينى المغلوب على أمره لم يسكت على ما أصابه من اليهود ، بل راح مع بقية الشعوب المغلوبة يرفع نير الظلم والاضطهاد فاستردت أوطانها وأرضها وأذاقوا اليهود شيئا مما أذاقهم اليهود من قبل ، وعندئذ يعلو صراخ اليهود إلى إلههم يهوه أن يرسل إليهم مسيحا أو مخلصا يخلصهم من أيدى الفلسطينيين وتلك الشعوب ، لذلك كان كل مخلص لهم يدعى مسيحا طبقا للآتى :

١ — ابتداء أمر الله سبحانه وتعالى نبيه موسى بأن يمسح بالزيت

---

(١) سفر الخروج ص ٢٣ عدد ٢٣ ، عدد ٢٧ ، عدد ٢٨ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٣ .
(٢) سفر العدد ص ٣١ عدد ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ .

المقدس الهيكل والمذبح لتقديسها ، ثم أمره بأن يمسح به شقيقه هارون مسيحا مقدسا للرب ، وفعل موسى طبقا لما أمره الله لما ورد عنه فى سفر لاويين .

« ثم أخذ موسى دهن المسحة ومسح المسكن وكل ما فيه وقدسه ، ونضح منه على المذبح سبع مرات ، ومسح المذبح وجميع آنيته والمرحضة وقاعدتها لتقديسها ، وصب من دهن المسحة على رأس هارون ومسحه لتقديسه ، ثم قدم موسى بنى هارون وألبسهم أقمصة ونطقهم بمناطق ، وشد لهم قلانس كما أمر الرب موسى(١) .

٢ — ورد فى سفر صموئيل الأول قول إلههم يهوه لصموئيل طالبا منه مسح شاول ليكون مسيحا ومخلصا لشعب إسرائيل :

« غدا فى مثل الآن أرسل إليك رجلا من أرض بنيامين ، فامسحه رئيسا لشعبي إسرائيل فيخلص شعبي من يد الفلسطينيين ، لأنى نظرت إلى شعبي لأن صراخهم قد جاء إلى ، فلما رأى صموئيل شاول أجابه الرب هو ذا الرجل الذى كلمتك عنه هذا يضبط شعبي ، فتقدم شاول إلى صموئيل فى وسط الباب وقال اطلب إليك أخبرنى أين بيت الرائى »(٢) .

فأخذ صموئيل قنينة الدهن وصب على رأسه ، وقبله وقال : البس لأن الرب قد مسحك على ميراثه رئيسا(٣) .

٣ — والنبي إيليا يأمره ربه بأن يمسح بعض الأشخاص ملوكا ، اللهم إلا اليشع فيمسحه نبيا على بنى إسرائيل طبقا لما ورد فى سفر الملوك الأول .

«وبعد النار صوت منخفض خفيف ، فلما سمع إيليا لف وجهه بردائه

---

(١) سفر لاويين ص ٨ عدد ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ .

(٢) سفر صموئيل الأول ص ٩ عدد ١٦ ، ١٧ ، ١٨ .

(٣) سفر صموئيل الأول ص ١٠ عدد ١ .

وخرج ووقف فى باب المغارة ، وإذا بصوت إليه يقول مالك ههنا يا إيليا ، فقال غرت غيرة للرب إله الجنود ، لأن بنى إسرائيل قد تركوا عهدك ونقضوا مذابحك وقتلوا أنبياءك بالسيف فبقيت أنا وحدى ، وهم يطلبون نفسى ليأخذوها ، فقال له الرب : اذهب راجعا فى طريقك إلى برية دمشق وادخل وامسح حزائيل ملكا على أرام وامسح باهوين نمشى ملكا على إسرائيل وامسح اليشع بن شاقاط من آبل محولة نبيا عوضا عنك»(١) .

٤ — ونبي الله داوود صار مسيحا وتحدث عن ذلك سفر صموئيل الثانى فيقول :

« وجاء جميع شيوخ إسرائيل إلى الملك إلى حبرون ، فقطع الملك داود معهم عهدا فى حبرون أمام الرب ، ومسحوا داوود ملكا على إسرائيل ، وكان داود ابن ثلاثين سنة حين ملك . ملك أربعين سنة ، فى حبرون ملك على يهوذا سبع سنين وستة أشهر وفى أورشليم ملك ثلاثا وثلاثين سنة على جميع إسرائيل ويهوذا»(٢) .

ويأتى ذكر المسيح داوود فى المزمور ٢٨ « الرب عزلهم وحصن خلاصى مسيحه هو خاص شعبك وبارك ميراثك وارعهم واحملهم إلى الأبد »(٣) .

ويذكر ذلك المسح عن نفسه فى المزمور ٤٥ :

« أحببت البر وأبغضت الإثم من أجل ذلك مسحك الله إلهك بدهن الابتهاج أكثر من رفقائك(٤) » .

---

(١) سفر الملوك الأول ص ١٩ عدد ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ .
(٢) سفر صموئيل الثانى ص ٥ عدد ٣ ، ٤ ، ٥ .
(٣) مزمور ٢٨ عدد ٨ ، ٩ .
(٤) مزمور ٤٥ عدد ٧ .

كما ينادى ربه لينصره فى الحروب :

« يارب إله الجنود اسمع صلاتى واصغ يا إله يعقوب ، سلاه يامجننا انظر يا الله والتفت إلى وجه مسيحك ، لأن يوما واحدا فى ديارك خير من ألف(١) » .

وفى الشدة يدعو داوود ربه ألا يرد وجهه كما فى سفر أخبار الأيام الثانى :

« أيها الرب الإله لا ترد وجه مسيحك اذكر مراحم داوود عبدك»(٢) .

٥ — ثم تولى ملك إسرائيل بعد وفاة داوود عليه السلام ابنه سليمان ابن داوود وصار مسيحا أيضا ، ويذكر ذلك سفر الملوك الأول « فأخذ صادوق الكاهن قرن الدهن من الخيمة ومسح سليمان ، وخرجوا بالبوق وقال جميع الشعب ليحيا الملك سليمان»(٣) .

وهكذا اشترك فى لقب المسيح عدد غير قليل من أبناء وملوك بنى إسرائيل قبل أن يصير علما على المسيح عيسى بن مريم بعد ذلك .

التسمية بالمسيح ومن أين جاءت ؟

١ — يرجع هذا اللقب إلى الشعائر التى درجت عليها الأمة اليهودية منذ أجيالها الأولى أى منذ أبيهم الأول يعقوب عليه السلام والذى سمى إسرائيل ومن أولاده الاثنى عشر تناسل الشعب الإسرائيلى أو الشعب اليهودى كما يقولون .

ومنذ عهد يعقوب عليه السلام اعتبر المسح بالزيت المقدس من أعظم الشعائر لتقديس وتكريم الناس أو الأماكن ، فكل ما يمسح بالزيت يصير

---

(١) مزمور ٨٤ عدد ٨ ، ٩ ، ١٠ .
(٢) أخبار الأيام الثانى ص ٦ عدد ٤٢ .
(٣) الملوك الأول ص ١ عدد ٣٩ .

مقدسا لله، ولا يمسح بهذا الزيت المقدس من الناس سوى الكهنة والملوك والأنبياء ، لذلك سمى هؤلاء مسحاء الله أى المختارين والمباركين من الله .

يروى سفر التكوين عن يعقوب الآتى :

« وبكر يعقوب فى الصباح وأخذ الحجر الذى وضعه تحت رأسه وأقامه عمودا وصب زيتا على رأسه ودعا اسم ذلك المكان بيت إيل»(١) .

٢ — وكانت عقيدة اليهود فى المسيح المختار من الله والمبارك من السماء منقذ إسرائيل والمخلص له أنه لا يمسه أحد بضر ولا يقربه أى شخص بأذى طبقا لما أوصاهم به يهوه .

« لا تمسوا مسحائى ولا تؤذوا أنبيائى»(٢) .

(أ) فهذا شاول أحد المسحاء كما قدمنا آنفا يسمى مسيح الرب فهو المسيح المخلص الذى خلص شعب إسرائيل من أيدى الفلسطينيين ، فهو مبارك لا يمسه أحد بسوء ولا يتجرأ شخص على إلحاق الأذى به لذلك يقول عنه داوود فى سفر صموئيل الأول وموصيا رجاله به ، ومحذرا إياهم من إيذائه :

« وكان بعد ذلك أن قلب داوود ضربه على قطعه طرف جبة شاول فقال لرجاله حاشا لى من قبل الرب أن أعمل هذا الأمر بسيدى بمسيح الرب فأمد يدى إليه لأنه مسيح الرب هو ، فوبخ داوود رجاله بالكلام ولم يدعهم يقومون على شاول»(٣) .

(ب) وحين تمكن أحد رجال داوود عليه السلام من رقبة المسيح شاول

---

(١) سفر التكوين ص ٢٨ عدد ١٨ .
(٢) أخبار الأيام الأول ص ١٦ عدد ٢٢ .
(٣) صموئيل الأول ص ٢٤ عدد ٥ ، ٦ ، ٧ .

وأراد قتله منعه داوود قائلا له « فقال داوود لابشاى لا تهلكه ، فمن الذى يمد يده إلى مسيح الرب ويتبرأ »(١) .

عقيدة المخلص :

١ — بعد أن دالت دولة بنى إسرائيل بذهاب الملك داوود والملك سليمان حل باليهود الذل والهوان ، فلقد انقسمت دولتهم إلى مملكتين مملكة إسرائيل ومملكة يهوذا ، وهاجم بختنصر ملك بابل مملكة يهوذا فى عام ٥٨٦ قبل الميلاد، ودخل مدينة أورشليم عاصمتهاوأحرق هيكل عبادة اليهود وجمع التوراة وأشعل فيها النيران ، ثم زحف بجيشه على مملكة إسرائيل حيث دار القتال بينه وبينهم فانتصر عليهم ، ودخل مدينة السامرة عاصمتها وكانت تدعى شكيم . والتى أصبحت تسمى نابلس فيما بعد، وأما بخصوص ما أسره من اليهود فقد أمر بتقسيمهم ثلاث فرق فأقر ثلثا بأرض الشام وثلثا أخذه معه أسرى إلى بلاده وثلثا أعمل فيهم القتل .

وبعد الهزيمة الكبيرة راودت اليهود أحلامهم فى مسيح يرسله إلههم يهوه ليخلصهم من هذه المحنة القاسية ومن ربقة العبودية والأسر ويعيدهم إلى أورشليم المدينة المقدسة ليستعيدوا مجدهم الغابر ، وكثرت الأقاويل والتنبؤات والأساطير والأشعار حول ذلك المسيح المخلص : شكله وأوصافه، سلالته وأعماله ، وقت مجيئه وطريقة عمله وكيفية انتصاره .

٢ — ولما أتى قورش المجوسى مؤسس الامبراطورية الساسانية فى بلاد الفرس حارب البابليين ، وهزمهم وفك أسرى اليهود فى بابل وسمح لهم بالعودة إلى أورشليم وإعادة بناء الهيكل ، ففرح اليهود بذلك فرحا شديدا ، حتى أن البعض منهم لقبه بالمسيح رغم كونه غير مؤمن بالله . يقول أشعيا « هكذا يقول الرب لمسيحه ليكورش الذى أمسكت بيمينه لأدوس

---

(١) صموئيل الأول ص ٢٦ عدد ٩ .

أمامه أمما واحقاء ملوك ، أحل لأفتح أمامه المصراعين والأبواب لاتغلق(١) .

٣ — ولم يهنأ اليهود بفترة الهدوء والراحة والحرية طويلا ، إذ نهضت الإمبراطورية الرومانية وقامت بشتى الحروب على الشعوب المجاورة بقصد التوسع ، فضمت بلاد اليهودية ضمن ما ضمت من مستعمرات ، وأذاقوا اليهود من العسف الكثير ، كما قتلوا الرجال واستحيوا النساء ، وحرموا عليهم أى نقاش فى السياسة وشئون الحكم .

٤ — فعادت باليهود أفكارهم وسرحت بهم أحلامهم إلى ظهور شخص مخلص ،أى مسيح من سلالة ملوكهم يخاصهم من ظلم الرومان واستعبادهم ، ويعيد إليهم مجدهم وحريتهم ، ويعود بهم شعبا ممتازا وعنصرا مميزا بين شعوب الأرض ، حتى يعيدوا مملكة داوود وعرش سليمان التى قاعدتها فى أورشليم مدينة القدس والسلام .

(أ) تصور بعض الواهمين أن المسيح المنتظر يكون ملكا من كبار الملوك الغابرين فى مملكة إسرائيل ، قام من بين الأموات ليخلصهم من الرومان مثل الملك داوود أو حزقيا أو يهوه شافاط .

(ب) وتصوره البعض فى أحلامه نبيا من الأنبياء كالنبى إيليا أو اليشع ، بعث بعد موته ليخلص شعب يهوه .

(ج) وفريق ثالث تصور ذلك المسيح المخلص أميرا من سلالة داوود فيأتى بالنصر المبين على الرومان ويحرر اليهود ، ويضم جميع الناس تحت لواء ملكه ليؤمنوا بيهوه إله اليهود ، وبالشريعة اليهودية ، وكانت هذه أكثر الأحلام شيوعا وانتشارا بين اليهود ، وهذا رجوع منهم إلى ما هو وارد عن داوود ،ووعد الإله له بتثبيت كرسى مملكته إلى الأبد مبقيا سلالته ملوكا على عرش إسرائيل كما فى سفر صموئيل الثانى(٢) .

---

(١) سفر أشعيا ص ٤٥ عدد ١ .
(٢) سفر صموئيل الثانى إصحاح ٧ عدد ١٢ ، ١٣ .

« أقيم بعدك نسلك الذى يخرج من أحشائك وأثبت مماكته، هويبنى بيتا لاسمى ،وأنا أثبت كرسى مماكته إلى الأبد(١) مع أنه لم يثبت ولم تقم لهم قائمة ، وأما ما هم عليه الآن ، فيزول بعد حين قريب إن شاء الله .

وورد ما يماثل ذلك فى سفر الملوك الأول للنبى سليمان على لسان يهوه :

« فإنى أقيم كرسى ملكك على إسرائيل إلى الأبد ، كما كلمت داوود أباك قائلا لا يعدم لك رجل عن كرسى إسرائيل(٢) . ونحن نقول : أين كرسى سليمان بن داود على إسرائيل ، وهكذا أكاذيبهم التى دسوها فى كتبهم تجليها الأيام .

والواقع أن هذه الأحلام والآمال التى كانت تراود مخيلة اليهود فى أوقات محنتهم كانت تراود معظم الشعوب القديمة فى أوقات ضيقها وهزيمتها ، حتى تخفف وتلطف من قسوة الحقيقة وآلامها .

٥ — ولقد علق الأستاذ عباس محمود العقاد على ذلك بقوله(٣) .

يدل علم المقارنة بين الأديان على شيوع الإيمان بالخلاص ، وظهور الرسول المخلص فى زمن مقبل ، وظهر من عقائد قبائل الهنود الحمر فى القارة الأمريكية أن القبائل التى تؤمن بهذه العقيدة غير قليلة فى الأمريكتين ، — وليس فى هذا عجب — لأن الرجاء فى الخير أصل من أصول الديانة ، والأمل فى الصلاح مادة من مواد الحياة الإنسانية فى طاب الكمال والخلاص من العيوب ، وقد يشتد هذا الأمل حين تشتد الحاجة إليه ، فكان المصريون الأوائل يترقبون المخلص المنقذ بعد زوال الدولة القديمة ، وكان البابليون

---

(١) محمد نبى الإسلام فى التوراة والإنجيل والقرآن ، للمؤلف ، باب مناقشة بعض المفاهيم فى الديانة اليهودية والمسيحية .

(٢) سفر الملوك الأول إصحاح ٩ عدد ٥ .

(٣) حياة المسيح للأستاذ عباس محمود العقاد .

يؤمنون بعودة مردخ إلى الأرض فترة بعد فترة لتمع الفتنة وتطهيرها من الفساد ، وكان المجوس يؤمنون بظهور رسول من إله النور كل ألف سنة ينبعث فى جسد إنسان .

٦ — ويقرر الكاتب الأمريكى فالنتون أورسلر أن فكرة المسيح المخلص ماهى إلا أسطورة يهودية ترددها معظم الشعوب القديمة ، رويت بكل اللغات . وقصة إيمان بخرافة عالمية(١) .

والنتيجة من كل ذلك :

أن فكرة المسيح عند اليهود بدأت بمسح الكهنة والملوك والأنبياء بالزيت المقدس، ثم تطورت فى زمان المحن والضيق والهزيمة إلى فكرة المخلص الذى يرساه يهوه إلههم لتحريرهم وإخضاع باقى شعوب الأرض لهم .

٢ — فهى بعد تطورها لم تكن إلا نوعا من التنفيس عن الكرب الذى يحس به شعب مستعبد ينتظر يوم الخلاص على يد بطل من أبطاله .

٣ — ولا يخلو تاريخ شعب من شعوب الأرض أو دين من الأديان القديمة من الروايات والأساطير التى حيكت وألفت حول الأبطال المخلصين والمسحاء المختارين يصورونهم ملوكا أو آلهة أو أنصاف آلهة أو أبناء آلهة قد ينزلون من السماء أو يخرجون من باطن الأرض وقد تلدهم عذارى أو تلقى بهم عروس البحر ، المهم أنهم أشخاص غير عاديين سيبدلون الحال إلى أحسن منه ، وسيحيلون العذاب هناءة ، والذل عزا والضيق فرجا والحزن فرحا(٢) .

---

(١) كتاب الإنسان الخالد للكاتب الأمريكى فالنتون أورسلر .

(٢) كتاب المسيح إنسان أم إله للأستاذ محمد مجدى مرجان .

هل يوجد فى تاريخ اليهود إشارة إلى المسيح عيسى بن مريم :

لا يوجد فى التاريخ الدينى ولا فى كتبهم أى إشارة للمسيح عيسى ابن مريم ولا لدعوته ولا لأحداث القبض عليه وصلبه ، مما حدا ببعض الغربيين إلى اعتبار عيسى أو يسوع شخصية خرافية فرضية لا أساس لها من الواقع .

ويقول الدكتور إسرائيل ولفنستون : إن مسألة قتل المسيح كانت موجودة فى التلمود ولكن اليهود أخرجوها حتى لا يعثر عليها أحد من الأمم التى تعتنق المسيحية التى كان يقيم اليهود بين ظهرانيهم .

ويعلل الدكتور أحمد شلبى إهمال اليهود شأن عيسى وعدم ذكره فى كتبهم بقوله أن عيسى عندهم إن صح وجوده كان رجلا عادياً كفر بدعوتهم (العنصرية) فقتلوه فهو رجل انشق عليهم فعاقبوه بالقتل ولا يستحق بعد ذلك أى ذكر فى كتبهم(١) .

واليهود وإن أنكروا عيسى ابن مريم إلا أنهم ينتظرون المسيح الذى وردت الإشارة عنه فى التوراة ، وهم يرون له شروطا فى اعتقادهم طبقاً لما أشرنا إليه فيما سبق وهى :-

١ - أنه سيكون ملكا عظيما .

٢ - سيجعل لهم السلطان على جميع مناطق الأرض والسيادة على العالم .

٣ - سيجعل من جنس اليهود الجنس الأعظم بين أجناس الناس جميعاً.

---

(١) كتاب مقارنة الأديان - المسيحية - للدكتور أحمد شلبى .

القرآن كتاب المسلمين يكشف بعض مزاعم اليهود المعاصرين للمسيح :

زعم أكثر اليهود أنهم قتلوا عيسى ابن مريم وصلبوه ، فكذبهم الله تعالى فى ذلك وقال أنه شبه لهم ، أى شبه لهم المقتول بأن ألقى عليه شبه عيسى ، فلما دخلوا ليقتلوا عيسى وجدوا الشبيه فقتلوه وصلبوه يظنونه عيسى ، وما هو بعيسى فى الواقع لأن عيسى نجاه الله من أعدائه .

ولما كانت دعوة عيسى عليه السلام لليهود دعوة إلى الأخلاق الفاضلة وتوجيهاً روحياً تدعوهم إلى أن يقللوا من تكالبهم على المال ، فلم تجد قلبا سميعاً ولا تأييداً من اليهود ، لذلك ثاروا عليه وتآمروا على قتله ، بل إنهم ذكروا أمه بالقبيح من القول فبرأها الله مما وصفها به اليهود .

قال تعالى :

« وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيماً . وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم »(١) .

وما زالت قصة ميلاد يسوع من عذراء محل استهزاء اليهود وتهكمهم ، فهم يعتقدون أنه ولد نتيجة للدنس ومن الفحشاء ، وقد حكى إنجيل يوحنا شيئاً من ذلك إذ أراد اليهود أن يجرحوه فقالوا وهم يقصدون أن يلمزوه :

« إننا لم نولد من زنا » (٢) .

إلا أن الإسلام أزال ذلك الدنس عن السيدة مريم وقرر طهارتها وعفتها ، ورفعها إلى درجة الصديقين وهى درجة عالية فى الاصطفاء ،

---

(١) سورة النساء ١٥٦ ، ١٥٧ .

(٢) إنجيل يوحنا إصحاح ٨ عدد ٤١ .

قال تعالى :

« وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين »(١) .

وقال تعالى أيضاً :

« ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام » (٢) .

---

(١) سورة آل عمران ٤٢ .
(٢) سورة المائدة ٧٥ .

الفصل الثالث

اختلاف الأناجيل

فى نسب المسيح حتى إبراهيم

نسب السيد المسيح عيسى بن مريم، عليه السلام (من إنجيل متى) يختلف عما ورد بإنجيل لوقا، فبينما يصل فى إنجيل متى إلى ٤٠ طبقة حتى يصل إلى إبراهيم عليه السلام نجده فى إنجيل لوقا يصل إلى ٥٥ طبقة حتى يصل إلى إبراهيم عليه السلام وإليك هذا البيان .

نسب السيد المسيح إلى إبراهيم فى إنجيل

متى فى الإصحاح (الأول)

٤٠	إبراهيم	٣٣	عمينا داب
٣٩	إسحق	٣٢	نحشون
٣٨	يعقوب	٣١	سلمون
٣٧	يهوذا	٣٠	بوعاز
٣٦	فارص ــ أخو ذارح	٢٩	عوبيد
٣٥	حصرون	٢٨	يسى
٣٤	أرام	٢٧	داوود

تابع نسب السيد المسيح عيسى بن مريم (عليه السلام) من إنجيل متى

٢٦	سليمان	١٣	يكتنيا
٢٥	رجعام	١٢	شالتئيل
٢٤	أبيا	١١	زربابل
٢٣	آسا	١٠	أبيهود
٢٢	يهوشافاط	٩	الياقيم
٢١	يورام	٨	عازور
٢٠	عزيا	٧	صادوق
١٩	يوثام	٦	أخيم
١٨	أحاز	٥	اليود
١٧	حزقيا	٤	اليعازر
١٦	منسى	٣	متان
١٥	آمون	٢	يعقوب
١٤	يوشيا	١	يوسف رجل مريم التى ولد منها يسوع

نسب السيح المسيد إلى إبراهيم فى (إنجيل لوقا آخر الاصحاح الثالث)

٥٥	إبرهيم	٣١	متثات
٥٤	إسحق	٣٠	بوريم
٥٣	يعقوب	٢٩	أليعازر
٥٢	يهوذا	٢٨	يوسى
٥١	فارص	٢٧	عير
٥٠	حصرون	٢٦	المودام
٤٩	أرام	٢٥	قصم
٤٨	عميناداب	٢٤	ادى
٤٧	نحشون	٢٣	ملكى
٤٦	سلمون	٢٢	نيرى
٤٥	بوعز	٢١	شالنثيل
٤٤	عوبيد	٢٠	زربابل
٤٣	يسى	١٩	ريسا
٤٢	داوود	١٨	يوحنا
٤١	ناثان	١٧	يهوذا
٤٠	متاثا	١٦	يوسف
٣٩	مينان	١٥	شمعى
٣٨	مليا	١٤	متاثيا
٣٧	إلياقيم	١٣	مآث
٣٦	يونان	١٢	نجاى
٣٥	يوسف	١١	حسلى
٣٤	يهوذا	١٠	ناحوم
٣٣	شمعون	٩	عاموص
٣٢	لاوى	٨	مثانيا

تابع نسب السيد المسيح إلى إبراهيم فى (إنجيل لوقا آخر الاصحاح الثالث)

٧	يوسف	٣	منثات
٦	ينا	٢	هالى
٥	ملكى	١	يوسف رجل مريم
٤	لاوى		

ويلاحظ الآتى :

١ — أن ما ورد من نسب المسيح بإنجيل متى وإنجيل لوقا ليس نسبا للمسيح بل هو نسب يوسف النجار ولا ارتباط نسبى بين المسيح ويوسف النجار هذا ، اللهم إلا إذا طعن فى شرف أمه بأنه جاء نتيجة اتصال غير شرعى قبل الزواج من خطيبها يوسف النجار ، كما تزعم اليهود ذلك .

٢ — ورد عن النسب بإنجيل متى أن المولود (يدعى اسمه عمانوئيل) رغم أنه ذكر عنه فيما سبق أن اسمه (يسوع المسيح) وما سماه أحد بعمانوئيل أصلا لا أمه ولا يوسف النجار ، ولا الملك قال ذلك فى رؤيا يوسف النجار بل قال : تدعو اسمه يسوع .

٣ — وإذا نظرت إلى سلسلة النسب سالفة الذكر ، تجد أن من بينها اسم فارص بوصفه جدا من جدود السيد المسيح . وقد ورد عنه فى سفر التكوين الإصحاح ٣٨ عدد ٢٩ ـ ٣٠ أنه توأم لشقيقه زارح ولدتهما أمهما تامارعن طريق الزنا من يهوذا بن يعقوب فهل يعقل أن من تقدسه النصارى يكون أحد جدوده من الزنى ، ثم يرفعونه بعد ذلك إلى مقام الألوهية .

٤ — رغم الخلاف فى العدد بين النسب فى إنجيل لوقا عنه فى إنجيل

متى تجد خلافا فى الأشخاص أيضا ، ففى إنجيل متى أن يوسف بن يعقوب إلخ . وفى لوقا أنه ابن هالى(١) .

٥ — وفى إنجيل متى أن عيسى من أولاد سليمان بن داوود وفى لوقا أنه من أولاد ناتان ابن داوود .

٦ — فى إنجيل متى أن جميع آباء المسيح من داوود إلى جلاء بابل سلاطين مشهورون، وفى لوقا أنهم ليسوا بسلاطين ولا مشهورين غير داوود وناتان .

٧ — يعلم من متى أن سلتائيل بن يكينا ، ومن لوقا أن سلتائيل ابن نيرى .

٨ — يعلم من متى أن اسم ابن زربابل أبيهود ، ومن لوقا إن اسمه ريسا ، والعجب أن أسماء بنى زربابل مكتوبة فى الإصحاح الثالث من السفر الأول من أخبار الأيام من كتب العهد القديم(٢) ، وليس فيها أبيهود ولا ريسا فكل منهما خطأ .

٩ — فى متى من داوود إلى المسيح ستة وعشرون جيلا ، وفى لوقا واحد وأربعون جيلا .

١٠ — المتدبر للتوراة يجد أنها تنص على أن عيسى ليس هو الموعود طبقا لتنبؤاتهم إذ المتتبع لسفر أرميا يجد أنه يتضمن أن إلياقيم بن بوشيا لما أحرق الصحيفة التى كتبها ياروخ من فم أرميا نزل الوحى إلى أرميا يقول (لذلك هكذا قال الرب عن يهوياقيم ملك يهوذا لا يكون له جالس على كرسى داوود) (٣) .

---

(١) كتاب إظهار الحق للإمام رحمة الله بن خليل الرحمن الهندى .
(٢) أخبار الأيام الأول — الإصحاح الثالث عدد ١٩ .
(٣) سفر أرميا إصحاح ٣٦ عدد ٣٠ .

١١ — فكيف بعد ذلك يقول عنه إنجيل لوقا حاكيا عن الملاك جبريل ، (ويعطيه الرب الإله كرسي داوود أبيه) (١) .

١٢ — لأن من المسلم به طبقا لما ورد فى إنجيل متى أن عيسى من ولد ألياقيم ملك يهوذا(٢) .

١٣ — أن ميلاد المسيح من عذراء لم يشر إليه من كتاب الأناجيل سوى متى ولوقا ، أما الباقون فقد سكتوا عن ذكره ، ولا يعلم سبب ذلك أكان خشية منهم فى الخوض فيه خوف السخرية أو التهكم أو مخافة الظن والشك عند إيرادهم لقصة مولده من عذراء دون أن يمسها رجل .

١٤ — حاول كتاب الأناجيل أن يلقوا فى روع الناس أن يسوع هو المسيح المنتظر ، المسيح الجديد الذى أتى ليخلصهم من عبودية الرومان المستعمرين لأرض اليهودية ويعيد إليهم مجدهم الضائع ، وتهافت كتاب الأناجيل على استدعاء آيات العهد القديم واستنطاق أنبيائه قسرا وتحوير الكلمات والروايات التى تحدثت عن المسيح المنتظر ، ليكون المقصود بها عيسى وتعديل الأوصاف والأشكال التى قيلت عن المسيح لتصدق على يسوع ، بل شكلوا يسوع نفسه ليوضع فى قالب المسيح المخلص .

١٥ — ولما كانت أكثر التنبؤات شيوعا عن المخلص الذى سيرسله الله لتحرير إسرائيل أنه سيكون من سلالة داوود ، من أجل ذلك قرر كتاب الأناجيل أن يسوع من سلالة داوود ، ولهذا زعموا أنها تركت بلدتها الناصرة وذهبت إلى مدينة بيت لحم التى كانت منبت داوود لتلد فيها يسوع .

١٦ — إن كتاب الأناجيل الذين ذكروا واقعة نسب يسوع من داوود وقعوا فى مأزق عجيب ، كل ذلك جريا وراء أسطورة المسيح المخلص

---

(١) إنجيل لوقا — الإصحاح الأول عدد ٣٢ .
(٢) إنجيل متى — الإصحاح الأول عدد ١٣ .

وذلك بزعمهم أن يسوع من نسل داوود ، ولو كان يسوع ينسب إلى داوود من جهة أمه مريم لكانت نسبته إلى داوود أمرا مفهوما ولكن من المدهش بل من المذهل أن نراهم يربطون بين يسوع وداوود عن طريق يوسف النجار خطيب أمه.وجعلوا داوود جداً له مع أن يوسف النجار لم يمس السيدة مريم العذراء وقتئذ ، لقد أرادوا أن يلبسوا يسوع ثوب المسيح المنتظر ، فخلعوا عليه كل أوصافه ، ولم يبق إلا أن يكون من نسل داوود ، ولما كانت السيدة مريم والدة يسوع ليست من سلالة داوود فلم يكن بد من أن يربطوا بينها وبين رجل من سلالة داود هو يوسف ، وجعلوا منه خطيبا لمريم وأبا ليسوع ، كل ذلك ليكون من نسل داوود ، فكان جرى هؤلاء الكتاب وراء أسطورة المسيح المخاص ومحاولتهم خلع قناع المسيح على يسوع ، هو تجريد له من ميزته الكبرى ومعجزته العظمى فى ولادته دون زرع رجل ، بل إنهم بفعلهم هذا يصمونه هو وأمه بأشنع الأوصاف وأحط الاتهامات ، بتدنيس ميلاده وإلصاق الفاحشة بأمه ، فمالوا إلى تأكيد الزعم الشائع والكذب الذى كان رائجا فى اليهودية بأن يوسف النجار قطف الثمرة قبل الأوان ، وضاجع مريم قبل الزواج فولدت بيسوع ونسبته إليه فضاعت وسط الأيام والأزمان والأكاذيب والشائعات معجزة ميلاد يسوع الفريدة فى بابها دون أب إلى أن نزل القرآن الكريم على رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم فأعلن الحقيقة وقطع دابر الشكوك وأعاد للسيدة مريم العذراء عفافها وطهارتها ، وأعاد ليسوع قدره واحترامه . ولولا القرآن لاندثرت رواية الميلاد الفريد للسيد المسيح عيسى بن مريم ، ولعدت من الأباطيل والخرافات التى ترددها الأديان الوثنية القديمة ، ولما صدقها أحد(١).

قال تعالى فى محكم آياته فى القرآن الكريم :

« واذكر فى الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً . فاتخذت

---

(١) كتاب (المسيح إنسان أم إله) — للأستاذ محمد مجدى بدجان .

من دونهم حجاباً فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً . قالت إنى أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً . قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً . قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغياً. قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضياً »(١).

ولكن هل حقق المسيح عيسى كل هذه الآمال لمن أرادوا له كل هذه الصفات فى المسيح المخلص ؟

— إن المتتبع لحال اليهود من خلال قراءة الأناجيل المعترف بها بين النصارى يرى أن اليهود فرحوا أولا بالمسيح عيسى ، لأنه كان فى اعتقادهم أتى ليخلصهم من عبودية الرومان ، وليخضع الأمم والشعوب لسلطانهم ، فأخذوا يعدون العدة للمناداة به قائداً لهم وزعيما ، وتنصيبه ملكاً عليهم ليقوم بتنظيم صفوفهم وقيادتهم فى حربهم التحريرية ضد الرومان ، وكانوا ينادونه كثيراً ملك اليهود ، حتى أنه عند استقباله فى مدينة القدس (أورشليم) عند دخوله إليها قبل الفصح اليهودى ، فرشوا له ملابسهم فى طريق موكبه وأخذوا يلوحون له بالرياحين والأغصان مرددين : السلام ياملك اليهود ، تبارك الآتى باسم الرب .

٢ — ولما عزم اليهود على تنصيب المسيح رسمياً ملكاً عليهم رفض العرض ، وإلى الجبل هرب من الاحتفال ، لأنهم كانوا مزمعين اختطافه ليجعلوه ملكاً عليهم (٢) .

٣ — وعندئذ تحطمت آمال اليهود فى المسيح وتبخرت أحلامهم فى الخلاص على يديه ، وفى استعادة مجدهم الضائع ، وكانت هذه الصدمة الكبيرة فيه كافية لتحويل الحب إلى كراهية ، فكان ما كان من أمر تفكيرهم فى قتله ، وصلبه على ما يبدو .

---

(١) الآيات من سورة مريم من ١٦ إلى ٢١ .
(٢) إنجيل يوحنا ص ٦ عدد ١٥ .

الفصل الرابع

هل ولد المسيح

حقا فى فصل الشتاء

فى ٢٥ ديسمبر كما يقول النصارى الغربيون

وفى يناير كما يقول النصارى الشرقيون

ورد فى إنجيل لوقا حكاية عن ميلاد المسيح عليه السلام :

وكان فى تلك الكورة رعاة متبدين يحرسون حراسات الليل على رعيتهم ، وإذا ملاك الرب وقف بهم ومجد الرب حولهم ، فخافوا خوفاً عظيما ، فقال لهم الملاك : لاتخافوا فها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب ، إنه ولد لكم اليوم فى مدينة داوود مخلص هو المسيح (١) .

ومعنى ذلك أن يكون الميلاد فى وقت يكون الرعى فيه ممكنا فى الحقول القريبة من بيت لحم المدينة التى ولد فيها المسيح عليه السلام ، وهذا الوقت يستحيل أن يكون فى الشتاء لأنه فصل تنخفض فيه درجة الحرارة وخصوصاً بالليل ، بل وتغطى الثلوج تلال أرض فلسطين وجعل عيد الميلاد للسيد المسيح فى فصل الشتاء لا أساس له إذا ، بل هو من مخترعات الوضاع يجعله فى فصل الشتاء وفى هذه التواريخ المذكورة آنفا .

ولنذلل على ذلك بالآتى :

١ — يقول الأسقف بارنز :

غالباً لا يوجد أساس للعقيدة القائلة بأن يوم ٢٥ ديسمبر كان بالفعل

---

(١) إنجيل لوقا — إصحاح ٢ عدد ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ .

يوم ميلاد المسيح ، وإذا ما كان فى مقدورونا أن نضع موضع الإيمان قصة لوقا عن الميلاد مع ترقب الرعاة بالليل فى الحقول ، قريباً من بيت لحم ، فإن ميلاد المسيح لم يكن ليحدث فى الشتاء حينما تنخفض درجة الحرارة ليلا ، وتغطى الثلوج تلال أرض اليهودية ، ويبدو أن عيد ميلادنا قد اتفق عليه بعد جدل كثير ومناقشات طويلة حوالى عام ٣٠٠ بعد الميلاد (١)

٢ — وهذا الرأى الذى ذهب إليه الأسقف بارنز قد استمده الذين كتبوا بيانات عن عيد الميلاد فى دائرة المعارف البريطانية ودائرة معارف شاميرز ، فقد ورد فى الطبعة الخامسة عشرة من المجلد الخامس فى الصفحة ٦٤٢، ٦٤٣ أ من دائرة المعارف البريطانية ما يلى : لم يقتنع أحد مطلقاً بتعيين يوم أو سنة لميلاد المسيح — ولكن حينما صمم آباء الكنيسة فى عام ٣٤٠ بعد الميلاد على تحديد تاريخ للاحتفال بالعيد — اختاروا بحكمه يوم الانقلاب الشمسى فى الشتاء الذى استقر فى أذهان الناس — وكان أعظم أعيادهم أهمية ، ونظراً إلى التغييرات التى حدثت فى التقاويم — تغير وقت الانقلاب الشمسى وتاريخ عيد الميلاد بأيام قليلة .

٣ — ورد فى دائرة معارف شاميرز الآتى :

كان الناس فى كثير من البلاد يعتبرون الانقلاب الشمسى فى الشتاء يوم ميلاد الشمس — وفى روما كان يوم ٢٥ ديسمبر ، يحتفل فيه بعيد وثنى قومى — ولم تستطع الكنيسة أن تلغى هذا العيد الشعبى — بل باركته كعيد قومى لشمس البر .

٤ — يقول بيك من علماء تفسير الكتاب المقدس :

لم يكن ميقات ولادة المسيح شهر ديسمبر على الإطلاق ، فعيد الميلاد عندنا قد بدأ التعارف عليه أخيراً فى الغرب (٢) .

٥ — هناك دليل تاريخى ثابت موثوق به يوضح أن المسيح ولد فى شهر

---

(١) كتاب ظهور المسيحية للأسقف بارنز .

(٢) تفسير الكتاب المقدس للدكتور بيك ص ٧٢٧ .

أغسطس أو سبتمبر ، فقد كتب الدكتور جون د . أفيز فى كتابه (قاموس الكتاب المقدس) تحت كلمة سنة أن البلح ينضج فى الشهر اليهودى أيلول . كما ورد فى صفحة ١١٧ من كتاب تفسير الكتاب المقدس لبيك العبارة الآتية : « إن شهر أيلول يطابق عندنا شهر أغسطس وسبتمبر » .

٦ — ويقول الدكتور بيك فى مناقشة جون ستيوارت لمدونة من معبد انجوراً : وعبارة وردت فى مصنف صينى قديم ، يتحدث عن رواية وصول الإنجيل للصين سنة ٢٥ — ٢٨ ميلادية حيث حدد ميلاد المسيح فى عام ٨ قبل الميلاد فى شهر سبتمبر أو أكتوبر ، وحدد وقت الصلب فى يوم الأربعاء عام ٢٤ ميلادية (١) .

النتائج التى تستخلص مما تقدم :

١ — ونخلص من كل ذلك طبقاً للبحوث السابقة التى أجريت حالياً على أصول المسيحية أن المسيح لم يولد فى ديسمبر أو يناير ولكن فى أغسطس أوسبتمبر ، ويكون حمل السيدة مريم لم يبدأ فى مارس أو أبريل كما يريد مؤرخو الكنيسة أن يلزموا الناس باعتقاده بل بدأ حملها فى نوفبر أو ديسمبر .

٢ — إن القرآن الكريم يستخلص من تفسيره أن المسيح مولود فى أغسطس أو سبتمبر وهذا يتفق مع الحقائق التاريخية ، ومع رواية إنجيل لوقا وإن كان ذلك دون قصد وأنه يظهر مما حكاه القرآن عن السيدة مريم أنها كانت ترقد عند ولادتها فى سقيفة على مكان مرتفع من التل حيث تقف نخلة على منحدر منه ، وكان من الميسور لها أن تصل إلى جذعها وتهزه ، وكثرة النخيل فى منطقة بيت لحم واضحة فى الكتاب المقدس فى الإصحاح الأول من سفر القضاة . وكذلك قاموس الكتاب المقدس المؤلف بمعرفة

---

(١) مستخلص من ترجمة من الإنجليزية من مجلة الأديان الشهرية العدد الخامس — أكتوبر سنة ١٩٦١ الصادر فى الباكستان الغربية بمعرفة الأستاذ أحمد فتحى ناصف بالشئون القانونية بوزارة الداخلية ومنشور له بمجلة لواء الإسلام السنة السادسة عشرة العدد الأول غرة رمضان سنة ١٣٨١ — ٦ فبراير سنة ١٩٦٢ .

الدكتور جون ريفنز . كما أن حقيقة إرشاد السيدة مريم إلى نبع كما ورد فى القرآن الكريم لتشرب منه تشير إلى أن ميلاد المسيح قد حدث فعلا فى شهر أغسطس أو سبتمبر وليس فى ديسمبر حيث يكون الجو باردا كالثلج فى كورة اليهودية وحيث لارطب فوق النخيل حتى تهز جذع النخلة فتساقط عليها رطباً جنياً .

قال تعالى :

« فناداها من تحتها ألا تحزنى قد جعل ربك تحت سرياً » .

« وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً . فكلى واشربى وقرى عيناً » (١) .

والمعنى :

أى أنه جعل قربها جدولا صغيراً كان قد انقطع ماؤه ثم جرى وامتلأ وسمى سرياً لأن الماء يسرى فيه ، وأنه فى إمكانها أن تتناول من الرطب الصالحة للاجتناء إذا أرادت أن تأكل ، وإذا أرادت أن تشرب أمكنها ذلك من جدول الماء الصغير الذى كان يسرى بجانبها (٢) .

---

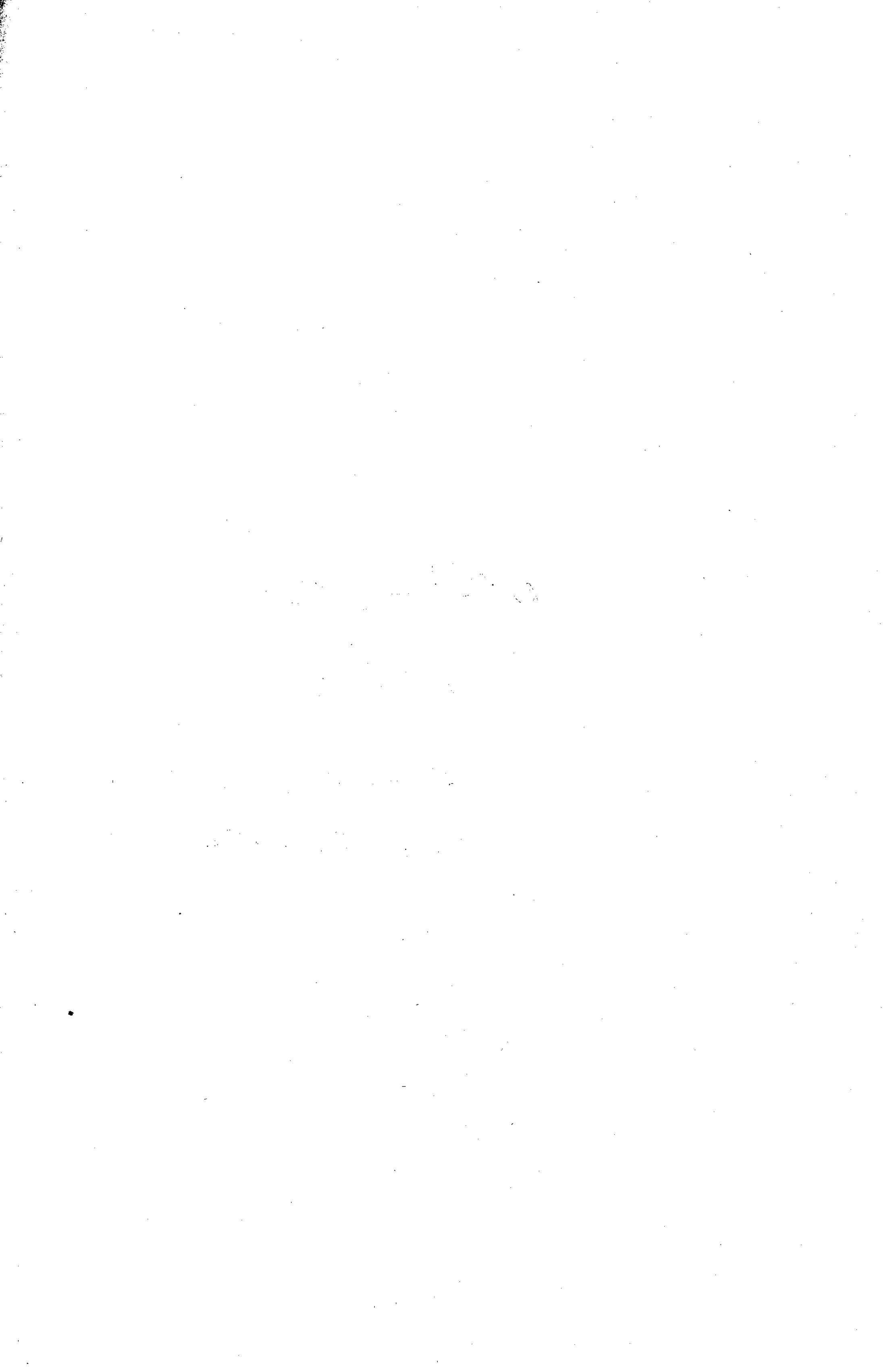
(١) الآيات من سورة مريم ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ .
(٢) صفوة البيان لمعانى القرآن – لفضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف .

الباب الخامس

بولس الرسول

١ — تاريخ بولس وأثره فى النصرانية .

٢ — أقوال كتاب النصرانية عنه .



الفصل الأول

تاريخ بولس وأثره فى النصرانية

بولس الرسول

من هو بولس الرسول :

ورد فى سفر أعمال الرسل تفصيل لحياة بولس، ويتضح منه أن مولده كان فى طرسوس وتربى فى أورشليم ، وأن اسمه الأصلى شاول (١) .

وأنه من الفريسيين الذين يقولون أن هناك قيامة يشاركون فيها ملك المسيح فى الدنيا (٢) . ولما علم بولس أن قسما منهم صدوقيون والآخرون فريسيون صرخ فى الجمع : أيها الرجال الإخوة . . . أنا فريسى على رجاء قيامة الأموات .

ولكن من العجب العجاب ما جاء فى آخر إصحاح ٢٢ من سفر الأعمال قوله أنه رومانى . انظر إلى قوله « فلما مدوه للسياط قال بولس لقائد المائة الواقف : أيجوز لكم أن تجلدوا إنساناً رومانياً غير مقضى عليه . . » إلخ » .

وللوقت تنحى عنه الذين كانوا مزمعين أن يفحصوه ، واختشى الأمير لما علم أنه رومانى لأنه قيده . فهل ياترى كان بولس حقيقة رومانياً ولم يكن يهودياً ، أم أن هذا كان حيلة من بولس فزعم أنه رومانى ليفلت من عقابه بالسياط ، وأصر على ذلك عندما روجع فيها فتم له الإفلات من العقاب بتلونه فى جنسيته .

---

(١) انظر سفر الأعمال إصحاح ٢٢ عدد ٣ .

(٢) انظر إصحاح ٢٣ من سفر الأعمال عدد ٦ .

هل كان بولس من تلاميذ المسيح أو حوارييه .

لم يكن من تلامذة المسيح أو حوارييه ، بل لم ير المسيح فى حياته ولم يسمع منه أية موعظة من مواعظه ، بل كان عدواً للمسيحيين واضطهاده مستمر لهم ، وقد حكى ذلك عن نفسه فى سفر أعمال الرسل بأنه سافر من أورشليم إلى دمشق ليأتى بالمسيحيين ليعاقبو اليشفى غلياله بالكيد وإيصال الأذى إليهم .

١ — ففى الإصحاح الثامن من سفر أعمال الرسل نجد الآتى — « وحدث فى ذلك اليوم اضطهاد عظيم على الكنيسةالتيفى أورشليم فتشتت الجميع فى كور اليهودية والسامرة ما عدا الرسل ، وحمل رجال أتقياء استفانوس ، وعملوا عليه مناحة عظيمة ، وأما شاول فكان يسطو على الكنيسة وهو يدخل البيوت ويجر رجالا ونساء ويسلمهم إلى السجن » (١) .

٢ — وفى رسالة بولس إلى أهل غلاطية عن نفسه « فإنكم سمعتم بسيرتى قبلا فى الديانة اليهودية أنى كنت اضطهد كنيسة الله بإفراط وأتلفها ، وكنت أتقدم فى الديانة اليهودية على كثيرين من أترابى فى جنسى إذ كنت أوفر غيرة فى تقليدات آبائى » (٢) .

٣ — وجاء فى الإصحاح التاسع من سفر أعمال الرسل .

« أما شاول فكان لم يزل ينفث تهدداً وقتلا على تلاميذ الرب ، فتقدم إلى رئيس الكهنة وطلب منه رسائل إلى دمشق إلى الجماعات حتى إذا وجد أناساً فى الطريق رجالا أو نساء يسوقهم إلى أورشليم » (٣) .

---

(١) أعمال الرسل إصحاح ٨ من عدد ١ إلى عدد ٣ .
(٢) رسالة بولس إلى أهل غلاطية إصحاح ١ عدد ١٣ ، ١٤ .
(٣) أعمال الرسل إصحاح ٩ عدد ١ وما بعده .

٤ — وجاء فى الإصحاح ٢٢ من سفر الأعمال عن بولس يخاطب اليهود قوله :

«كنت غيوراً لله كما أنتم جميعكم اليوم . واضطهدت هذا الطريق حتى الموت مقيداً ومسلماً إلى السجون رجالا ونساء . كما يشهد أيضاً رئيس الكهنة ، وجميع المشيخة الذين إذا أخذت منهم رسائل للإخوة إلى دمشق ، ذهبت لآتى بالذين هناك إلى أورشليم مقيدين لكى يعاقبوا » (١) :

كيف دخل بولس المسيحية أو النصرانية ؟

١ — لقد انتقل من حاله التى كان عليها فى عدوانه للمسيحية فجأة إلى المسيحية من غير مقدمات ولا تمهيدات مهدت إلى ذلك ، اللهم ما حكاه عن نفسه فى سفر الأعمال فى الإصحاح التاسع بأن ذلك جاء نتيجة ما شاهده من نور خلال رحلته إلى دمشق ، وبعد هذه المشاهدة أخذ على عاتقه أن يبشر بيسوع المسيح ابن الله الحى الذى بعثه الله ليكون فداء للبشر وكفارة عن ذنوبهم وخطاياهم منذ زلة آدم أبى البشر . وهذه التعاليم غريبة عن المسيحية الأصيلة تبناها بولس فى دعواه للمسيحية .

انظر ما ورد فى الإصحاح التاسع من سفر الأعمال .

وفى ذهابه حدث أنه اقترب إلى دمشق فبغتة أبرق حوله نور من السماء فسقط على الأرض وسمع صوتاً قائلا له : شاول شاول لماذا تضطهدنى ؟ فقال : من أنت ياسيد ؟ فقال الرب : أنا يسوع الذى أنت تضطهده ! صعب عليك أن ترفس مناخس . فقال وهو مرتعدومتحيريارب ماذاتريد أن أفعل ؟ فقال لهالرب : قم وادخل المدينة فيقال لك ماذا ينبغى أن تفعل ... ثم ورد الآتى :

---

(١) المرجع السابق إصحاح ٢٢ عدد ٣ ، ٤ ، ٥ .

وللوقت جعل يكرز فى المجامع بالمسيح أن هذا هو ابن الله (١) .

كما ورد فى الإصحاح السادس من رسالة بولس إلى أهل رومية عدد ٥ ، ٦ .

« لأنه إن كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته نصير أيضاً بقيامته عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صلب معه ليبطل جسد الخطية كى لا تعود تستعبد أيضاً للخطية (٢) .

٢ — ومن الطبيعى بعد دخول بولس (الذى كان يسمى شاول) فى المسيحية أن يحاول الاتصال بحوارى المسيح وتلاميذه ، ولكنهم خافوا منه ولم يصدقوا إيمانه ولكن شهد له برنابا تلميذ المسيح طبقاً لما جاء فى الإصحاح التاسع فاطمأنوا إليه طبقاً للآتى : (٣) .

« ولما جاء شاول إلى أورشليم حاول أن يلتصق بالتلاميذ وكان الجميع يخافونه غير مصدقين أنه تلميذ . فأخذه برنابا وأحضره إلى الرسل وحدثهم كيف أبصر الرب فى الطريق وأنه كلمه ، وكيف جاهر فى دمشق باسم يسوع » ومن ذلك الوقت صار بولس القوة الفعالة والحركة الدائبة فى الدعاية للمسيحية بصحبة برنابا فى رحلاته الكثيرة حتى اختلفا فافترق كل منهما عن الآخر .

على من تلقى بولس مبادىء المسيحية :

١ — لم يبين سفر الأعمال على من تلقى بولس مبادىء المسيحية التى أخذ يبشر بها والتى دونها فى رسائله الأربع عشرة ، والتى يضيف إليها بعض الكتاب المسيحيين سفر الأعمال وينسبه إليه لا إلى لوقا . ومع أن رسائل بولس هى الرسائل التعليمية بما اشتملت عليه من مبادىء فى العقيدة وفى

---

(١) المرجع السابق إصحاح ٩ عدد ٣ وما بعده ثم عدد ٢٠ .
(٢) رسالة بولس إلى أهل رومية إصحاح ٦ عدد ٥ ، ٦ .
(٣) سفر أعمال الرسل إصحاح ٩ عدد ٢٦ وما بعده .

الشعائر ، فإن الكتب المسيحية لم تبين أيضاً على من تلقى بولس تلك المبادىء المسيحية التي تضمنتها رسائله .

٢ — ويبدو من واقع الحال لدى المسيحيين أنهم يعتقدون أن بولس لم يكن فى حاجة إلى تلقى تلك المبادئ ، لأنه انتقل من مرتبة الكافر المناوىء للمسيحية إلى مرتبة الرسل المبشرين بها فصار ملهماً ينطق بالوحى فى اعتقادهم ، لذلك لم يكن فى حاجة إلى التعليم والدراسة ، لأن الوحى كفاه مؤونة الدرس والتحصيل .

وقد ذكر بولس عن نفسه ذلك فى رسالته إلى أهل غلاطية الإصحاح الأول :

« وأعرفكم أيها الإخوة الإنجيل الذى بشرت به أنه ليس بحسب إنسان لأنى لم أقبله من عند إنسان ولا علمته ، بل بإعلان يسوع المسيح » (١) .

وبدعوى بولس هذه التى يزعم فيها أن هذه التعاليم تلقاها مباشرة من السيد المسيح صادر حق التلاميذ والحواريين فى أن يناضلوه فيما ينشره من تعاليم ، ولو كانت مخالفة للتعاليم التى تلقوها مباشرة من المسيح وقت وجوده معهم وقبل ذهابه عنهم .

٣ — ولقد استطاع بولس بنشاطه وذكائه وحيلته البارعة ، وقوة تأثيره فى نفوس الجماهير ، وسيطرته على مشاعرهم ، أن يجعل نفسه محور الدعاة للمسيحية ، وأن يفرض ما ارتآه على المسيحيين فيعتنقوه ديناً ويتخذوا قوله حجة واهمين أنه وحى أرسل به ورسالة قام بتبليغها ، فخدع التلاميذ المخلصين للمسيح وحملهم على نسيان ماضيه ، وأضعف ذواتهم بجانب شخصيته القوية ، التى كان تأثيرها شديداً على الجماهير ، مع أن دعواه مرفوضة بحكم المنطق والعقل ، إذ كيف يمكن التصديق بنزول المسيح من

---

(١) رسالة بولس إلى أهل غلاطية عدد ١١ ، ١٢ .

السماء على حد اعتقادهم وظهوره إلى هذا اليهودى الذى كان عدواً له ولتلاميذه فيجعله رسولا ومؤتمناً على تعاليمه بعد ذهابه من الأرض بأعوام، مع أن بطرس كان حياً ويكرز فى اليهودية، وهو الوصى عنه بنص الإنجيل ، فنفث تعاليمه المنحرفة على العامة دون أن يستطيع التلاميذ رد قوله ، وحتى لقد صارت المسيحية الحاضرة مطبوعة بطابعه منسوبة إليه، وإن كان قد اشتق كلمة المسيحية من المسيح وأسبغها على النصرانية التى دونها فى تعاليمه ودعا الناس إليها .

٤ — لما رأى بولس خضوع العامة من المسيحيين له ، وتمكن حبه فيهم انتهز تلك الفرصة ومكر بأمة المسيح وتعاليم المسيح ، فأشار فى تعاليمه بإبطال شريعة التوراة ، وأدخل فى عقيدة المسيحية الخرافات وعقائد الكفر فدس لهم التثليث ، وحلل لهم لحم الخنزير ، وأباح كافة المحرمات ، وأبطل الهيكل والسبت والختان .

ولهذا قامت ضده طوائف المسيحيين فى آسيا ، ورفضت تعاليمه وإنجيله ، وواضح كل ذلك فى رسالته الثانية إلى تيموثاوس إذ يقول : أنت تعلم هذا أن جميع الذين فى آسيا ارتدوا عنى (١) .

٥ — ولما يئس من قبول الشرقيين فى عصره لتعاليمه الغريبة ، التجأ إلى الشعوب الأوربية ، وصار يبث بينهم تعاليمه شيئاً فشيئاً ، حتى تمكن منهم ، فأباح لهم كافة المحرمات ، ورفع عنهم جميع التكاليف ، فوافق مذهبه مشارب الوثنيين فى أوروبا ، فكثر تابعوه ومقلدوه فى حياته وبعد مماته ، وخالفوا فى عقائدهم المسيحيين الحقيقيين أتباع المسيح ، مما أدى إلى وقوع المنازعات والخلافات، ثم الاضطرابات بينهم ، فأريقت دماء الألوف مما لا يعلم عددها إلا الله سبحانه وتعالى .

انظر رسالة بولس إلى أهالى رومية ، عن إبطال الناموس وهو التوراة : (إذا نحسب أن الإنسان يتبرر بالإيمان بدون أعمال الناموس) (٢) .

---

(١) رسالة بولس الثانية إلى تيموثاوس إصحاح ١ عدد ١٥ .
(٢) رسالة بولس إلى أهل رومية إصحاح ٣ عدد ٢٨ .

وأما الآن فقد تحررنا من الناموس إذ مات الذى كنا ممسكين فيه حتى نعبد بجدة الروح لا بعتق الحرف(١) .

مع أن المسيح حسب تعاليمه ما جاء لينقض الناموس بل ليكمل .

٦ — ولقد كانت الشعوب الأوربية تحت سيطرة الإمبراطورية الرومانية ، حيث كانوا أرقاء فى غالبيتهم يعيشون فى ألم الذل وعذاب العمل ، وقد وجدوا فى القضية التى انتحلها لهم بولس الرسول من أن الله أرسل ابنه الحبيب ليتألم ويتعذب على الأرض كفارة عن ذنوب الخاطئين عِزاء لآلامهم وأحزانهم ، وأن فى اقتراب ملكوت السماء وقرب قدوم المسيح لإنقاذهم أملا فى التحرر من ربقة الاستعباد الذى هم فيه .

٧ — ولكى يضمن بولس عدم اعتراض السلطات الرومانية على دعوته لم يفته أن يوصى العبيد بخدمة أسيادهم بأمانة وإخلاص مهما قسوا عليهم وعذبوهم وأعنتوهم ، حتى يمكن القول أنه مبدع نظرية السلطان الإلهى فهو يقول فى رسالته إلى أهل أفسس :(٢) « أيها العبيد . أطيعوا سادتكم حسب الجسد بخوف ورعدة فى بساطة قلوبكم كما للمسيح » ويقول فى رسالته الأولى إلى تيموثاوس « جميع الذين هم عبيد تحت نير فليحسبوا سادتهم مستحقين كل إكرام لئلا يفترى على اسم الله وتعليمه . والذين لهم سادة مؤمنون لا يستهينوا بهم ، لأنهم إخوة بل يخدموهم أكثر لأن الذين يشاركون فى الفائدة هم مؤمنون ومحبوبون » كما يقول فى رسالته إلى تيطس « والعبيد أن يخضعوا لسادتهم ويرضوهم فى كل شىء غير مناقضين ، غير مختلسين ، بل مقدمين كل أمانة صالحة»(٣) .

---

(١) المرجع السابق إصحاح ٧ عدد ٦ .

(٢) رسالة بولس إلى أهل أفسس . إصحاح٦عدد ٥ ورسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس إصحاح ٦ عدد ١ وما بعده .

(٣) رسالة بولس إلى تيطس إصحاح ٢ عدد ٩ وما بعده .

ولذلك فقد تركته السلطات الرومانية يبشر بدعوته التى لا حرج منها ولا خطر ، ما دامت تقضى بمضاعفة العبيد لجهودهم فى خدمة أسيادهم وخضوع الرعية لحكامهم .

٨ — إن الأفكار التى بشر بها بولس لم تكن غريبة عن دنيا الرومان وقتئذ ، فقد كانت عبادة الإله ميترا من الديانات المنتشرة ، والمسيح الإله هو صورة طبق الأصل من خصائص الإله ميترا ، وهذا ما جاء تفصيلا فى المقارنة بين المسيحية والأديان الوثنية قبل ذلك .

ولما تولى قسطنطين حكم الدولة الرومانية وشاء أن يدخل فى المسيحية ورأى الخلافات فى العقيدة بين طوائف المسيحية خصوصاً بين الموحدين لله من أنصار آريوس ، وبين أنصار عقيدة التثليث ، كذلك الخلافات فى الأناجيل المنسوبة للمسيح ، لذلك دعا إلى عقد مجمع نيقية فى أوائل القرن الرابع الميلادى سنة ٣٢٥ ذلك المجمع الذى انتهى إلى اختيار أربعة من الأناجيل التى تؤيد العقيدة التى أقرها ذلك المجمع فى ألوهية المسيح طبقاً لآراء بولس . وأمر بإعدام باقى نسخ الأناجيل التى تعارض عقيدة بولس فى المسيح وتشهد بالوحدانية لله وللرسالة والنبوة فقط للمسيح .

٩ — ولقد نعى القديس برنابا فى مقدمة إنجيله التى عثر عليها فى أواخر القرن (الثامن عشر) فى بيئة مسيحية خالصة نعى على « عديمى التقوى والإيمان الذين قاموا بدعوى التبشير بتعاليم المسيح ببث تعاليم أخرى شديدة الكفر ، داعين المسيح ابن الله ورافضين الختان الذى أمر به الله دائماً مجوزين كل لحم نجس ، الذين ضل فى عدادهم أيضاً بولس »(١) .

١٠ — نعى بطرس رئيس الحواريين فى آخر رسالته الثانية على بولس بأنه حرر برسالته أشياء عسرة الفهم ، وتحرفت بواسطة أناس غير ثابتين ، كما حرفوا باقى الكتب طبقاً لما هو مذكور فى رسالة بطرس الثانية(٢) .

---

(١) إنجيل برنابا ترجمة الدكتور خليل سعادة .
(٢) رسالة بطرس الثانية عدد ١٥ ، ١٦ ، وما بعده . الإصحاح الثالث .

« كما كتب إليكم أخونا الحبيب بولس أيضاً بحسب الكلمة المعطاة له كما فى الرسائل كلها أيضاً متكلماً فيها عن هذه الأمور التى فيها أشياء عسرة الفهم يحرفها غير العلماء وغير الثابتين كباقى الكتب أيضاً لهلاك أنفسهم » .

ومعنى ذلك أن بولس أدخل فى تعاليم المسيح ماليس منها فملأها بالخرافات التى لا تفيد إلا معنى الشرك ، ويقول صاحب كتاب الفارق بين المخلوق والخالق ، ناعيا على بولس ما اقترفه فى حق المسيحية مصداقا لقول السيد المسيح :

« ويقوم أنبياء كذبة ويضلون كثيرين » .

مما يقتضى الحكم بدون تردد بأن بولس هذا أحد هؤلاء الأنبياء الكذبة ، إن تلونه فى الأقوال وتردده فى الأعمال كما هو واضح فى رسائله دليل واضح على أنه لم يرد إلا غش أتباع المسيح المخلصين ،إذ أخرجهم من سلك الكتابيين إلى عقيدة باطلة فى الألوهية طبقاً للآتى : —

(أ) أخذ من عقيدة المجوسية فى تعاليمه فترى النصارى يشبهونهم فى السجود لمطلع الشمس .

(ب) وأخذ جزءاً من عقيدة المشركين وعبدة الأصنام ، لأنهم يسجدون للخمر والخميرة ، والصليب .

(ج) وأخذ الجزء الثالث من عقيدة البراهمة الهنود فإنهم يزعمون مثلهم أن الإله ثلاثة أقانيم(١) .

١١ — والحق أبلج ولو تكاثفت على حجبه دياجير الظلم والظلمات لذلك فإنه وجد فى العصور المسيحية من كانوا يثيرون مناقشات قوية حول أقوال بولس منكرين لها مبطلين إياها. ومن هؤلاء الناس القس عبد الأحد داوود ، فتراه يقول الآتى :—

---

(١) الفارق بين المخلوق والخالق للأستاذ محمد افندى باجى جى زادة .

« إن بولس يبجل ويعظم رجلا اسمه عيسى أميت ومات ثم أحيي (على زعمه بعد ذلك) وإن خمس عشرة رسالة من كتب العهد الجديد تحمل اسم الرسول المشار إليه ، فلا محل للحيرة إذا قلت إن المؤسس الحقيقى للمسيحية الحاضرة هو بولس ، فإن شاول الشاب الطرسوسى من سبط بنيامين ومن مذهب الفريسيين ، وتلميذ أحد علماء الدهر عضو مجلس صافهدرين المدعو عمائيل . . الذى كان يجتهد فى محو اسم عيسى وأتباعه من الأرض والذى رأى أخيراً عدوه الناصرى فى السماء لامعا ، داخل الأنوار وقت الظهر أمام دمشق ، اهتدى وتسمى باسم بولس ، وهو الذى وضع أساس العيسوية (الحالية) (١) .

ويقول الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة أن لبولس شأنا كبيرا فى المسيحية ، فهى تنسب إليه أكثر مما تنسب لأحد سواه ، فرسائله هى التى شرحتها ، وترحاله وتطوافه فى الأقاليم التى كانت خاضعة للدولة الرومانية شرقا وغربا للدعوة إليها .

وقد تأثر المسيحيون خطاه ، وتعرفوا أخباره وأقواله ما دونه منها فى رسائله ، وما ألقاه فى الجموع وتناقلوه وإن لم يدونوه ، وقد احتذوه فى أعمالهم وسلكوا مسالكه واعتبروه القدوة الأولى ، فهل كانت منزلته فى المسيحية الأولى كمنزلته فى المسيحية الحاضرة حتى يصلح أن يكون بولس هذا حلقة الاتصال بينهما(٢) (لنترك الإجابة على ذلك إلى كل عاقل لبيب) .

---

(١) الإنجيل والصليب للأستاذ عبد الأحد داوود .
(٢) محاضرات فى النصرانية للأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة .

تاريخ بولس ومبادئه من واقع رسائله المعتبرة لدى الكنائس

١ — يقول بولس عن نفسه فى رسالة أعمال الرسل الآتى .. وذلك فى إصحاح ٢٣ عدد ٦ وفى رسالة بولس إلى غلاطية الاصحاح الأول عدد ١٣ ـ ١٤ .

« أنا فريسى ابن فريسى على رجاء قيامة الأموات » فإنكم سمعتم بسيرتى قبلا فى الديانة اليهودية أنى كنت أضطهد كنيسة الله بإفراط وأتلفها ، وكنت أتقدم فى الديانة اليهودية على كثيرين من أترابى فى جنسى ، إذ كنت أوفر غيرة فى تقليدات آبائى » .

٢ — ويقول لوقا عنه فى أعمال الرسل إصحاح ٧ عدد ٦٠ ، إصحاح ٨ عدد ٣ ، إصحاح ٩ عدد ١ ، ٢ : « وكان شاول راضياً بقتله والمقتول من المسيحيين ،وكان يسطو على الكنيسة ، ويدخل البيوت ، ويجر رجالا ونساء ويسلمهم إلى السجن ، ولم يزل ينفث تهدداً وقتلا على تلاميذ الرب ، فتقدم إلى رئيس الكهنة وطلب منه رسائل إلى دمشق ، إلى الجماعات ، حتى إذا وجد أناساً فى الطريق رجالا ونساء يسوقهم موثقين إلى أورشليم » .

٣ — وأورد لوقا قصة دخول شاول هذا المسيحية فى إصحاح ٩ عدد ٣ إلى ٢٠ من أعمال الرسل :

« وعندما كان بولس قريباً من دمشق « فبغتة أبرق حوله نور من السماء ، فسقط على الأرض وسمع صوتاً قائلا : شاول شاول ، لماذا تضطهدنى ؟ فقال : من أنت يا سيد ؟ فقال الربِ : أنا يسوع الذى تضطهده . فقال وهو مرتعد ومتحير : يارب ماذا تريد أن أفعل ؟ فقال له : قم وكرز بالمسيحية». ويقول لوقا فى ختام هذه القصة جملة ذات بال غيرت وجه التاريخ(١) هى « وللوقت جعل يكرز فى المجامع بالمسيح ، إن هذا هو ابن الله » .

---

(١) مقارنة الأديان — المسيحية — للدكتور أحمد شلبى .

ولم تكن هذه الفكرة عرفت من قبل ، فأصبحت نقطة التحول فى الدراسات المسيحية .

وقد حدث هذا التطور لشاول أو حدث فى تفكيره وهو فى الطريق من أورشليم إلى دمشق،وكان ذلك حوالى سنة ٣٨ ميلادية ، وبذلك دخل بولس أو شاول المسيحية وأصبح معلماً لها(١) .

كيف تعلم شاول المسيحية ومن هم أساتذته وقتئذ :

إن شاول قد أعد لهذا السؤال إجابة شبيهة بقضية دخوله المسيحية عرضها حتى لا تناقش فقال : « وأعرفكم أيها الإخوة : الإنجيل الذى بشرت به أنه ليس بحسب إنسان لأنى لم أقبله من عند إنسان ولا علمته ، بل بإعلان يسوع المسيح » .

وواضح كل ذلك فى رسالة غلاطية إصحاح ١ عدد ١١ ، وعدد ١٢ .

وهكذا أخذ شاول الذى أصبح يدعى بولس بعد دخوله المسيحية الزمام فى يده ، فهو لم ير المسيح قط ، ولا سمعه يتكلم ، ولكنه قال بصلة مباشرة بينه وبين المسيح ، صلة أدخلته المسيحية وسكبت فى نفسه تعاليمها ، بهذه الدعوى لم يصر لأحد حق فى أن يناضله فيما ينشره من تعاليم ، ما دام يقول أن هذه التعاليم تلقاها مباشرة من السيد المسيح ، فلم يقيد نفسه بما تلقاه سواه من عيسى ، بل راح يقول فى صراحة أنه الوحيد الذى اؤتمن على المسيحية وعلى إنجيل مجد الله المبارك . وعلى هذا لم يكن لبولس أساتذة تلقى عنهم المسيحية(٢) .

---

(١) مقارنة الأديان — المسيحية — للدكتور أحمد شلبى .

(٢) رسالة بولس الرسول إلى تيطس ص ١ عدد ٣ ورسالة بولس الرسول إلى تيموثاوس الأولى ص ١ عدد ١١ .

موقف زملاء بولس منه وكذا تلاميذه وأنصاره :

١ — لقد تشكك بعض حواري السيد المسيح فى بولس وخصوصا أنه كان أكبر أعدائهم، ولكن يتضح من الاطلاع على رسالة أعمال الرسل ، أن الحوارى برنابا دافع عنه وأحسن تقديمه إلى هؤلاء(١) ، ثم حدث أن انفض أكثر أنصار بولس عنه ولم يبق معه سوى تيموثاوس والطبيب لوقا . أما أنصاره الباقون فقد تركوه وقد عددهم فى رسالته إلى تيموثاوس الثانية(٢) إذ يقول لتلميذه المذكور « أنت تعلم أن جميع الذين فى آسيا ارتدوا عنى » .

ويقول فى نفس الرسالة إلى تلميذه سالف الذكر « بادر أن تجىء إلى سريعا ، لأن ديماس قد تركنى ، إذ أحب العالم الحاضر وذهب إلى تسالونيكى ، وكريسكيس إلى غلاطية ، وتيطس إلى دلماطية ، لوقا وحده معى . اسكندر النحاس أظهر لى شرورا كثيرة ليجازه الرب حسب أعماله فاحتفظ منه أنت أيضا ، لأنه قاوم أقوالنا جدا فى احتجاجى الأول لم يحضر أحد معى بل الجميع تركونى »(٣) .

٢ — بل إن برنابا الذى أيد بولس ودافع عنه وقدمه لأنصار المسيح ، ترك بولس بعد أن ظهرت اتجاهاته ، وفى ذلك يقول بولس فى رسالة غلاطية « حتى أن برنابا أيضا انقاد إلى ريائهم » أى رياء الآخرين »(٤)

٣ — ولقد نعى يوحنا فى رسالة يوحنا الأولى على معارضيه وهى نفس أفكار بولس إذ يقول :

« وكما سمعتم أن ضد المسيح يأتى ، قد صار أضداد للمسيح كثيرون ، منا خرجوا لكنهم لم يكونوا منا ، لأنهم لو كانوا منا لبقوا معنا . . . من هو الكذاب إلا الذى ينكر أن يسوع هو المسيح ، هذا هو ضد المسيح الذى ينكر الآب

---

(١) أعمال الرسل إصحاح ٩ عدد ٢٦ ، ٢٧ .
(٢) رسالة بولس الرسول إلى تيموثاوس الثانية إصحاح ١ عدد ١٥ .
(٣) المرجع السابق إصحاح ٤ من عدد ٩ إلى عدد ١٦ .
(٤) رسالة بولس إلى أهل غلاطية إصحاح ٢ عدد ١٣ .

والابن ، كل من ينكر الابن ليس له الآب أيضا ، ومن يعترف بالابن فله الآب أيضا ، كتبت إليكم هذا عن الذين يضلونكم » فهو هنا ينعى على من ينكرون الابن ولا يعترفون بألوهيته(١) .

أما موقف أنصار المسيح وأولئك الذين نعى عليهم بولس أنهم ينكرون الابن ولا يعترفون بألوهيته . فمن المقطوع به أن هؤلاء كتبوا وتكلموا وناضلوا وقاوم البعض أقوال بولس مثل اسكندر النحاس وبرنابا الذى يقول عنه إنه انقاد إلى رياء الآخرين ، وكان ما كتبوه ودونوه دفاعا عن آرائهم التى آمنوا بها فى التوحيد ، وهؤلاء منهم من كان من الحواريين الذين رأوا المسيح وصاحبوه ولكن ما كتبوه لا يوجد والأمر لا يعدو واحدا من احتمالين اثنين(٢) .

أولهما : أن ما كتبه هؤلاء إما أن يكون قد ضاع ودمرته يد الطغيان والغوغاء فى العصور المظلمة كما دمرت إنجيل عيسى نفسه .

ثانيهما : أن بعض ماكتبه هؤلاء ربما استطاع أن ينجو من التدمير وأخفاه ذووه ، وتوارثه الأبناء والأحفاد حتى انعقاد مجمع نيقية الذى كان من صلاحياته اختيار كتاب مقدس للمسيحيين ، فقدمه هؤلاء الأبناء والأحفاد للمجتمعين ، ولكن القائلين بالتوحيد وهم الأغلبية الساحقة بهذا المجمع غلبوا على أمرهم ، وانعقد المجمع بدونهم فى أقلية تقول بألوهية المسيح ، واتخذت قرارا بذلك ، وهؤلاء الأقلية هم أنفسهم الذين اختاروا من بين الأناجيل والرسائل الموجودة والمعروضة على المؤتمر مالا يعارض هذا القرار ، وقضوا على سواها بالفناء ، ولم يظهر من الثروة التى قضى عليها بالدمار إلا إنجيل برنابا الذى اكتشف أمره فى أوربا فى القرن الثامن عشر فى بيئة مسيحية خالصة ،ويتبين من الاطلاع عليه أن برنابا يذكر فيه أنهألف

---

(١) رسالة يوحنا الأولى إصحاح ٢ عدد ١٨ وما بعده .

(٢) مقارنة الأديان — المسيحية — للدكتور أحمد شلبى .

هذا الإنجيل ليرد به على الضلالات التى يذيعها بعض الناس ، ومنهم بولس ، ضد السيد المسيح وضد تعاليمه ، مما يترجح معه القول بصحة نسبة إنجيل برنابا إلى هذا الحوارى الجليل ، والذى يقول عنه بولس فى رسالته إلى أهل غلاطية « حتى أن برنابا أيضا انقاد إلى رياء الآخرين »(١) .

ومارياء الآخرين فى نظر بولس إلا الدعوة وكتابة تعاليم تفند تعاليم بولس .

ما أحدثه بولس فى تشريع المسيحية :

أولا : لقد كتب بولس عدد ١٤ رسالة وهى وحدها تمثل فى حجمها ٥/٦ الرسائل جميعاً ، حتى ليمكن القول دون تردد أن رسائل بولس هى وحدها مصدر التشريع فى المسيحية ، وأن التشريعات التى وردت فى الرسائل الأخرى كانت تكرارا وصدى لآراء بولس وتشريعاته .

ثانياً : لم يكتف بولس بما وضعه من مبادئ فى المسيحية وشعائر لها ، بل شرع قوانين للمسحيين يتبعونها فى حياتهم العامة كالآتى :

١ — فهو الذى أوصى بما نراه اليوم فى الكنائس من الأغانى والمزامير والتراتيل ، ويتبين ذلك من الاطلاع على رسالته إلى أهل أفسس (٢) .

٢ — قرر عدم وجوب الختان كما هو موضح فى رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس إصحاح ٧ « ليس الختان شيئاً ، وليست الغرلة شيئاً ، بل حفظ وصايا الله » (٣) بل طالما صرح فى رسائله بقوله « ما هو نفع الختان » كما هو مذكور فى رسالته إلى أهل رومية (٤)

---

(١) رسالة بولس إلى أهل غلاطية إصحاح ٢ عدد ١٣ .
(٢) رسالة بولس إلى أهل أفسس إصحاح ٥ عدد ١٩ .
(٣) رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس إصحاح ٧ عدد ١٩ .
(٤) رسالة بولس إلى أهل رومية إصحاح ٣ عدد ١ .

٣ — أجاز الزواج للأساقفة ، وظاهر كل ذلك فى رسالة تيموثاوس الأولى، إذ يقول « فيجب أن يكون الأسقف بلالوم بعل امرأة واحدة، وليكن الشمامسة كل بعل امرأة واحدة » (١) .

٤ — تكلم فى رسالة كورنثوس الأولى عن العلاقة بين الزوج والزوجة وعن واجب الزوجة فيقول « أريد أن تعلموا أن رأس كل رجل هو المسيح ، وأما رأس المرأة فهو الرجل ، ورأس المسيح هو الله ، الرجل لا ينبغى أن يغطى رأسه لكونه صورة الله ومجده ، وأما المرأة فهى مجد الرجل ، لأن الرجل ليس من المرأة بل المرأة من الرجل ولأن الرجل لم يخلق من أجل المرأة بل المرأة من أجل الرجل » (٢) .

وفى رسالة أفسس يقول « أيها النساء اخضعن لرجالكن كما للرب ، لأن الرجل هو رأس المرأة كما أن المسيح أيضاً هو رأس الكنيسة ، أيها الرجال أحبوا نساءكم كما أحب المسيح أيضاً الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها » (٣) .

وفى رسالة كورنثوس الأولى يقول :

لتصمت نساؤكم فى الكنائس ، لأنه ليس مأذونا لهن أن يتكلمن بل يخضعن كما يقول الناموس أيضاً ،ولكن إن كن يردن أن يتعلمن شيئاً فليسألن رجالهن فى البيت ، لأنه قبيح بالنساء أن تتكلم فى كنيسة (٤) .

٥ — وفى رسالة إفسوس ينهى بولس عن السرقة والزنا والكذب والسب والسفاهة والطمع والهزل وعبادة الأوثان (٥) .

---

(١) رسالة بولس إلى تيموثاوس الأولى إصحاح ٣ عدد ٢ ، عدد ١٢ .
(٢) رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس إصحاح ١١ من عدد ٣ إلى عدد ٩ .
(٣) رسالة بولس إلى أهل أفسس إصحاح ٥ عدد ٢٢ ، ٢٥ .
(٤) رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس إصحاح ١٤ عدد ٣٤ ، ٣٥ .
(٥) رسالة بولس إلى أهل أفسس الإصحاح ٤ من عدد ٣٥ إلى ٣٩ والإصحاح ٥ عدد ٣ ، ٤ ، ٥ .

ما احدثه بولس فى المسيحية :

يرى كثير من الباحثين أن عداوة بولس للمسيحية هى التى دفعته للتظاهر بالدخول فيها ، ليستمر فى حربها بسلاح جديد ، سلاح التهديم من الداخل ، بإفساد معالمها ومسخها ، فدخلها فى الظاهر ليأخذ من ذلك سلاحاً يطعنها به ، فلقد أحدث بولس فى المسيحية أحداثاً خطيرة ، بحيث يمكن القول بأنه طمس الديانة المسيحية الحقيقية التى جاء بها عيسى عليه السلام ، وخلق ديناً جديداً سلب له كلمة المسيحية فوضعها عليه وذلك طبقاً للآتى :

١ — نقلها من ديانة إلى بنى إسرائيل إلى ديانة عالمية .

٢ — نقلها من التوحيد إلى التثليث .

٣ — قال بألوهية المسيح وألوهية الروح القدس .

٤ — اخترع قصة الفداء للتكفير عن خطيئة البشر .

٥ — ألغى المعالم الهامة التى نادى بها عيسى نفسه كالختان وعدم أكل الخنزير .

٦ — أهمل يوم السبت وهو اليوم المقدس عند اليهود ، وجعل عطلة الأسبوع يوم الأحد ، وبمعنى آخر أن المسيحية الحالية لا تمثل المسيحية الحقيقية بحال ، بل إن هذه الديانة هى وضع بولس . وليست الوحى الذى نزل من الله إلى المسيح عيسى أو يسوع بن مريم .

والتشريع فى المسيحية لم يتوقف عند حد الرسل الذين كان من جملتهم بولس على ما سبق الإشارة إليه ، بل انتقل إلى الرؤساء الروحانيين وظلوا يباشرونه حتى أصبحت المسيحية ديناً رسمياً للدولة الرومانية فانتقل حق التشريع إلى المجامع المسكونية أو الملية أو الإقليمية .

وقد بلغ عدد المجامع المسكونية أو المجامع العامة عشرين مجمعاً منذ القرون الأولى للمسيحية حتى سنة ١٨٦٩ ، وكان أخطر تلك المجامع مجمع

نيقية المنعقد سنة ٣٢٥ ميلادية والذى انتهى بتقرير التثليث وألوهية المسيح ، والمجمع القسطنطيني الأول سنة ٣٨١ ميلادية والذى انتهى إلى تقرير ألوهية روح القدس استكمالا لعقيدة التثليث ، ولذلك يقول ابن البطريق المؤرخ المسيحى فى ذلك :

« زادوا فى الأمانة التى وضعها (٣١٨) أسقفاً الذين اجتمعوا فى نيقية الإيمان بروح القدس الرب المحيي المنبثق من الآب الذى هو مع الآب والابن مسجود له وممجد ، وثبتوا أن الآب والابن وروح القدس ثلاثة أقانيم وثلاثة وجوه ، وثلاث خواص وحدية فى تثليث وتثليث فى وحدية ، كيان واحد فى ثلاثة أقانيم ، إله واحد ، جوهر واحد ، وطبيعة واحدة .

ومن المجامع الخطيرة أيضاً مجمع روما سنة ١٨٦٩ وهو المجمع رقم ٢٠ ففى هذا المجمع تقررت عصمة البابا فانتقل حق التشريع إليه كرأس للكنيسة ، قياساً على ما ورد عن المسيح عندما قال لتلاميذه « كما أرسلنى الآب ، أرسلكم أنا » انظر إنجيل يوحنا إصحاح ٢٠ عدد ٢١ ، مع أن ذلك لا ينصرف إلا إلى إبلاغ الرسالة الخاصة بالمسيح إلى الأمم إن صح ذلك ، وليس إلى التشريع الذى هو من اختصاص الألوهية فقط وإبلاغ ذلك بمعرفة المسيح ، وهكذا بفعل المجمع رقم ٢٠ انتقل التشريع وسلطان إصدار القرارات المتعلقة بالعقيدة والأحكام إلى بابا الكنيسة فى روما الجالس على كرسى بطرس ، وأصبح حكمه قطعياً ، ومن القرارات الهامة التى اتخذتها كنيسة روماً حديثاً تبرئة اليهودية من دم المسيح (١) .

---

(١) مقارنة الأديان — المسيحية — للدكتور أحمد شلبى .

الفصل الثاني

أقوال كتاب النصرانية في بولس الرسول

ويلز وما ذكره عن بولس وفكرة ألوهية المسيح .

يقول ويلز H. G. Wlles من كبار كتاب المسيحية فى أوروبا عن هذا الاعتقاد :

١ – كان القديس بولس من أعظم من أنشأوا المسيحية الحديثة . وهو لم ير عيسى قط ولا سمعه يبشر الناس ، وكان اسم بولس فى الأصل شاول – وكان فى بادىء الأمر أبرز وأنشط المضطهدين لفئة الحواريين القليلة العدد . (وهم أصحاب وتلاميذ عيسى) ثم اعتنق المسيحية فجأة – وغير اسمه فجعله بولس – وقد أوتى ذلك الرجل قوة عقلية عظيمة ، كما كان شديد الاهتمام بحركات زمانه الدينية ، فتراه على علم عظيم باليهودية والميتراسية ، وديانة ذلك الزمان التى تعتنقها الإسكندرية . فنقل إلى المسيحية كثيراً من أفكارهم ومصطلح تعبيراتهم ، ولم يهتم بتوسيع فكرة عيسى الأصلية وتنميتها وهى فكرة (ملكوت السموات) ولكنه علم الناس أن عيسى لم يكن المسيح الموعود فحسب ، ولا زعيم اليهود الموعود فقط بل ذكر الآتى عنه :

١ – إن المسيح هو ابن الله نزل إلى الأرض ليقدم نفسه قرباناً ويصلب عن خطيئة البشر .

٢ – موته كان تضحية مثل مئات الضحايا القديمة من الآلهة فى أيام الحضارات البدائية من أجل خلاص البشرية .

٣ – وقد استعارت المسيحية أشياء كثيرة من هذه الديانات كالقسيس

الحليق ، وتقديم النذور والهياكل والشموع والتراتيل التى كانت لعقائد متراس والإسكندرية ،بل تبنت أيضاً حتى عباراتها فى عباداتها وأفكارها اللاهوتية .

٤ — وراح القديس بولس يقرب إلى عقول تلاميذه الفكرة الزاهية إلى أن شأن عيسى كشأن أوزوريس ، كان رباً ثم مات ليبعث حياً وليمنح الناس الخلود .

وهكذا وضع بولس فكرة ألوهية المسيح ، وصادفت البذرة أرضاً خصبة فى عقول أولئك الذين لهم معرفة بالفسلفات والاتجاهات التى سبقت المسيحية ، وساعد على نمو هذه الأفكار ، ماصادفه المسيحيون الأول من الاضطهادات المدمرة التى التهمت كثيراً من مراجعهم وقضت على أتباع المسيحية الحقيقيين أو كادت ، وقد استمرت تلك الاضطهادات أكثر من ثلاثة قرون حتى سنة ٣١٣ ميلادية .

٥ — وفى خلال هذه القرون فقدت المسيحية طابعها من كثرة ما تأثرت بالثقافات المختلفة بل بالخرافات المتعددة ، وخرجت إلى الناس بعد هذه المدة وبعد تلك الأجيال ، وفيها تناقض ظاهر فى كل تعاليمها ، وأشد أنواع التناقض هو ما اتصل بالسيد المسيح نفسه :

(أ) فقد كان بعضهم يراه رسولا ككل الرسل .

(ب) ورآه آخرون إلهاً .

٦ — ولما اشتدت الاضطرابات بين الجماعات المسيحية بشأن العقيدة فى المسيح ، جمع قسطنطين إمبراطور الروم البطاركة والأساقفة فيما يسمى بمجمع نيقية سنة ٣٢٥ م ، ليضع حداً لهذه الاختلافات وليقرر حقيقة المسيح ، وكان عدد المجتمعين ٢٠٤٨ ، وفى هذا الاجتماع صاح عالم مصرى اسمه أريوس صيحته التى كان يرددها دائماً : إن الآب وحده الله والابن مخلوق مصنوع ، وقد كان الآب إذ لم يكن الإبن .

٧ — أما كنيسة الإسكندرية فقد كانت عريقة التأثر بالتفكير المصرى القديم وبالفلسفة الإغريقية وبالأفلاطونية الحديثة التى تقول بالتثليث ، فقد قاومت آريوس ، وانضم إلى كنيسة الإسكندرية كنيسة روما ، واختلف المجتمعون وتضاربوا ، ولم يستطيعوا أن يصلوا إلى قرار. فقرر الإمبراطور أن يفصل فى الأمر بالتدابير الشديدة ، بعد أن تبين رأى صديقه الممثل الدينى للغرب كاهن روما ، فأصدر أمره بإخراج الرؤساء الروحانيين الموحدين ، ونفى الكثير منهم ، وقتل آريوس مع بعض من أيدوا رأيه ، واجتمع الأعضاء القائلون بالتثليث وبألوهية المسيح وعددهم ٣١٨ ، فاتخذوا قراراً بذلك .

٨ — وعند كتابة نص القرار اعترض أكثرهم على عبارات المساواة بين الآب والابن ولكنهم خافوا أن ينزل بهم ما نزل بمعارضى التثليث ، فوضعوا إمضاءاتهم على هذه الوثيقة .

وفيما يلى نص هذا القرار :

« نؤمن بالله الواحد الآب ، مالك كل شىء ، وصانع ما يرى وما لا يرى ، وبالابن الواحد يسوع المسيح ابن الله الواحد ، بكر الخلائق كلها ، الذى ولد من أبيه قبل العوالم كلها ، وليس بمصنوع إله حق من إله حق ، من جوهر أبيه الذى بيده أتقنت العوالم ، وخلق كل شىء ، من أجلنا ومن أجل معشر الناس ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من روح القدس وحبل به ، وولد من مريم البتول . . وصلب أيام بيلاطوس ،ودفن ،ثم قام فى اليوم اليوم الثالث وصعد إلى السماء وجلس عن يمين أبيه » .

ويضيف القرار للتخويف والتحذير :

« والجامعة المقدسة الكنيسة الرسولية تحرم كل قائل بوجود زمن لم يكن ابن الله موجوداً فيه ، وأنه لم يوجد قبل أن يولد ، وأنه وجد من لاشىء ، أو من يقول أن الابن وجد من مادة أو جوهر غير جوهر الآب ، وكل من يؤمن أنه خلق ، أو من يقول أنه قابل للتغير » .

وهكذا تدخلت القوة فخلقت هذا القرار الذى اتخذته أقلية المجتمعين ، ولم تكتف القوة بذلك ، بل فرضت هذا القرار فرضاً على الناس ، وحرمت كل ما سواه ، وحرمت على الناس الحديث بما يخالفه ، وصادرت وأفنت كل ما كتب متجهاً غير ذلك الاتجاه ،وتعدت ذلك إلىاضطهاد من يقولون بالتوحيد وعزلهم عن مكان الرياسة ، ومعاقبتهم بالنفى والتشريد عند اللزوم .

وكان هذا العام ٣٢٥ أول تاريخ يتخذ فيه قرار ضد التوحيد ويحكم بألوهية المسيح :

ولكن القائلين بالتوحيد لم يهدءوا على الرغم مما لاقوا من عنت ، فنجدهم كما يروى ذلك ابن البطريق ، يعقدون مجمعاً إقليمياً فى صور وقد حضره بطريق الإسكندرية ، ووجد نفسه الوحيد بين المجتمعين الذى يعتقد ألوهية المسيح ويدافع عنها ، وقد اشتد الخلاف بينه وبين الحاضرين وانتقل الخلاف من القول إلى الفعل ، فاعتدوا عليه بالضرب الشديد على رأسه وكادوا يقتلونه.

من كل ما تقدم يتضح الآتى :

١ — أن بطارقة الإسكندرية كما يقرر الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة (١) كانوا يمثلون فلسفة مدرسة الإسكندرية فى مذهبها الإسكندرانى أكثر من تمثيلهم لمسيحية المسيح .

٢ — وأن القوة كما يقرر الدكتور أحمد شلبى (٢) أيدت كنيسة الإسكندرية وعصفت بأعدائها فضعفوا بمرور الزمن وكثرة التضحيات .

أما الكاتب المسيحى وليم باتون فيقول ما نصه : « ولم يفقه التلاميذ الأولون فى بادىء الأمر أن الحدود اليهودية الضيقة قد زالت ، ولكن عبقرية بولس قد فطنت إلى تضاعيف الرسالة من هذه الناحية ، وعرف أنها لليهودى

---

(١) محاضرات فى النصرانية للشيخ محمد أبو زهرة .

(٢) مقارنة الأديان — المسيحية — للدكتور أحمد شلبى .

والأمي والبربرى واليونانى والذكر والأنثى على السواء دون تفريق أو تمييز . ومن الواضح للذى يقرأ رسائل بولس أن بولس لم يورد دليلا واحداً ولا كلمة واحدة تنسب إلى عيسى عن عالمية المسيحية ، وإنما كان تدليله على هذه العالمية من كلامه هو ومن بنات أفكاره ، شأنه فى ذلك شأن التدليل على عدم ضرورة الختان ، وعلى كثير من التعاليم التى ذكرها فى رسالته إلى أهل رومية .

فبولس هو أول من قال بعالمية المسيحية :

ويورد على ذلك الدكتور أحمد شلبي نقداً وجيهاً هو الآتى :

١ — أن المسيحية الحالية لا تمثل المسيحية الحقيقية بحال ، فهى ليست الوحى الذى نزل من الله على المسيح بل هى من وضع بولس .

٢ — أن المسيحية جاءت أصلا لبنى إسرائيل لتكسر حدة جشعهم وتكالبهم على المال ، لذلك دعت إلى الزهد ، وجاءت لتقضى على روح العداوة والانتقام الذى كان طابع العلاقة بين طوائف اليهود ، من كهنة وفريسيين وآسيين ونذريين وغيرهم ، لذلك دعت المسيحية إلى التسامح .

ولكن بولس نقلها إلى ديانة عالمية بالتبشير بتعاليمه عنها بين الأمم ، وبقيت فى أناجيلها تعاليم الزهد والتسامح فلم يستقم أمرها بين تلك الإمم ، لذلك اضطربت وتعثرت ، لأنه لم يكن من الممكن أن يعيش الزهد ومحاربة المال فى الأحوال الاقتصادية العادية ، كذلك من غير المعقول أن يقدم المعتدى عليه خده الأيسر للمعتدى ، ليصفعه كما صفع خده الأيمن ، ولهذا لا تجد شعوباً مسيحية أو دولا مسيحية تدين بهذه التعاليم ، وإن كانوا لا يزالون يحملون اسم المسيحية (١) .

---

(١) مقارنة الأديان — المسيحية — للدكتور أحمد شلبى .

ويقول جيرالد . ل. بيرى أحد كبار مفكرى الغرب فى كتابه ديانات العالم ، عن المسيحية : (١) .

فى رأى الكنيسة أن المسيح الإله انقلب فأصبح إنساناً وعاش مع الناس كواحد منهم ليعلمهم طريقة مثلى للعيش ، وقتل هذا الإله بمؤامرة دبرها أعداؤه ، ودفن ثم خرج من قبره وصعد للسماء ، وقد احتمل هذه الآلام لينقذ المؤمنين به من الخطيئة ، فالذى يدرس المسيحية يجدها اقتباساً من الوثنية واليهودية ، و الحياة الشرقية والرومانية ، ويجد بها عناصر أجنبية كثيرة بارزة بها كاملة أو محرفة .

١ — فمن الأفكار الفلسفية الإغريقية ،وهى وثنية،التى اقتبستها المسيحية (الكلمة) وهى ترادف «الإله» عند الإغريق لأن الكلمات لاتفنى بالاستعمال كما لا يفنى الإله .

٢ — ومن اليهودية اقتبست المسيحية فكرة الأبوة بين الله والناس أى فكرة أبوة الإله للخلق وفكرة الأخوة بين الناس ، كما اقتبست المثالية التى تكلمت عنها اليهودية وإن لم يتبعها اليهود وهى الحب والرحمة والعدالة .

٣ — ومن الحياة الشرقية اقتبست المسيحية الفنون والرسوم التى ازدانت بها الكنائس ، واستعمال الفسيفساء ، والصور والبخور والأنغام .

٤ — وأخذت المسيحية من الحياة الرومانية النظم التى اتبعتها الكنائس فى توزيع السلطات بين الأقانيم الثلاثة .

ومسيحية المسيح الأصلية أوشكت أن تفنى بعد موته ، وأوشكت أن تدخل عالم النسيان ، لكن جاء شاءول الذى تسمى فيما بعد ببولس وهو يهودى رومانى من الفريسيين إحدى طبقات اليهود العليا ، لم ير عيسى ولا

---

(١) مقارنة الأديان — المسيحية — للدكتور أحمد شلبى .

سمعه يبشر الناس، بل كان من أكبر أعداء المسيحيين فى أول عهده، فأنزل بهم ألواناً من الاضطهاد والقتل والتعذيب ، ولكنه فجأة تحول إلى المسيحية ، وكان صاحب دراية فى السياسة والابتكار حيث عمل الآتى :

١ — أدخل على المسيحية التى كونها على حساب عيسى بعض تعاليم اليهود ، ليجذب له أتباعاً من اليونان ، فبدأ يذيع أن عيسى منقذ ومخلص وسيد استطاع الجنس البشرى بواسطته أن ينال النجاة ، وهذه الاصطلاحات التى قال بها بولس كانت شهيرة عند كثير من الفرق وبخاصة فى فرق ميترا وزيوس فانحاز أتباع هذه الفرق إلى ديانة بولس .

٢ — وليرضى بولس المثقفين اليونان استعار من فلاسفة اليونان وبخاصة الفيلسوف فيلو فكرة اتصال الإله بالأرض عن طريق الكلمة أو ابن الإله أو الروح القدس .

٣ — والأناجيل الأربعة التى تنسب إلى أربعة من الحواريين لكنها فى الحقيقة ليست من إنتاج هؤلاء الحواريين لأنه مما لا شك فيه أن تاريخ حياة المسيح ودعوته كانت قد كتبت بلغته الأرامية ، ولكن هذا الأصل فقد ،ولعل هذه الأناجيل قد أخذت عنه، لكن هذه الأناجيل الأربعة كتبت باليونانية بعد وفاة عيسى بجيل أو جيلين ، وأقدمها هو إنجيل مرقص سنة ٦٥ وآخرها إنجيل يوحنا سنة ١٠٠ م.

٤ — طور بولس فكرة المسيح من الناحية اللاهوتية والناحية الإنسانية وجعلها تتناسب مع فكرة الإنقاذ القديمة ، فقدم آدابا مستحدثة فى طابع قديم مألوف ، وبهذا فصل دعوة عيسى عن اليهودية :

(أ) فلم ينفر بولس من الطقوس الوثنية ، بل على العكس اقتبس من هذه الطقوس ليضمن نشر ديانته دون أن ينفروا منها ، وليبعد ديانته بذلك أيضا عن أن تذوب فى اليهودية .

(ب) جعل عطلة الأسبوع يوم الأحد ، متبعا فى ذلك تقاليد ميترا ، وأهمل يوم السبت وهو اليوم المقدس عند اليهود .

(ج) وهو وإن كان قد اقتبس من اليهودية أعياد رأس السنة وعيد القيامة وعيد الغطاس ، لكنه أطلق عليها أسماء جديدة مقتبسة من الوثنية .

فعيد الربيع أصبح عيداً لخروج عيسى من القبر ، وطقوس السر المقدس أخذت مكان عيد التضحية عند اليهود ، وعيسى أصبح ابن الله حملت به أمه العذراء حملا غير طبيعى .

واحتلت صورة العذراء والمسيح مكانا مقدسا احتلته قديما صورتا حوروس وأوزوريس ، ووضعتا فى كل الكنائس .

٥ — لما لاحظ أباطرة الرومان فى ابتداء القرن الرابع الميلادى اهتزاز كيان الدولة فكروا فى مدى التأييد الضخم الذى يمكن أن يحصلوا عليه من المسيحيين ، ليسندوا به تداعى الدولة الرومانية لذلك :

١ — فإنه فى سنة ٣١٣ ميلادية صدر منشور أو فرمان يعترف بالمسيحية ويساويها بالأديان الأخرى .

٢ — ثم جاء الإمبراطور قسطنطين فأعفى القسس من الضرائب وبنى الكنائس على حساب الدولة ، وترك للكنيسة شئونها القضائية ، وجعل الأحد إجازة رسمية .

٣ — واستمرت الدولة الرومانية فى محاباة المسيحية بعد ذلك ، حتى قضى على الوثنية نهائيا بقانون تيودوس الذى صدر سنة ٤٣٨ ، وبمقتضاه أصبح جميع المواطنين الرومانيين أعضاء الكنيسة ، وانتشرت الديانة الجديدة كذلك بسرعة بين برابرة الجرمان على حدود الإمبراطورية .

ومما جعل الكثير من الناس يتدفق على دخول المسيحية الآتى :

(أ) كثرة الآنية المرصعة بالأحجار الكريمة بالكنيسة .

(ب) ادعاء الكنيسة أن النجاة تتوقف عليها .

(ج) أعلنت الكنيسة أن التعميد يغسل الماضى ويزيل الذنوب الأساسية ، وأن مداومة الاتصال بالكنيسة تمحو ما يجد من سيئات .

٥ — أذاعت الكنيسة معجزات نسبتها إلى القديسين ، لتثبت بذلك حقها اللاهوتى وقوتها السامية الإلهية .

وقد اشتغل الرهبان بجمع المخطوطات ونسخها ، وتقديم نسخ منها إلى المكتبات التى تطلبها ، وبذلك حفظت التراث العلمى اليونانى واللاتينى الذى كان على وشك أن يضيع فى ظلام العصور الوسطى .

ولما كانت الكنيسة قد استعارت من الرومان أوضاع رجال الدين وتوزيع السلطات ، فقد نظمتها طبقا للآتى :

أولا : فى خلال القرون الأولى للمسيحية كانت هناك تنظيمات قليلة فى الكنيسة ، لأن المسيحيين كانوا ينتظرون عودة المسيح ليقود حياتهم ، ومن هنا كانت كل كنيسة لها رئيس مؤقت كان يلاحظ فيه كبر السن ، واسمه مستعار من الإغريقية ، وهو الرجل الشيخ the old man .

ثانيا : فلما لم يعد المسيح وكانت الكنيسة قد عظمت وكثر أتباعها بدأ المسيحيون يعملون نظما أكثر دقة ودواما وهى الآتى :

١ — أصبح للكنيسة رجال منقطعون لها ولا عمل لهم سواها وكل منهم يسمى قسيسا أو رجل دين .

٢ — أطلق على هؤلاء رجال الدين للتمييز بينهم وبين العلمانيين ، وهم غير المنقطعين لخدمة الدين .

٣ — كبير القسس فى كل مدينة أطلق عليه أسقف أو مطران .

٤ — الأساقفة فى المدن الرئيسية أطلق على كل منهم رئيس الأساقفة فى دائرته .

٥ — من بين رؤساء الأساقفة ارتفع خمسة إلى مكان أسمى ، وأصبح لهم نفوذ كبير ، وأخذ كل منهم لقب بطريك أو بطريق ، وهؤلاء هم رؤساء الأساقفة فى المدن التالية : إنطاكية ، وبيت المقدس ، والإسكندرية ، والقسطنطينية ، وروما ، وأربعة من هؤلاء فى الشرق وواحد فقط فى الغرب .

٦ — قبل القرن الحادى عشر كان كل من الأساقفة ورؤساء الأساقفة يطلق عليه لقب pope بابا ، ولكن فى القرن الحادى عشر فى عهد جريجورى السابع اختص بهذا اللقب أساقفة روما .

٧ — وقد استطاع رئيس الأساقفة فى روما أن ينال نفوذا أكبر ، لعدة عوامل ، فروما كانت العاصمة وكان رئيس الأساقفة بها يطمع فى نفوذ يعادل مكانة البلدة التى يشغل منصبه بها . كما كان هناك اعتقاد أن كنيسة روما قد أسسها القديس بطرس بتفويض من عيسى المسيح نفسه ، فضلا عن ذلك فإن روما كان لها أثر واضح فى الدعوة للمسيحية ، وفى سنة ٤٤٥ أصدر الإمبراطور الرومانى قرارا بجعل رئيس أساقفة روما رئيسا عاما للكنائس المسيحية ، ثم تمكن جريجورى رئيس أساقفة روما من الاستيلاء على السلطة السياسية هناك ، وظل السلطان السياسى فى يد البابوات مدة اثنى عشر قرنا فكونت الكنيسة بذلك من نفسها دولة ، ومما ساعد الكنيسة فى ذلك قوتها وغناها .

(أ) فأذاعت الكنيسة أن مكانتها أسمى من مكانة الملوك والأباطرة .

(ب) وأن البابا له السيادة العليا فى القضاء والإدارة .

(جـ) وأنه المشرع والمفسر النهائى للكتاب المقدس .

٥ — وأنه مالك مفتاح الرحمة وباب السماء .

فجبت الكنيسة الضرائب ، وسيطرت على القضاء ، واستعملت حق الحرمان كأكبر عقوبة تنزلها بمخالفيها ، واستصدرت قانونا جديدا عكف على إعداده عدد كبير من القسس ، وأصبح يعاقب بمقتضاه القسس إذا أخطأوا ، كما يعاقب بمقتضاه جميع المذنبين فى حق الكنيسة كالمنشقين والمارقين والفساق والذين يمسون الأشياء المقدسة بدنس .

وأصبحت الكنيسة تمثل الغنى والترف ، وكان غناها من إيراد الممتلكات الواسعة التى كانت تمتلكها ومن جمع الزكاة ، ومن الوصايا التى طالما كان يدونها الناس للكنيسة قبل موتهم لتضمن لهم نعيما فى الحياة الآخرة .

وبالتالى أصبحت الكنيسة مركز نشاط اجتماعى ، فأشرفت على المدارس والمستشفيات ووزعت الصدقات وسيطرت على الجامعات ودور النشر ؛

واجتمع فى الكنيسة جميع شئون الأسرة كالزواج والطلاق وتقييد المواليد ، والوراثة والوصايا ، وأصبح للكنيسة سعاة يجمعون لها الأخبار ويبلغون عنها التعليمات ، وعد رجال الكنيسة أنفسهم ممثلين لله ، فأخذوا حق قيادة أفكار الناس وأعمالهم ، وأعلنت الكنيسة بقوة أنها تسيطر على باب الله وأنها منفذ الرحمة ، وبهذا أبرزت خطر الحرمان الذى هو حاجز بين المحروم وباب السماء .

وجذبت هذه المكانة التى استمتع بها رجال الدين كثيرا من الناس ليدخلوا الكنائس ، ولينصتوا إلى رجالها لينعموا بهذا النفوذ ، وقد استطاع كثير من هؤلاء أن يحققوا أملهم وأن يصيروا من رجال الكنيسة . وتسبب عن ذلك أن أصبح هناك عدد كبير من الجهلة ورجال الأطماع وعبدة الدنيا محسوبين فى عداد رجال الدين(١) .

ولما ازدادت قوة الكنيسة وأهميتها ازدادت طقوسها المقدسة عددا ، وتنوعت هذه الطقوس ، وامتدت لها يد الحبك والزخرفة ، وتدخلت

---

(١) كتاب مقارنة الأديان المسيحية تأليف الدكتور أحمد شلبى .

هذه الطقوس وهذه الأسرار فى كل شىء فى حياة الإنسان وبعد موته ، ثم أنقصت الكنيسة تلك الطقوس إلى سبعة أهمها :

١ - تعميد الأطفال عقب ولادتهم لتمحى عنهم آثار الخطيئة الأصلية ، وليعطى الطفل شيئا من الحرية والقدرة لعمل الخير .

٢ - العشاء الربانى وهو يكون بالماء أو الخمر ومعه الخبز الجاف ، وقد ارتبط هذا القداس بخبر خرافى ، وهو تحول هذا الماء أو الخمر إلى دم عيسى ، وتحول الخبز إلى عظامه . ويجرى هذا القداس مرتبطا بالأنوار والعطور والزهور .

٣ - الاعتراف ، ويتبع الاعتراف الغفران ، وكان الاعتراف يتكرر عدة مرات مدى الحياة ، ولكنه منذ سنة ١٢١٥ أصبح لازماً مرة واحدة على الأقل .

٤ - حضور القسيس عند الموت ليمسح المريض المشرف على الموت بالزيت ، وبخاصة أعضاء الحواس والصلب والأقدام .

٥ - حضور القسيس عند الزواج ليقيم وحدة بين الرجل والمرأة .

ثم الميرون والكهنوت ، وقد سبق لنا الكلام عنهما فى الفصل الثانى من الباب الأول .

أرتست دى يونس :

ويقول أرتست دى يونس الألمانى فى كتابه (الإسلام) إن روايات الصلب والفداء من مخترعات بولس ومن شابهه من المنافقين .

الأستاذ محمد زكى الدين النجار بطهطا :

كان مسيحياً قبل إسلامه الذى جاء بعد بحث طويل وتنقيب ونتيجة دراساته الواسعة فى التوراة والإنجيل ، وبعد اطلاعه على القرآن الكريم ،

يقول فى كتابه : إن من عجيب ما صنعه اليهود أن أثيما منهم اسمه شاول (شالوم) حارب المسيحية فقتل المؤمنين وآذى الحواريين ولما لم يقض على النصرانية بهذا الاضطهاد ، ولم يفلح فى رد المؤمنين عن الحق الذى آمنوا به ، عمد إلى حيلة تمكنه من هدم الدين من أساسه والقضاء عليه ، فتظاهر بأنه من أتباع المسيح وتسمى باسم بولس ، وجعل يضلل الناس فى عقائدهم كما جاء فى سفر الأعمال إصحاح ٩ عدد ٢٠ « وللوقت جعل يكرز (أى يعظ) فى المجامع بالمسيح أن هذا هو ابن الله »(١) .

وزيادة فى إغواء الناس وتضليلهم ادعى أن مايحدث به تلقاه عن المسيح برؤيا ذكرها فى سفر الأعمال ثلاث مرات فى إصحاح ٩ وفى اصحاح ٢٢ وإصحاح ٢٦ وذكرها فى كثير من رسائله مفتخراً بها ، كما قال فى رسالة غلاطية إصحاح ١ عدد ١١ « وأعرفكم أيها الإخوة أن الإنجيل الذى بشرت به أنه ليس بحسب إنسان ، لأنى لم أقبله عن إنسان ولاعلمته ، بل بإعلان يسوع » .

١ — فوصف السيد المسيح عليه السلام بأنه ابن الله أولا .

٢ — ثم نفى عنه كونه إنساناً ثانياً .

٣ — وكلامه يشهد عليه بالكذب لأنه لم يجتمع بالسيد المسيح حتى يتلقى عنه ، بل ولم يجتمع بالحواريين إلا بعد ثلاث سنين ليتعرف بهم ، ومكث خمسة عشر يوماً اتصل فيها ببطرس والحوارى يعقوب فقط ، وبعد أربعة عشر سنة لما ذاعت تعاليمه المغايرة لتعاليم السيد المسيح عليه السلام ، دعوه ليحاجوه ليقضوا على الفتنة فى مهدها(٢) .

٤ — فحضر مع برنابا ، ثم تشاجر مع برنابا(٣) .

---

(١) الإسلام نور الأكوان — المنارات الساطعة فى ظلمات الدنيا الحالكة — لمؤلفه الأستاذ محمد زكى الدين النجار بطهطا .

(٢) ذكر ذلك فى رسالة غلاطية إصحاح ١ وإصحاح ٢ .

(٣) سفر الأعمال إصحاح ١٥ عدد ٣٩ .

٥ — وفى رسالة بولس إلى غلاطية إصحاح ٢ عدد ٢ يقول « إنما صعدت بموجب إعلان وعرضت عليهم الإنجيل الذى أكرز به بين الأمم ، ولكن بالانفراد على المعتبرين » والمعتبرون هم الحواريون تلاميذ المسيح عليه السلام ، ولكن بولس ندد بهم وكذبهم فى عدد ٤ وعدد ٥ قال « الذين لم تذعن لهم بالخضوع ولا ساعة » ثم تابع تهجمه على الحواريين فى عدد ٦ فقال « وأما المعتبرون أنهم شىء ، أى أنهم تلاميذ المسيح ، مهما كانوا لا فرق عندى ، الله لا يأخذ بوجه إنسان » .

٦ — وجهر بمعاداة خليفة السيد المسيح (بطرس) فى إنطاكية لما حصل بينهما من خلاف اجتماع أورشليم ، ففى عدد ١١ قال « ولكن لما أتى بطرس إلى إنطاكية قاومته لأنه كان ملوماً » .

٧ — وفى عددى ١٣ و١٤ من رسالة غلاطية أيضاً رمى بطرس ومن معه من الحواريين بالرياء والزيغ فقال « وراءى معه باقى اليهود أيضاً حتى إن برنابا أيضاً انقاد إلى ريائهم ، لكن لما رأيت أنهم لا يسلكون باستقامة حسب حق الإنجيل قلت لبطرس قدام الجميع : إن كنت وأنت يهودى تعيش أمميا لا يهودياً فلماذا تلزم الأمم أن يتهودوا » .

٨ — ثم عمد بولس إلى تشكيك الناس فى كل ما اعتقدوه من الإيمان بالمسيح عليه السلام واتباع خليفته بطرس المدعو بالعبرية (صفا) .

٩ — تهكم بولس بأتباع (إيلوس) تلميذ يوحنا المعمدان : الذى قال عنه سفر الأعمال فى إصحاح ١٨ عدد ٢٥ « كان هذا خبيراً فى طريق الرب» إلى أن قال « ويعلم بتدقيق ما يختص بالرب عارفاً معمودية يوحنا فقط » .

١٠ — ويتهكم بولس بمن ورد ذكرهم فيما سبق فيقول فى رسالته الأولى لأهل كورنتس إصحاح ١ عدد ١٢ ، ١٣ « فأنا أعنى هذا أن كل

واحد منكم يقول أنا لبولس وأنا لإيلوس وأنا لصفا وأنا للمسيح هل انقسم المسيح؟ ألعل بولس صلب لأجلكم أم باسم بولس اعتمدتم ؟ » :

١١ — ويهذى بولس فى عدد ١٨ من رسالته الأولى لأهل كورنتوس فيقول : « فإن كلمة الصليب عند الهالكين جهالة ، وأما عندنا نحن المخلصين فهى قوة الله » . مع أن الحواريين (بطرس ، ويوحنا ، ويعقوب ، ويهوذا) لم يذكروا أبداً فى رسائلهم كلمة صليب .

١٢ — لم يكتف بولس بهذا ولكنه ادعى الرسالة لنفسه — يقول فى رسالته الأولى لأهل كورنتس إصحاح ٩ عدد ١ « ألست أنا رسولا ؟ ألست أنا حراً ؟ أما رأيت يسوع المسيح ربنا ؟ ألستم أنتم عملى فى الرب ؟ » :

١٣ — وقارن بولس نفسه بحوارى السيد المسيح فى رسالته الثانية لأهل كورنتس إصحاح ١١ عدده٥،٦فيقول « لأنى أحسب أنى لم أنقص شيئا عن فائقى الرسل وإن كنت عامياً فى الكلام فلست فى العلم بل نحن فى كل شىء ظاهرون » .

١٤ — ثم تهجم على تلاميذ المسيح فقال فى عدد١٢، ١٣من الرسالة السابقة « ولكن ما أفعله سأفعله لأقطع فرصة الذين يريدون فرصة كى يوجدوا كما نحن أيضاً فى ما يفتخرون به لأن مثل هؤلاء هم رسل كذبة فعلة ماكرون مغيرون شكلهم إلى شبه رسل المسيح » .

١٥ — ولم يكتف بولس بهذا النيل من تلاميذ المسيح ولكنه فضل نفسه عليهم فقال فى عدد ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، من الرسالة المشار إليها « على سبيل الهوان أقول كيف أننا كنا ضعفاء ، ولكن الذى يجترىء فيه أحد أقول فى غباوة أنا أيضاً أجترىء فيه ، أهم عبرانيون ؟ فأنا أيضاً ، أهم إسرائيليون ؟ فأنا أيضاً ، أهم نسل إبراهيم ؟ فأنا أيضاً . أهم خدام المسيح ؟ أقول كمختل العقل : فأنا أفضل فى الأتعاب أكثر ، فى الضربات أوفر ، فى السجون أكثر ، فى الميتات مراراً كثيرة » .

١٦ — ثم تغالى بولس بعد ذلك حتى فضل نفسه على السيد المسيح ، فبينما يقرر أن المسيح عليه السلام رسول خاص يدعى عن نفسه أنه هو قد بعث رسولا عاما ، فيقول فى رسالته لأهل غلاطية إصحاح ٢ عدد ٨ « فإن الذى عمل فى بطرس لرسالة الختان عمل فى أيضاً للأمم » يعنى أن بطرس خليفة المسيح ، رسالته لليهود — أهل الختان — أما هو فرسالته إلى الأمم جميعا ، مع أن المسيح نفسه قرر أنه لم يرسل إلا لخراف بيت إسرائيل الضالة .

١٧ — ثم انقلب بولس يحارب الحواريين والمؤمنين فقال فى رسالته لتيطس إصحاح ١ عدد ١٠ ، ١١ « يوجد كثيرون متمردون يتكلمون بالباطل ويخدعون العقول ولا سيما الذين من الختان الذين يجب سد أفواههم فإنهم يقلبون بيوتا بجملتها معلمين مالا يجب » .

١٨ — والعجيب أن يتنكر بولس للختان وأهل الختان ولرسالته ، مع أن سفر التكوين جعله عهداً أبدياً ، جاء ذلك فى إصحاح ١٧ عدد ١٠ إلى ١٤ « هذا هو عهدى الذى تحفظونه بينى وبينكم وبين نسلك من بعدك يختن منكم كل ذكر فتختتنون فى لحم غرلتكم فيكون علامة عهدى بينى وبينكم فيكون عهدى فى لحمكم عهداً أبدياً ، وأما الذكر الأغلف الذى لا يختن فى لحم غرلته فتقطع تلك النفس من شعبها أنه قد نكث عهدى » والمخاطب هنا هو سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام .

١٩ — ولما رأى الناس يومئذاك ، من بولس هذا التناقض والتطاول والزيغ كفروا به وارتدوا عنه ، وقرر بولس نفسه أن أهل آسيا جميعا كذبوه ولم يتبعه أحد من أهل البلاد الشرقية ، ونص على ذلك فى رسالته الثانية لتيموثاوس ، أحد أتباعه إصحاح ١ عدد ١٥ قال « أنت تعلم هذا إن جميع الذين فى آسيا ارتدوا عنى » .

٢٠ — ولكن البلاد الغربية خدعت بزخرف قوله ، ومن هنا نستطيع أن نفهم سر العداء بين الكنيسة الغربية والكنيسة الشرقية ، وأن نفهم كذلك

سبب اضطهاد الرومان للأقباط وحرقهم الأديرة والمخطوطات وقتلهم البطارقة والأساقفة والرهبان ، حتى سمى عصرهم بعصر الشهداء ، واستمر الحال كذلك حتى انتهى الأمر بأن عمت تعاليم بولس الشرق والغرب .

تولوستوى :

أديب روسيا العظيم وكاتبها الكبير لما رأى الحملة الظالمة على الإسلام كتب رأيه فى هذا الدين الذى أعجب به وتحدث عن المسيح عليه السلام فأنكر على المسيحيين اعتقادهم بألوهيته ، وخاص فى أبحاثه إلى أن بولس لم يفهم تعاليم المسيح بل طمسها ، والكنيسة زادت تعاليم المسيح بالنسبة للعقيدة غموضا وخفاء .

ومن أقواله أنه ينبغى لفهم تعليم يسوع المسيح الحقيقى كما كان يفهمه ، هو أن تبحث فى تلك التفاسير والشروح الطويلة الكاذبة التى شوهت وجه التعليم المسيحى حتى أخفته عن الأبصار ، تحت طبقة كثيفة من الظلام ، ويرجع بحثنا إلى أيام بولس الذى لم يفهم تعليم المسيح ، بل حمله على محمل آخر ثم مزجه بكثير من تقاليد الفريسيين وتعاليم العهد القديم .

وبولس كما لا يخفى كان رسولا للأمم أو رسول الجدال والمنازعات الدينية ، وكان يميل إلى المظاهر الخارجية الدينية ، فأدخل ميوله هذه على الدين المسيحى فأفسده ، ومن عهد بولس ظهر التلمود المعروف بتعاليم الكنائس ، وأما تعليم المسيح الأصلى الحقيقى فخسر صفته الإلهية الكمالية ، بل أصبح إحدى حلقات سلسلة الوحى التى أولها منذ ابتداء العالم وآخرها فى عصرنا الحالى والمستمسكة بها جميع الكنائس ، وأن أولئك الشراح والمفسرين يدعون يسوع إلها دون أن يقيموا على ذلك الحجة ، ويستندون فى دعواهم على أقوال وردت فى خمسة أسفار : موسى والزبور ، وأعمال الرسل ورسائلهم وتآليف آباء الكنيسة . مع أن تلك الأقوال لا تدل أقل دلالة على أن المسيح هو الله .

كما أن تولوستوى ينكر ألوهية روح القدس ، ويعتقد أن الله واحد فرد صمد ، وينكر أن تكون كتب النصارى كتبت بإلهام ، ويعلن فى شجاعة أنها حرفت وعراها التغيير والتبديل ، فيقول فى صراحة : إن الكنيسة تسير الآن بموجب تآليف الآباء الذين يدعون بأن ما كتبوه هو من الروح القدس ، فكان الأحرى بالمسيحيين أن يسموا كنيستهم بالروحية القدسية أولى من تسميتها بالمسيحية .

الكاتب أميل لودفيج فى كتابه ابن الإنسان : (١) .

يقول أميل لودفيج أن يسوع لم يفكر فى أنه أكثر من نبى ، وليس بقليل أن يرى نفسه فى بعض الأحيان دون النبى ، ولم يحدث أبدا من يسوع ما يخيل به إلى السامع أن له خواطر وآمالا فوق خواطر البشر وآمالهم ، وما كان يسوع ليذهب إلى أبعد من ذلك فيدعى أنه المنقذ المنتظر ، فإذا ما قال الناس أنه أحد قدماء الأنبياء راقه ذلك موجها أفكارهم إلى ملكوت السموات ، والآن نجد يسوع كلمة جديدة صالحة للتعبير عن وضعه بقوله عن نفسه أنه (ابن الإنسان) وقديما أراد الأنبياء أن يلفتوا الأنظار إلى الهوة الواسعة التى تفصلهم عن الله ، فكانوا يسمون أنفسهم بأبناء الإنسان ، ومن هؤلاء دانيال وحزقيال اللذان أظهرا الرب مخاطبا كل واحد منهما « بابن الإنسان » أى بآدمى ضعيف هالك ولد ليفنى ، ولكن مع استعداد لنيل عفو الرب .

الأستاذ مجدى مرجان : وهو مسيحى من أقباط مصر ويحكى عن نفسه أنه كان شماسا فى إحدى الكنائس المسيحية قبل اعتناقه الإسلام ، يقول : إن القديس بولس ولد فى مدينة طرسوس مركز الديانة المترية ، وتقبل الكثير من عادات ومصطلحات تلك الديانة ليتمكن من إقناع أتباعها بالمسيحية ، انظر إليه فى سفر كورنثوس الأول يقول « استعبدت نفسى للجميع لكى

(١) ابن الإنسان — للكاتب إميل لودفيج — ترجمة الأستاذ عادل زعيتر .

أربح الأكثرين ، صرت لليهودى كيهودى لكى أربح اليهودى ، وللناموسيين كالناموسيين ،ولغيرهم كأنى بغير ناموس .. صرت لكل شىء لعلى أستخلص من كل حال قوما »(١) .

هكذا يتحدث القديس بولس رسول المسيحية عن نظريته بكل صراحة ووضوح أنه يتغير ويتلون ، ويتحول مع كل اتجاه ، إنه يدعى لليهودى أنه يهودى ، وللوثنيين أنه وثنى وللملحدين أنه ملحد ، إنه يمثل لكل جماعة ولكل فرد ما يتفق مع هواهم ومشيئتهم ، كل ذلك ليربح الكل للمسيحية ، يربحهم اسما ولبس فعلا ، إنه بدلا من أن يغيرهم هو يتغير من أجلهم ، بل ويغير التعاليم السماوية فى سبيل إرضائهم ، وتورد الأناجيل وقائع ومواقف ادعى فيها بولس تارة أنه يهودى ، وتارة أنه فريسى ، وتارة ثالثة أنه رومانى وهكذا ، (طبقا لما هو مفصل فى رسالة أعمال الرسل) .

ولقد عارض بعض التلاميذ والحواريين بولس فى تعاليمه وتركوه :

١ — يتحدث بولص لصديقة تيموثاوس فى رسالته إليه أن معظم أصحابه قد تركوه وقاوموا أقواله ورفضوا آراءه لبعدها فى نظرهم عن الصواب ، وهذه كلماته « اسكندر النحاس أظهر لى شرورا كثيرة ليجازه الرب حسب أعماله ، فاحتط منه أنت أيضا لأنه قاوم أقوالنا جدا ، فى احتجاجى الأول لم يحضر أحد معى بل الجميع تركونى »(٢) .

٢ — ومن الذين خالفوا القديس بولس وقاوموا تعاليمه وآراءه القديس برنابا الذى كان أحد الحواريين الاثنى عشر الذين عاصروا المسيح عليه السلام وعاشروه بالجسد ، وذلك بعكس القديس بولس الذى لم ير السيد المسيح فى حياته على الإطلاق ، فقد حدث أن التقى بولس وبرنابا وسارا فترة من الوقت يعظان ويبشران معا ، ولكن القديس برنابا الذى شاهد

---

(١) الله واحد أم ثالوث — للأستاذ محمد مجدى مرجان .

(٢) رسالة بولس الثانية إلى تيموثاوس إصحاح ٤ عدد ٩ وما بعده .

ورافق المسيح الإنسان رفض القول بتأليهه ، ورفض دعوة الثالوث والأقانيم (التى كان يبشر بها بولس) ، فانفصل عن بولس وكتب رسالة يشرح فيها الحقيقة للناس محذرا إياهم من قبول التعاليم المخالفة ، يقول برنابا فى مقدمة إنجيله « أيها الأعزاء إن الله العظيم العجيب قد افتقدنا فى هذه الأيام الأخيرة بنبيه يسوع المسيح برحمة عظيمة للتعليم والآيات التى اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى ، مبشرين بتعليم شديد الكفر داعين المسيح ابن الله ورافضين الختان الذى أمر به الله دائما ، مجوزين كل لحم نجس ، الذين ضل فى عدادهم أيضا بولس الذى لا أتكلم عنه إلا مع الأسى ، وهو السبب الذى من أجله أسطر ذلك الحق الذى رأيته وسمعته أثناء معاشرتى ليسوع لكى تخلصوا ولا يضلكم الشيطان فتهلكوا فى دينونة الله ، وعليه فاحذروا كل أحد يبشركم بتعليم مضاد لما أكتبه لتخلصوا خلاصا أبديا»(١)

وقد تأخذنا الدهشة كيف بثالوث الشعوب الوثنية يتسرب إلى الديانة المسيحية ؟كيف بوثنية الأرض تتسلل إلى ديانة السماء ؟ إن المسيحية رسالة سماوية كلف بها عيسى عليه السلام من عند الله ، مناديا بوحدانية الله وداعيا الناس إلى صالح الأعمال ، فكيف بالوثنية تشوه تلك الصورة الحلوة لهذه الرسالة العظيمة ؟ إن الأمر يدعونا إلى تتبع تاريخ نزول المسيحية ومعرفة كيفية انتشارها ، حتى يمكننا أن نتفهم هذا الأمر الغريب :

١ — تحدثنا الكتب السماوية أن السيد المسيح عليه السلام قد بعثه الله إلى قومه بنى إسرائيل يدعوهم إلى عبادة الله وحده ، وإلى ترك ما انغمسوا فيه من شرور وآثام ، يقول السيد المسيح « لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة » وهذا ما حكاه عنه متى فى إنجيله(٢) وقد دعا المسيح تلاميذه الاثنى عشر إلى تبشير بنى إسرائيل فقط ، مانعا إياهم من تبشير الأمم الأخرى . يقول القديس متى فى إنجيله « هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم

---

(١) انظر إنجيل القديس برنابا .
(٢) إنجيل متى إصحاح ١٥ عدد ٢٤ .

يسوع وأوصاهم قائلا « إلى طريق أمم لاتمضوا ، وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا ، بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة»(١) .

٢ — ورغم ما بذله السيد المسيح عليه السلام من جهود فى نشر دعوته بين اليهود،وما أجراه الله على يديه من معجزات لحملهم على الإيمان به ، فإن دعوته لم تجد بين اليهود أرضا خصبة ولم يؤمن بها سوى أفراد قلائل ، أما معظم الشعب اليهودى فقد أنكروا نبوته ورسالته ونسبوا معجزاته إلى رئيس الشياطين وليس إلى الله(٢) ثم تعدوا ذلك إلى الطعن فى نسب السيد المسيح فى شخصه ورموه وأمه بأقذع الصفات ، ثم دبروا مؤامرة لصلبه .

٣ — وقد مضى السيد المسيح إلى ربه غاضباً حزيناً على شعبه الذى لم يؤمن برسالته ، وكان يردد دائماً « جئت لخاصتى وخاصتى لم تقبلنى » وعند تركه أورشليم هرباً من مطارديه وطالبى نفسه بكى على المدينة قائلا « يا أورشليم ياقاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها ، كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا » (٣) .

٤ — وبعد السيد المسيح اضطر تلاميذه وحواريوه من أجل إحياء دعوته إلى نقلها من أرض اليهود إلى الشعوب الوثنية المحيطة بها كالرومان واليونانيين وغيرهم ، ورغبة من هؤلاء المبشرين فى نشرالدعوة المسيحية بين تلك الشعوب الوثنية،وخوفاً من أن تجد بين هذه الشعوب نفس المصير الذى وجدته بين اليهود ، اضطر المبشرون المسيحيون إلى تطعيم المسيحية ببعض الطقوس والعادات والشعائر التى وجدوها فى تلك الشعوب الوثنية ، وأغلب الظن أن هؤلاء المبشرين كانوا حسنى النية ، فقد رأوا أن هذه هى الطريقة الوحيدة لتقريب الديانة المسيحية إلى أذهان الوثنيين ، وظنوا أنه مع مرور الوقت فإن المسيحية ستتطهر من تلك العادات والطقوس ، وستعود إلى صفائها ،

---

(١) إنجيل متى إصحاح ١٠ عدد ٥ ، ٦ .

(٢) إنجيل متى إصحاح ٩ عدد ٣٤ .

(٣) المرجع السابق إصحاح ٢٣ عدد ٣٧ .

ولقد تحول فعلا كثير من الوثنيين إلى المسيحية ، ولكنهم نقلوا إليها أيضاً مزيداً من العادات والشعائر الوثنية ، واضطر الحواريون والمبشرون المسيحيون كذلك إلى السكوت وغض الطرف والمجاملة ، وذلك لإبقاء هؤلاء على المسيحية وعدم تنفيرهم منها ، ولعلهم يستقيمون بعد ذلك على المنهج الصحيح ، ولكن الواقع الأليم أن الذى حدث فعلا هو عكس ما توقعه أولئك المبشرون البسطاء ، فلقد تغلبت تلك الطقوس والشعائر الوثنية وطمست جوهر الرسالة السماوية العظيمة التى أتى بها السيد المسيح عليه السلام .

ومن الإخوة المبشرين ، القديس بولس ، فلقد كان كما سبق الإشارة إليه يتغير ويتلون مع كل اتجاه ، وكم ألغى بولس وغيره من المبشرين تعاليم سماوية وأحكاما إلهية من أجل استمالة الوثنيين وكسبهم أنصاراً للدين الجديد، وذلك كلما اصطدمت تلك التعاليم بأى من عادات وتقاليد الشعوب الوثنية .

٥ — تحدثنا الأناجيل أن القديس بولس وأصحابه قد ألغوا الختان المقرر فى جميع الشرائع منذ عهد إبراهيم عليه السلام ، وذلك من أجل خطب ود الوثنيين ، ونقرأ فى التوراة عن حكم الختان فى سفر التكوين « قال الله لإبراهيم . . . هذا هو عهدى الذى تحفظون بينى وبينك وبين نسلك من بعدك . تختن منكم كل ذكر ، فتختنون فى لحم غرلتكم فيكون علامة عهد بينى وبينكم، وأما الذكر الأغلف الذى لايختن فى لحم غرلته فيقطع تلك النفس من شعبها ، إنه نكث عهدى » (١) .

هذا العهد الإلهى الذى قطعه الله مع إبراهيم والذى جعل جزاء مخالفته الموت ، وذلك بختان كل ذكر من نسل إبراهيم ، هذا العهد رعاه كافة الأنبياء بعد إبراهيم عليه السلام الذى اختتن هو نفسه احتراماً لهذا العهد

---

(١) سفر التكوين إصحاح ١٧ عدد ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٤ .

السماوى ، وقد ذكر ذلك إنجيل لوقا (١) وتقررت صلاة خاصة فى ذكرى ختان المسيح ، كما اختتن أيضاً جميع التلاميذ والحواريين .

٦ — ولكن القديس بولس وأصحابه المبشرين حين سمعوا بتضرر الوثنيين من الختان ، ألغوا هذا الحكم الإلهى بكل بساطة ، بل أنكروا كون الختان شريعة إلهية ، فبعثوا يقولون للوثنيين : قد سمعنا أن أناسا خارجين من عندنا أزعجوكم بأقوال مقلبين أنفسكم وقائلين أن تختتنوا وتحفظوا الناموس الذين نحن لم نأمرهم (٢) . وبهذه البساطة واليسر ألغى بولس وأصحابه الختان المقرر فى كافة الشرائع ، وخرجوا على الأحكام الإلهية وعلى تعاليم كافة الأنبياء ، بل وعلى تعاليم السيد المسيح الذى يبشرون باسمه ، كل ذلك من أجل إرضاء الوثنيين وانضوائهم تحت علم المسيحية .

٧ — ولم يقتصر الأمر على بولس أو على حكم الختان بل تعداه إلى غير بولس وإلى غير الختان ، فحتى القديس بطرس خليفة السيد المسيح اضطر كذلك إلى تغيير الكثير من التعاليم المسيحية من أجل وداد الوثنيين ، فمثلا بالنسبة لأكل لحم الخنزير الذى كان وما زال محرما أكله عند اليهود ، وحين جاء السيد المسيح فإنه لم يلغ هذا الحكم ولم يسمح بأكل لحم الخنزير ، ولكن الخنازير كانت من الحيوانات التى يقتنيها الرومان واليونانيون ، ويأكلون لحومها ، مما حمل القديس بطرس على إباحة أكل لحم الخنزير ، بل وكافة الهوام والحشرات ، من أجل استمالة هذه الشعوب الوثنية للدين الجديد (٣) .

٨ — وهكذا وبمرور الوقت وتعاقب الأجيال ، أخذت الأحكام الإلهية تتغير لتحل محلها أحكام أرضية ، وأخذت الحقائق تتباعد لتفسح الطريق ، وأخذت المسيحية بذلك تتباعد شيئاً فشيئاً عن الدين السماوى العظيم الذى أتى به السيد المسيح عيسى عليه السلام من لدن الرحمن .

---

(١) إنجيل لوقا إصحاح ٢ عدد ٢١ .

(٢) أعمال الرسل إصحاح ١٥ عدد ٢٤ .

(٣) أعمال الرسل إصحاح ١٠ من عدد ٩ إلى عدد ١٦ .

٩ — يقول القس بولس إلياس اليسوعى فى كتابه (يسوع المسيح) ولقد لقحت الكنيسة الفكر الوثنى بالفكر المسيحى — فحمل مرسلوها إلى اليونان حكمة التوراة وآداب الإنجيل ، وأخذوا منهم وضوح التعبير ، ودقة التفكير ، فنتج عن هذا التلاقح تراث جديد نقلوه إلى روما ، ولقد احترمت الكنيسة تقاليد الشعوب وحافظت على تنوع الطقوس عند مختلف الطوائف فما فرضت صيغة موحدة للصلاة .

ويستطرد القس بولس إلياس قائلا ،أنه فى مفتتح القرن السابع الميلادى كتب البابا غريغوريوس الأول الكبير إلى القديس أوغسطينيوس أسقف كنتربرى ببريطانيا يقول : دع البريطانيين وعاداتهم ، وأبق لهم أعيادهم الوثنية واكتف بتنصير تلك الأعياد والعوائد ، واضعاً إله المسيحيين موضع آلهة الوثنيين .

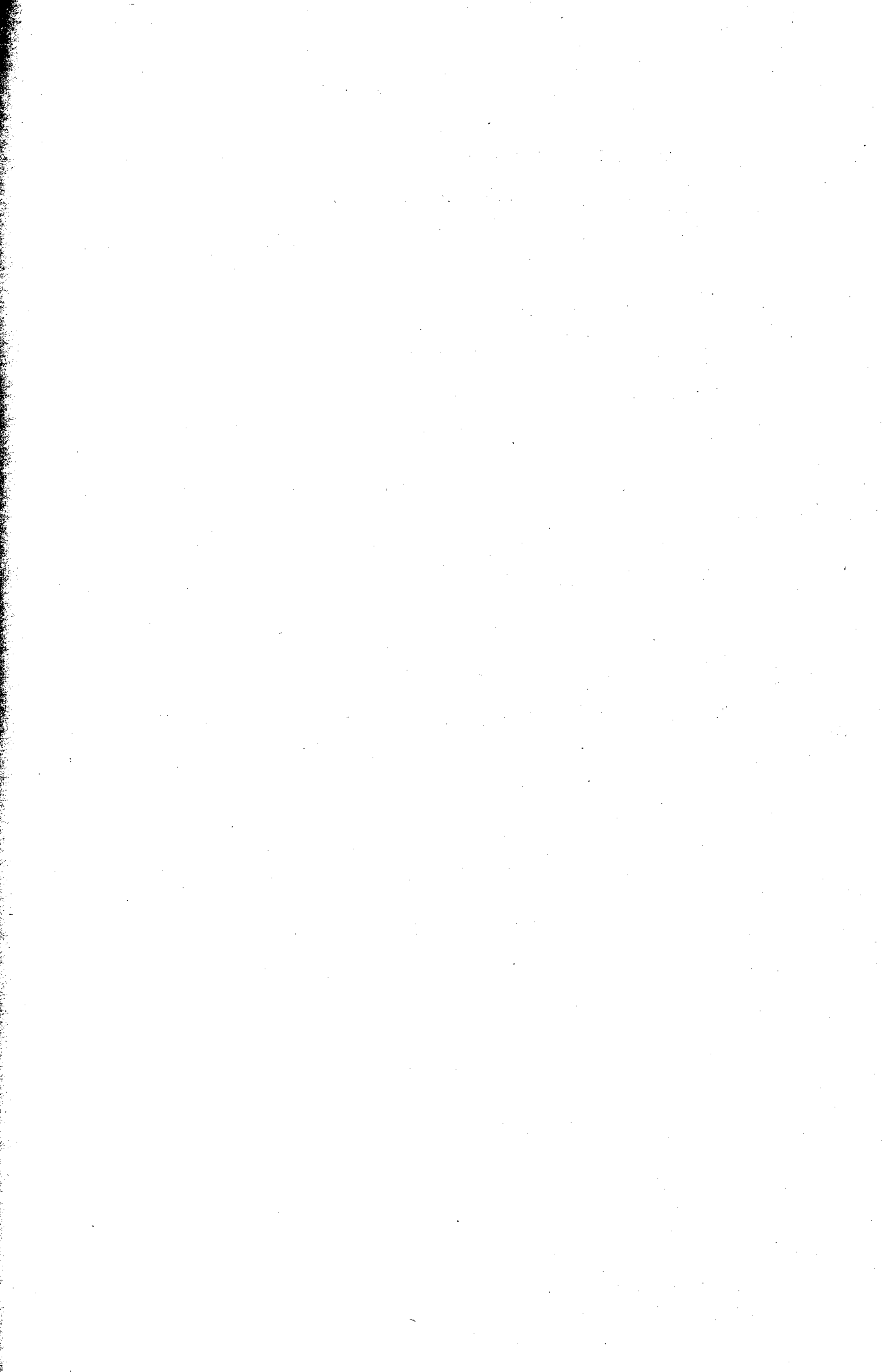
هذا ما كتبه بالحرف الواحد أسقف من كبار أساقفة الدين المسيحى كتبه بكل بساطة دون أن يشعر بوجود أى حرج فيما يقرره ، ودون أن يحس بوجود غضاضة أو غرابة فى هذا المزج الوثنى المسيحى ، هذا الخليط بين الوثنية والمسيحية ، والذى تغلبت فيه طقوس وعادات وأعياد الوثنية باعتراف هذا القس ، فصار لكل شعب ولكل فرقة ، ولكل طائفة من هؤلاء الوثنيين الاثينيين عاداتهم وطقوسهم وصلاتهم الخاصة ، بل مثلوا إله المسيحية بآلهتهم ،وألبسوا إله السماء أثواب آلهة الأرض ،فجعلوا الله الواحد ثلاثة آلهة دون غرابة أو شذوذ فى ذلك عند أصحاب القداسة والطهارة والأحبار والكهان ، ويتحسس المرء ملامح رسالة السماء بين هذا الخليط من طقوس البشر فلا يعثر لها على أثر .

١٠ — وحين دخلت المسيحية مصر كان بها معبد قيصرون الوثنى الذى شيدته الملكة كليوباترة ، وكان يوجد بهذا المعبد صنم كبير من النحاس يسمى عطارد ، وكان يحتفل سنوياً بعيد هذا الصنم ، وتقدم له الذبائح ، وظلت هذه التقاليد معمولا بها بعد دخول المسيحية ولمدة تزيد على ثلاثمائة عام ، فلما نصب الأسقف إسكندر بطريركا فكر فى إزالة هذا الصنم ،

ولكن شعب الإسكندرية ثار فى وجهه قائلا : لقد اعتدنا إحياء عيد هذا الصنم ، ولقد تربع على هذا الكرسى اثنا عشر بطريركاً قبلك ، ولم يجرؤ أحد منهم أن يصرفنا عن هذه العادة .

١١ — وينتهى الأستاذ مجدى مرجان إلى القول : هكذا تطعمت المسيحية بالوثنية التى كان يدين بها وقتئذ معظم البشر من الرومان واليونانيين والمصريين والفرس والهنود وغيرهم ، ولقد كان الموقف المتهاون الذى وقفته المسيحية ومبشروها إزاء الوثنية وعاداتها هو السبب فى تغلب الوثنية على المسيحية وتطويعها لمشيئتها ورغبتها .

وبعد : فهذه شهادة كتاب النصرانية سواء من الغرب أو الشرق فى بولس ، وماذا بعد شهادتهم من تعليق : إنه يتبين مما تقدم بوضوح كيف نقلها من ديانة وحدانية إلى ديانة وثنية ، ومن ديانة سماوية إلى ديانة أرضية ، وكيف غير وبدل فى المعتقدات الإلهية حتى صارت النصرانية إلى ما صارت إليه ، بعد أن تقبلت المجامع النصرانية آراءه ومعتقداته منذ سنة ٣٢٥ ميلادية حتى الآن ورفضت ما عداها .



الباب السادس

١ ـ دعوة النصرانية

هل هى دعوة إلى شعب اليهودية فقط أم دعوة عالمية .

٢ ـ دعوة الإسلام،وعمومها إلى شعوب الأرض قاطبة

٣ ـ قيام الرسول محمد ﷺ والمسلمين بالدعوة إلى الإسلام .

٤ ـ واجب المسلمين فى الوقت الحاضر أمام الدعوة إلى الإسلام .



الفصل الأول

دعوة النصرانية هل هى دعوة إلى شعب اليهودية أم دعوة عالمية

هل كانت دعوة المسيح إلى العالم أجمع كما تزعم النصرانية ، أم أنها كانت قاصرة على شعب اليهودية ؟

إن المتتبع للأناجيل يجد أن دعوة المسيح عليه السلام قاصرة على شعب اليهودية فقط ، بل إن البشارة بمجيئه قبل مولده تشير إلى أن رعايته ستكون لشعب اليهود فقط ، ولندلل على ذلك بالآتى :

١ — ورد بإنجيل متى ما يحكيه على لسان الله :

« وأنت يابيت لحم أرض يهوذا لست الصغرى بين رؤساء يهوذا ، لأن منك يخرج مدبر يرعى شعبى إسرائيل » (١) .

٢ — لما جاء الملاك إلى السيدة مريم العذراء وبشرها بولادة يسوع ، أخبرها بأنه يكون على بيت يعقوب .

« فقال لها الملاك : لاتخافى يامريم لأنك قد وجدت نعمة عند الله ، وها أنت ستحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع ، هذا يكون عظيما وابن العلى يدعى ويعطيه الرب الإله كرسى داوود أبيه ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد » (٢) .

---

(١) إنجيل متى إصحاح ٢ عدد ٦ .
(٢) إنجيل لوقا إصحاح ١ عدد ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ .

٣ — ولما بدأ يسوع فى الدعوة إلى الإيمان برسالته ، أعلن أنها قاصرة على بنى إسرائيل ولا تمتد إلى غيرهم لذلك نراه يقول فى إنجيل متى :

« فأجاب وقال : لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة » (١)

كما ورد نفس ذلك المعنى فى إنجيل برنابا إذ يقول :

« وقد أقامنى الله نبياً على بيت إسرائيل لأجل صحة الضعفاء » (٢) .

٤ — ولقد نبه السيد المسيح إلى مقدار احترامه لشريعة التوراة ، وأنه ما جاء إلا ليكملها لا لإزالتها ، فتراه يقول كما يحكى عنه إنجيل لوقا :

« ولكن زوال السماء والأرض أيسر من أن تسقط نقطة واحدة من الناموس » (٣) .

٥ — وقد اختار المسيح اثنى عشر تلميذاً ليكونوا تلاميذه وأحباءه ومساعديه فى نشر دعوته،وكان اختياره لهم من بين اليهود أنفسهم ، وينقل ذلك إنجيل متى فى محاورة بين السيد المسيح وبين أحد تلاميذه وهو بطرس طبقاً للآتى :

« فأجاب بطرس حينئذ وقال له : ها نحن قد تركنا كل شىء وتبعناك ، فماذا يكون لنا ؟ فقال لهم يسوع : الحق أقول لكم أنكم أنتم الذين تبعتمونى فى التجديد ، متى جلس ابن الإنسان (ويقصد المسيح نفسه بذلك) على كرسى مجده تجلسون أنتم أيضاً على اثنى عشر كرسياً تدينون أسباط إسرائيل الاثنى عشر » (٤) .

---

(١) إنجيل متى إصحاح ١٥ عدد ٢٤ .
(٢) إنجيل برنابا إصحاح ٥٢ عدد ١٣ .
(٣) إنجيل لوقا إصحاح ١٦ عدد ١٧ .
(٤) إنجيل متى إصحاح ١٩ عدد ٢٧ ، ٢٨ .

فهنا قال لهم السيد المسيح : إنهم يدينون أسباط إسرائيل فقط • ولم يقل لهم أنهم يدينون شعوب الدنيا ، وهذا كناية وإشارة إلى أن رسالته وهم من بعده قاصرة على شعب اليهودية المتفرع من أسباط إسرائيل الإثنى عشر .

٦ — إن المسيح عليه السلام عندما أرسل تلاميذه المذكورين لينشروا دعوته بين اليهود كرر لهم الوصية بأن يقصروا الدعوة على اليهود ، بل وحذرهم من دخول مدن الأمم والشعوب الأخرى، ولوكانوا جيراناً لليهود : وقد ذكر ذلك أيضاً إنجيل متى .

« هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلا: إلى طريق أمم لا تمضوا إلى مدينة للسامريين لا تدخلوا ، بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة » (١)

٧ — إن المسيح أشار عند قيامه بإحدى معجزاته بأنها قاصرة على شعب اليهود دون أن يكون منها شيء للشعوب الأخرى ، ويذكر ذلك إنجيل متى فى مناقشة بين امرأة كنعانية وبينه :

« ثم خرج يسوع من هناك وانصرف إلى نواحي صور وصيدا ، وإذا امرأة كنعانية خارجة من تلك التخوم صرخت إليه قائلة : ارحمنى يا سيد يا ابن داوود ، ابنتى مجنونة جداً ، فلم يجبها بكلمة فتقدم تلاميذه وطلبوا إليه قائلين : اصرفها لأنها تصيح وراءنا ، فأجاب وقال : لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة . فأتت وسجدت له قائلة: ياسيد أعنى. فأجاب وقال: ليس حسنا أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب ، فقالت : نعم ياسيد والكلاب أيضاً تأكل من الفتات الذى يسقط من مائدة أربابها ،

---

(١) المرجع السابق إصحاح ١٠ عدد ٥ ، ٦ .

حينئذ أجاب يسوع وقال لها : يا امرأة عظيم إيمانك ، ليكن لك كما تريدين . فشفيت ابنتها من تلك الساعة » (١) .

٨ — وقد ذكر إنجيل يوحنا أن المسيح ما جاء إلا إلى خاصته وما خاصته إلا شعب اليهودية « إلى خاصته جاء وخاصته لم تقبله » (٢) .

٩ — وحتى عندما رفضت أورشليم رسالة المسيح ناجاها بحنو بكلام يستفاد منه أن رسالته هى لشعب اليهود الذى كان مستعمراً لمدينة القدس وقتئذ ، وقد ذكر ذلك إنجيل يوحنا .

« يا أورشليم يا أورشاليم .. يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها . كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا » (٣) .

١٠ — وبعد ذهاب المسيح عن العالم يؤكد خليفته بطرس أن يسوع المسيح ما جاء إلا لخلاص اليهود وغفران خطاياهم ، وذلك فى رسالة أعمال الرسل، فقال لهم : «أنتم تعلمون كيف هو محرم على رجل يهودى أن يلتصق بأحد أجنبى » أو يأتى إلخ .

« الكلمة التى أرسلها إلى بنى إسرائيل يبشر بالسلام بيسوع المسيح » (٤) :

وقد يحتج البعض عن الزعم بأن دعوة النصرانية دعوة عالمية بما ورد فى إنجيل متى ، إصحاح ٣٨ . « فتقدم يسوع وكلمهم قائلا : دفع إلى كل سلطان فى السماء وعلى الأرض ، فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس » .

---

(١) المرجع السابق إصحاح ١٥ من عدد ٢١ إلى عدد ٢٨ .
(٢) إنجيل يوحنا إصحاح ١ عدد ١١ .
(٣) إنجيل متى إصحاح ٢٣ عدد ٣٧ .
(٤) رسالة أعمال الرسل إصحاح ١٠ عدد ٢٨ ، عدد ٣٦ .

« وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيكم به » (١) .

والرد على ذلك جد يسير طبقاً للآتى : —

١ — إن هذه الوصية وخصوصاً عبارة « تلمذوا جميع الأمم » لم ترد عنه وقت حياته كلها التى عاشها على الأرض ولم يسمعها منه تلاميذه وحواريوه منه وقتئذ ، لذلك فهى إن زعم صدورها منه بعد القتل والصلب، فتكون من قبيل الرؤى والأحلام أو الأوهام مما يدعو إلى الشك وعدم الاطمئنان كلية إلى تلك العبارات المنسوب صدورها إلى السيد المسيح .

٢ — تتضمن هذه الفقرات عبارات التثليث وهى اسم الآب والابن والروح القدس ، فكيف يستقيم ذلك مع أن التثليث وألوهية المسيح لم تتقرر إلا فى القرن الرابع الميلادى فى مجمع نيقية سنة ٣٢٥ ميلادية ، وألوهية روح القدس لم تتقرر إلا فى مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١ ميلادية مما يقطع بأن هذه الفقرة مصطنعة ألحقت وأضيفت بعد ذلك إلى الإنجيل المذكور وخصوصاً أنها تناقض تعاليم المسيح التى ذكرها لتلاميذه حال حياته قبل صلبه على حد قولهم .

ومما يؤكد ذلك أن الأب عبد الأحد داوود الأشورى العراقى يقول فى كتابه (الإنجيل والصليب) أن تلك العبارات جمل إلحاقية يجب طيها، بمعنى أنها لم تكن فى النسخ القديمة لهذا الإنجيل .

٣ — إن المسيح لم يقل لتلاميذه من قبل « إنى سأموت ثم أقوم فى اليوم الثالث » فعلم أن مسألة قيام المسيح بعد موته لم تؤسس على أصل واقع ولكنها بنيت على الوهم والإشاعة المزعومة ، وهذه الواقعة المزعومة هى التى يستند إليها من يدعى أن المسيح ظهر بعد موته وقام حيث قال لتلاميذه: اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم .

---

(١) إنجيل متى إصحاح ٢٨ عدد ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ .

٤ — إن ما ذكره متى فى الإصحاح ٣٨ « وبعد السبت عند فجر أول الأسبوع ، جاءت مريم المجدلية وامرأة أخرى لتنظرا القبر . وإذا زلزلة عظيمة حدثت لأن ملاك الرب نزل من السماء وجاء ودحرج الحجر عن باب القبر ، وجلس عليه ، وكان منظره كالبرق ولباسه أبيض كالثلج »

(أ) فهذه الزلزلة العظيمة لم يقل بها أحد غيره ، فهى إذن لم تحدث إذ لو حدثت لما سكتت عنها الأناجيل الأخرى ، بل لو حدثت لدونها المؤرخون فى كتبهم ، لأنها من العجائب الجديرة بالذكر والتى لا يعقل أن يسكت المؤرخون أو باقى كتبة الأناجيل عنها، ولوصح أن المرأتين نقلتا هذه القصة ، فأى دليل على صدقهما فيما زعمتاه ، ولو فرض حدوثه فأى دليل على أنه ملاك الرب وليس شيطاناً أو خبلا فى العقل وخيالا فيه بسبب ما أصابهما من حادثة الصلب المزعومة .

(ب) إن نزول الملك من السماء ودحرجته للحجر وجلوسه عليه مردود إذ يفهم من وصفه إياه « منظره كالبرق ولباسه أبيض كالثلج » أن تكون مريم رأته ، مع أن مريم لم تقل شيئاً من ذلك ، بل قالت الأناجيل أنها حين جاءت وجدت الحجر مدحرجاً .

٥ — يقول متى : إن مريم المجدلية ومريم الأخرى لقيتا المسيح فى الطريق وهما عائدتان ، أما لوقا فلم يقل بظهور المسيح لمريم وزميلتها ، لاعند القبر ولا فى الطريق ،بل قال إنه ظهر للتلاميذ وهم مجتمعون فى أورشليم كما يتضح كل ذلك من الإصحاح ٢٤ عدد ٣٦ .

أما يوحنا فإنه يقول فى الاصحاح ٢٠ عدد ١٤ : «ولما قالت هذا التفتت إلى الوراء فنظرت يسوع واقفاً ولم تعلم أنه يسوع ، فقال لها يسوع : يا امرأة لماذا تبكين » أى أنها كانت واقفة عند القبر تبكى حينما ظهر يسوع وكلمها .

والنتيجة من كل ذلك أنه يتضح وقوع الاختلاف بينهم جميعاً مما يفيد أن مسألة قيام المصلوب من القبر وكلامه المزعوم مختلقة ، ثم شاعت

بأساليب مختلفة كما هو شأن الحوادث الخيالية التى يكتبها كل راو على قدر ما يناسب قدرته وذوقه فى الكتابة .

من الذى ادعى بعالمية الدعوة المسيحية أو النصرانية ؟

أولا : بولس هو أول من قال بعالمية المسيحية وأفاض فى شرحها فى رسائله (١) وأكد أن هذه النعمة أعطيت له وهو أصغر القديسين دونهم جميعاً ليبشر بين الأمم ولينير الجميع فيما هو شركة السر المكتوم منذ الدهور (٢)

ثانياً : ولقد أقر الكتاب المسيحيون أن الحواريين وتلاميذ المسيح الأول لم يفهموا هذه الحقيقة حتى زعمها بولس طبقاً للآتى :

يقول وليم باتون ما نصه ضمن كتابه أديان العالم الكبرى ترجمة حبيب سعد ص ١١٧ « ولم يفقه التلاميذ الأولون فى بادىء الأمر أن الحدود اليهودية الضيقة قد زالت ، ولكن عبقرية الرسول بولس قد فطنت إلى تضاعيف الرسالة من هذه الناحية ، وعرف أنها لليهودى والأممى والبربرى واليونانى والذكر والأنثى على السواء دون تفريق أو تميز » .

ثالثاً : ويرد على ذلك بأن الذى يطلع على رسائل بولس يتضح له أنه لم يورد دليلا واحداً ولا كلمة واحدة تنسب إلى عيسى عن عالمية المسيحية (٣) إنما كان تدليله على هذه العالمية من كلامه هو ومن بنات أفكاره إذ اضطر بولس أن يدخل على ديانته تعاليم أخرى تزيل الهوة بين ديانات بنى إسرائيل وأفكار الأمم المختلفة الذين فتح لهم باب المسيحية وبخاصة الوثنيين والأوروبيين

---

(١) رسالة بولس إلى رومية إصحاح ١ عدد ٥ ، عدد ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، إصحاح ٢ من عدد ٢٥ إلى ٢٩ . رسالة بولس الأولى إلى كورنثوس ١٢ — ١٣ ورسالة بولس إلى غلاطية إصحاح ٣ من عدد ٢٦ إلى ٢٩ . رسالة بولس إلى أفسس إصحاح ٢ عدد ١٢ وما بعده ، عدد ٣ إلى عدد ٨ . رسالة بولس إلى كولوسى إصحاح ٣ عدد ١١ .

(٢) رسالة بولس إلى أفسس إصحاح ٣ عدد ٨ ، ٩ .

(٣) مقارنة الأديان — المسيحية — للدكتور أحمد شلبى .

واليونانيين وأتباع ديانة مثراس ، ولهذا قال بولس بالتثليث وبنزول عيسى ليكفر بنفسه عن خطيئة البشر ، وبعدم ضرورة الختان ، وغير ذلك من العقائد التي لها صلة بديانات هذه الأمم واتجاهاتها لكنها بعيدة عن التعاليم الصافية النقية التي جاء بها السيد المسيح نفسه . مما أدى إلى تدفق الغربيين لذلك على دين بولس ، فنقل المسيحية من دين شرقي إلى دين غربي تقريباً .

ونخلص مما سبق إيراده بالنتيجة الآتية :

أنه لا شأن لرسالة المسيح عيسى ابن العذراء البتول السيدة مريم بأى شعب من شعوب الأرض (خلا اليهود) فلا علاقة بينها وبينهم ، لأن رسالته لم تأت إلا إلى اليهود ، ولم تخاطب أحداً سواهم ، لهذا فليس من حق أحد غير اليهود اعتناق الرسالة العيسوية أو السير على نهج الشريعة اليسوعية ، ومن يفعل ذلك غير اليهود إنما يخالف تعاليم المسيح نفسها بل ويخالف تعاليم الله الذى قصر الرسالة على اليهود وقتئذ ، ومن واجب كافة الأجناس والشعوب غير اليهودية ألا يغتصبوا حقاً ليس لهم وألا يتمسكوا برسالة أنزلت إلى غيرهم بل حرمت عليهم وحرمت مصاهرتهم أو حتى الاختلاط بهم طبقاً لما ذكره إنجيل متى على لسان المسيح على حد قولهم « لا تعطوا القدس للكلاب ولا تطرحوا درركم قدام الخنازير » (١) .

ويؤيد الكتاب المسيحيون الاتجاه بأن المسيح ما أرسل إلا لبنى إسرائيل طبقاً للآتى :

(أ) فقد جاء فى دائرة المعارف البريطانية أن أسبق حوارى المسيح ظلوا يوجهون اهتمامهم إلى جعل المسيحية دينا لليهود ، وجعل المسيح أحد أنبياء بنى إسرائيل إلى بنى إسرائيل .

(ب) يرى بيرى أن اضطهاد الرومان لأتباع المسيح كان سببه أن

---

(١) إنجيل متى إصحاح ٧ عدد ٦ .

أباطرة الرومان لم يعرفوا عن دعوة المسيح إلا انها امتداد لليهودية التى كانت شديدة التعصب عميقة الحقد والحسد ، فأثارت غضب الرومان مع ما عرف عنهم من التسامح الدينى لأتباعهم .

(ج) ويقول دين إنج أن عيسى كان نبياً لمعاصريه من اليهود ، ولم يحاول قط أن ينشىء فرعاً خاصاً به من بين هؤلاء المعاصرين ؛ أو ينشىء له كنيسة خاصة مغايرة لكنائس اليهود أو تعاليمهم .

(د) وكما قدمنا سابقاً فى تاريخ بولس الرسول بالباب الرابع فإن الكاتب المسيحى وليم باتون يقول : إن الذى يقرأ رسائل بولس يرى أنه لم يورد دليلا واحداً ولا كلمة واحدة تنسب إلى عيسى عن عالمية المسيحية ، وإنما كان تدليله على هذه العالمية من كلامه هو ، ومن بنات أفكاره،لأن بولس هذا هو أول من قال بعالمية المسيحية .

ولقد قرر القرآن الكريم فى محكم آياته أن المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام لم يكن إلا رسولا لبنى إسرائيل فقط .

قال تعالى « ورسولا إلى بنى إسرائيل » (١) .

وقال تعالى أيضاً فيما يحكيه القرآن عن المسيح عليه السلام « وإذ قال عيسى ابن مريم يابنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم » (٢) .

معنى البشارة بملكوت الله :

١ ــ جاء فى إنجيل متى الإصحاح ٤ عدد ٢٣ « وكان يسوع يطوف كل الجليل يعلم فى مجامعهم ويكرز ببشارة الملكوت » .

---

(١) الآية ٤٩ من سورة آل عمران .
(٢) الآية ٦ من سورة الصف .

٢ — جاء فى إنجيل مرقص إصحاح ١ عدد ١٤ « جاء يسوع إلى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله » .

إن المطلع على الأناجيل المتداولة بين المسيحيين يجد أن السيد المسيح بشر بملكوت الله ، أى بشر بأن يرث الأرض التى هى جزء من ملكوت الله ، بشر بأن يرثها الصالحون من عباد الله تعالى فمن هى هذه الأمة الصالحة التى بشر بها السيد المسيح بملكوت الله فى أرضه .

ومن ياترى ، هذه الأمة الصالحة التى بشرها المسيح بملكوت الله ؟

هل هى الأمة الإسرائيلية ؟ . . إن المطلع على الكتاب المقدس يتبين أن هناك قرائن تشير إلى انقراض النبوة من بنى إسرائيل طبقاً للآتى :

١ — أن النبى زكريا الذى كان معاصرا لأيام الملك هيرودوس لم ينجب ذرية وقد تقدمت به وبزوجته السن إلا أن الله سبحانه وتعالى من عليهما بمولود ذكر على خلاف عادة الأزواج سمى يحيى أو يوحنا .

يقول لوقا فى إنجيله إصحاح ١ عدد ٧ « ولم يكن لهما ولد إذ كانت أليصابات عاقراً وكان كلاهما متقدمين فى أيامهما » .

وقد عبر القرآن الكريم عن ذلك فى سورة مريم بقوله تعالى :

« كهيعص . ذكر رحمة ربك عبده زكريا . إذ نادى ربه نداء خفياً . قال رب إنى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيباً ولم أكن بدعائك رب شقياً . وإنى خفت الموالى من ورائى وكانت امرأتى عاقراً فهب لى من لدنك ولياً . يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا . يازكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سمياً . قال رب أنى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقراً وقد بلغت من الكبر عتياً . قال كذلك قال ربك هو على هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً »(١) .

---

(١) سورة مريم الآية من ١ ـ ٩ .

٢ — أن النبي يحيي بن زكريا وهو المعبر عنه فى الأناجيل بيوحنا المعمدان المولود من النبي زكريا كان حصوراً أى ممنوعا من النساء لا يرجى منه نسل ، ومات دون أن يتزوج .

قال تعالى فى سورة آل عمران :

« هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء . فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب أن الله يبشرك بيحيي مصدقاً بكلمة من الله وسيداً وحصوراً ونبياً من الصالحين » .

وجاء فى إنجيل مرقص إصحاح ٦ عدد ٢٤ حاكيا عن مقتل يوحنا على حد اعتقادهم

« فخرجت وقالت لأمها ماذا أطلب ؟ فقالت رأس يوحنا المعمدان » .

وفى عدد ٢٧ ، ٢٨ « فللوقت أرسل الملك سيافاً وأمر أن يؤتى برأسه فمضى وقطع رأسه فى السجن وأتى برأسه على طبق وأعطاه للصبية أعطته لأمها » .

كما ورد ذلك الخبر فى إنجيل متى إصحاح ١٤ عدد ١٠ وما بعده :

« فأرسل وقطع رأس يوحنا فى السجن فأحضر رأسه على طبق ودفع الصبية فجاءت به إلى أمها » .

٣ — أن المسيح عليه السلام لم يتزوج أو ينجب حتى وقت ذهابه عن العالم ، وقد كان معاصراً للنبي زكريا والنبي يحيي عليهما السلام .

هؤلاء هم الأنبياء الثلاثة ، تعاصروا على بنى إسرائيل فى وقت واحد ، وقتلوا أوماتوا دون أن ينجب أحد منهم ذرية ترث النبوة من آل يعقوب ، أى من بنى إسرائيل .

إذن من تكون هذه الأمة التى سيعهد إليها بملكوت الله ويرأسها نبي يوحى إليه من الله ويحكم بشريعة نزلت من السماء ؟

١ — إن المطلع على سفر حزقيال من العهد القديم يجد فى الإصحاح

١٧ عدد ٢٤ إشارة إلى هذه الأمة الجديدة التى سترث النبوة وتقوم على مملكة السماء فى الأرض .

« إنى أنا الرب وضعت الشجرة الرفيعة ، ورفعت الشجرة الوضيعة ، ويبست الشجرة الخضراء ، وأفرخت الشجرة اليابسة ، أنا الرب تكلمت وفعلت »

والمعنى أنه سبحانه أزال شرف الشجرة التى كانت رفيعة القدر بالرسالة والنبوة وهم بنو إسرائيل بنِ إسحق بن إبراهيم بعد انقراض النبوة منهم . ومعنى أنه أيبس الشجرة الخضراء أنه قطع النبوة منهم ونسخ شريعتهم ، لأن الشجرة متى يبست وجفت انقطع إنتاجها من الثمر .

ومعنى رفع الشجرة الوضيعة بعد أن كانت مهملة أنه تعالى رفع شأنها وعظم قدرها وهى شجرة إسماعيل بن إبراهيم أخى إسحق ، وزاد فى تفسير هذه الشجرة أنها كانت يابسة خالية من النبوة فأفرخها لتنتج النبوة المنتظرة والرسالة المرتقبة .

٢ — إن مما يؤيد هذا النظر ، ما ورد بإنجيل متى إصحاح ٢١ عدد ٣٣ وما بعده حاكياً عن المسيح قوله لجموع اليهود فى الهيكل ومنهم تلاميذه : «اسمعوا مثلا آخر ، كان إنسان رب بيت غرس كرماً وأحاطه بسياج وحفر فيه معصرة وبنى برجا وسلمه إلى كرامين وسافر ، ولما قرب وقت الإثمار أرسل عبيده إلى الكرامين ليأخذ ثماره فأخذ الكرامون عبيده ، وجلدوا بعضاً وقتلوا بعضاً ورجموا بعضاً ، ثم أرسل أيضاً عبيداً آخرين أكثر من الأولين ففعلوا بهم كذلك ، وأخيراً أرسل إليهم ابنه قائلا : يهابون ابنى ، وأما الكرامون فلما رأوا الابن قالوا فيما بينهم هذا هو الوارث ، هلموا نقتله ونأخذ ميراثه ، فأخذوه وأخرجوه خارج الكرم وقتلوه ، فمتى جاء صاحب الكرم ماذا يفعل بأولئك الكرامين ، قالوا له : أولئك الأردياء يهلكهم هلاكاً ردياً ويسلم الكرم إلى كرامين آخرين يعطونه الإثمار فى أوقاتها ، قال لهم يسوع : أما قرأتم قط فى الكتب ، الحجر الذى رفضه البناءون هو قد صار

رأس الزاوية من قبل الرب ، كان هذا هو عجيب فى أعيننا ، لذلك أقول لكم أن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره ، ومن سقط على هذا الحجر يترضض ومن سقط هو عليه يسحقه » .

يشير إلى أن السيد المسيح ذكر لليهود وللتلاميذ أيضاً أن اليهود بعد قتلهم عبيد صاحب الكرم وهم الأنبياء لابد لصاحب الكرم أن ينزعه منهم ، والكرم كناية عن شريعة السماء ينزعها الله منهم ، وقد تم ذلك وسلمها إلى كرامين آخرين ، وقد بين صفة هؤلاء الكرامين ، ومن أى جهة هم ، فأشار إلى أنهم من جهة الحجر الذى رفضه البناءون ، كناية عن السيدة هاجر وأولاد ابنها إسماعيل عليه السلام ، لأن إسماعيل وأمه رفضتهما السيدة سارة زوجة أبيه إبراهيم عليه السلام ، ويدور الزمان دورته فى نهاية الأمة الإسرائيلية ويعود بنو إسماعيل والمسلمون من أتباع النبى محمد صلى الله عليه وسلم حفيد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، فيصيرون هم رأس الزاوية فى الأهمية بالنسبة لله ، فتستحق عن جدارة أن تتولى مملكة الله ، وهذه المملكة طبقاً لما قدمنا هى التى يرأسها نبى خليفة عن الله يوحى إليه من قبله ويحكم بشريعة نزلت من السماء من لدنه سبحانه ، ويقول السيد المسيح عن هذه الأمة الجديدة « كان هذا عجيباً فى أعيننا » لأن أبناء إسماعيل من الجارية وهى السيدة هاجر ، أما أبناء إسرائيل فهم من أبناء السيدة سارة وهى الحرة ، ومع ذلك أصبحت الأهمية لأبناء السيدة هاجر ، مما أثار عجب بنى إسرائيل ، وعلى رأسهم المسيح عليه السلام . ثم يستطرد المسيح فيوجه الكلام إلى تلامذته وهم يمثلون بنى إسرائيل ، فينذرهم بأن ملكوت الله طبقاً لما قدمنا سينزع من بنى إسرائيل ويعطى لأمة أخرى تعمل أثماره أى تعطى الثمار ، وهى المعبر عنها بالعبادات ، وهم بنو إسماعيل ، لأن أبا الجميع إبراهيم كما فى سفر التكوين خطابا لإبراهيم عليه السلام إصحاح ١٧ عدد ٤ « وتكون أبا لجمهور من الأمم » .

ولا محل للقول بأن هذه الأمة هى المسيحية ، لأن الأمة المسيحية بإنجيلها وكتابها مكملة للأمة اليهودية فى شرائعها ، طبقا لما ورد عن المسيح فى إنجيل

متى إصحاح ٥ عدد ١٧ « ما جئت لأنقض بل لأكمل » فضلا عن أن الخطاب سالف الذكر موجه من المسيح إلى تلاميذه وهم داخلون ضمن الأمة اليهودية بالتبعية .

ومما يؤكد هذا النظر أن المسيح نفسه لم يقم أو يتولى إنشاء هذه المملكة بل كان دوره قاصراً على البشارة بها .

٣ — إن مملكة الله بمفهومها السابق تنطبق على الدولة الإسلامية التى أنشأها النبى محمد صلى الله عليه وسلم فى المدينة طبقاً للآتى :

١ — كان واضع أسسها ومنشئها ورئيسها النبى محمد ﷺ بوحى من الله تعالى .

٢ — كان ينزل عليه الوحى بشريعة من السماء .

٣ — أن القوانين والأحكام والسياسة التى كانت تطبق فى هذه الدولة هى شريعة السماء .

٤ — بعد وفاة النبى محمد صلى الله عليه وسلم استمرت مملكة السماء حيث كان يرأسها خلفاء للنبى الذى كان يوحى إليه بشريعة السماء قبل وفاته .

وها هى ذى الأمة الإسلامية قائمة بأمر الله لا يضرهم من خالفهم ، حتى تقوم الساعة ، بالرغم من تآمر أعدائهم عليهم « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » .

الفصل الثاني

دعوة الإسلام وعموميتها إلى شعوب الأرض جميعا

١ — البشرية وتعلقها بالدين :

إن الأديان ضرورية للبشرية وفطرية بها . هذه حقيقة تاريخية وفكرية ودينية أيضاً،فكل إنسان له دين ، والذين ينكرون الأديان ولا يؤمنون بأى دين منها ويحاربون كل الأديان لهم دين جديد ، هو ألا يكون لهم دين ، ذلك دينهم وتلك عقيدتهم التى يؤمنون بها .

فهم عندما رفضوا الدين اتخذوا ديناً آخر ، ولكنه دين يرفض ويهدم ، ولا يبنى نفساً ولا يجمع شعبا على الخير فى كل مكان .

٢ — وإذا كان دين بنى إسرائيل هو أول الأديان الكتابية يقوم على توحيد الإله وتنزيهه ، فإنه اختص بجانب معين دون سائر شعوب الأرض ، فهو إذن ليس الدين الذى يهتدى به الناس كافة ويجدون فيه شبع حاجتهم الفطرية إلى العقيدة ، لأن بنى إسرائيل كانوا من قبل قوم أوثان وتعدد وتجسيم ، فلما انتقلوا إلى عبادة التوحيد ، لم يتجردوا مما كان عالقاً بأذهانهم فى وثنيتهم القديمة ، مما كان الناس يلتمسونه فى أربابهم من النقمة وقوة السلطان ، فالتمسوا فى الإله الواحد أن يختص بهم لا يعبده أحد سواهم ، وأن يغلبهم على من عداهم من الخلق ، وأن يمكن لهم فى أرض الناس ورقابهم ، وكانت آفاقهم آفاق الدنيا ، فعبدوا فى الإله الواحد مصدر المعاش وسند الملك وجبروت الانتقام ومناط المعاملات بين الأفراد ، وانتظروا منه أن يكون لهم عوناً على جبروتهم ، وذهبوا إلى حد الاعتقاد بأن الحق والعدل

مما شرع الله غير مطلوبين من العبرانى إلا نحو عبرانى مثله ، أما مع غير العبرانى فلا حق له عندهم ولا شرع ولا عهد .

ثم جاءت النصرانية دعوة إلى الله والزهد فى الدنيا والتسامح ، قام بها المسيح عيسى بن مريم رسولا من الله ، لكنها كما قدمنا كانت دعوة محدودة إلى شعب بنى إسرائيل أيضاً .

٣ — ولما كانت العقيدة حاجة روحية لصلاح البشر ، فلا يختص بها فريق من الناس دون باقى البشر ، لذلك كانت الحاجة ماسة إلى دين عالمى يكون دعوة إلى جميع شعوب الأرض قاطبة أبيضها وأسودها وأحمرها وأصفرها عربيها وعجميها ، هكذا لابد أن يكون الدين الجديد عقيدة تصلح للبشر ، العامة منهم والخاصة ، تشعر كلا منهم أن له عقيدة يطمئن إليها ، وأن هذه العقيدة رباطه بالدنيا وبالآخرة ، بالله وبالإنسان ، فالناس أمة واحدة فى هذا الدين الجديد ، هذا الدين المرموق هو دين البشر ، وكان الإسلام هو الذى انبرى للنهوض برسالة هذا الدين ، الذى جمع إليه العقل والقلب جميعاً وصحح ما ترويه الناس من الأخطاء فى تفهم ما سبق من عقائد ورسالات ، فالناس كانوا بحاجة إلى دين يؤكد وجود الله ، وأنه خالق الخلق وأنه الكامل المتفرد بالكمال ، بيده الأمر وهو على كل شىء قدير ، حتى تنتهى دعاوى المادة وشبهة تفردها بالوجود ابتداء ، ويؤكد وحدانية الله توكيداً يقضى على مزاعم التعدد فى تصور الإله الواحد ، ويلزم أن يؤكد التنزيه لله حتى لا ينزلق الناس إلى التجسيم الذى طالما وقعوا فيه بعد كل دعوة للتوحيد ، بسبب غلبة الحس عليهم .

٤ — فضلا عن ذلك فإن شريعة الإسلام ، وضعت لهداية وسعادة البشر أجمعين فى كل زمان وفى كل مكان ، وغنية بمصادرها وأصولها وقوانينها الكلية ، وأن نظرياتها المتطورة بالفعل تتمشى مع أحدث مبادىء التشريع العالمى ، بل سبقت أحدث التشريعات فى تقرير أرقى المبادىء الفقهية فى الشرق والغرب ، وسجل ذلك فى المؤتمرات الدولية التى كان منها مؤتمر

القانون المقارن بمدينة لاهاى، سنة١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م حيث استبان لهذا المؤتمر من البحثين اللذين قدما إليه من مندوبى الأزهر، وكان أحدهما فى بيان المسئولية الجنائية والمسئولية المدنية فى نظر الإسلام ، وثانيهما فى علاقة القانون الرومانى بالشريعة الإسلامية ونفى ما يزعمه بعض المستشرقين من تأثر الفقه الإسلامى بذلك القانون ، وانتهى ذلك المؤتمر إلى تقرير الآتى :—

١ — اعتبار الشريعة الإسلامية مصدرا من مصادر التشريع العام .

٢ — اعتبار الشريعة الإسلامية حية صالحة للتطور .

٣ — اعتبارها قائمة بذاتها ، وليست مأخوذة من غيرها .

٤ — تسجيل البحث الأول فى سجل المؤتمر باللغة العربية ، واعتباره بين المجموعة العلمية التى تدخر للرجوع إليها .

٥ — استعمال اللغة العربية فى المؤتمر ، والتوصية بالاستمرار على ذلك فى الدورات المقبلة . .

ولما كان الإسلام دعوة إلى الكافة وإلى العالم أجمع كان رسوله محمد ﷺ مرسلا إلى الناس جميعاً .

١ — قال تعالى مخاطباً رسوله ﷺ :

« وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً »(١) .

٢ — وقال تعالى :

« قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً»(٢) .

---

(١) الآية ٢٨ سورة سبأ .

(٢) الآية ١٥٨ — سورة الأعراف .

وأنه لا نبي بعد النبي ﷺ فهو خاتم النبيين وهداه خاتم الهدى ورسالته اختتمت بها رسالات السماء .

قال تعالى :

« ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ، ولكن رسول الله وخاتم النبيين »(١) .

وقال تعالى :

« وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين »(٢) .

وقال تعالى :

« وأوحي إلى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ »(٣) .

والنتيجة من كل ذلك أن الإسلام هو دين جميع الشعوب والأجيال .

فهو دين الجيل الذى بعث فيه محمد .

ودين الأجيال من بعده حتى يوم الدين لأنه دين الله سبحانه وتعالى وأنه لن يقبل من البشر دينا غيره .. قال تعالت كلماته :

« إن الدين عند الله الإسلام »(٤)

وقال سبحانه :

« ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين »(٥) .

---

(١) الآية ٤٠ سورة الأحزاب .
(٢) الآية ١٠٧ سورة الأنبياء .
(٣) الآية ١٩ سورة الأنعام .
(٤) الآية ١٩ من سورة آل عمران .
(٥) الآية ٨٥ من سورة آل عمران .

والرسالات التى كلف بها المرسلون قبل النبى محمد صلى الله عليه وسلم كانت رسالات قومية . أما رسالته هو فهى رسالة عامة موجهة للبشر جميعا وإلى جميع الناس فى أجناسهم ولغاتهم الموجودين وقت حياته والذين يوجدون بعد مماته إلى يوم الدين .

وعن الرسالات السابقة التى كانت رسالات قومية .

قال تعالى عن نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى عليهم السلام :(١)

« لقد أرسلنا نوحا إلى قومه » .

« وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره » .

« وإلى ثمود أخاهم صالحا » .

« ولوطا إذ قال لقومه » .

« وإلى مدين أخاهم شعيبا » .

« ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا إلى فرعون وملائه » .

وقال تعالى فى شأن عيسى عليه السلام (٢) :

« ورسولا إلى بنى إسرائيل » .

عناصر العالمية فى الإسلام :

أولا : وحدانية الإله وإنكاره تعدد الآلهة وهو ركن الأركان فى الإسلام :

وأساس الإيمان فى شريعة محمد أن يكون بالله وحده لا شريك له وتنزيهه عن كل صفة يتصف بها خلقه ، والجزم بأن الله سبحانه وتعالى هو مبدع

---

(١) سورة الأعراف ٦٠ ، ٧٥ ، ٨٠ ، ٨٥ ، ١٠٣ .

(٢) سورة آل عمران ٤٩ .

هذا العالم وموجده وخالقه من العدم وأنه يمسك العالم فى وجوده ونظامه ، وهو القديم فليس قبله شىء ، وهو الآخر فليس بعده شىء ، وأنه يعلم دقائق الأمور فى هذا الكون .

ومفهوم التوحيد يعنى استغناء الإنسان بالله عن كل ما سوى الله ، ومن هذا المفهوم أعطى المسلم الكرامة والإباء والشعور بالعزة . والمسلم حين يستعين فى دنياه بغير الله فهو على يقين من أن الله هو الذى سخره له ، وأنه تعالى ربط المسببات بالأسباب .

ويقرر الإسلام فى جانب الإله الوحدانية الشاملة :

١ — وحدانية الربوبية فلا خالق ولا مدبر ولا متصرف سواه .

٢ — ووحدانية الألوهية فلا معبود ولا مسئول ولا مستعان سواه ، وبالوحدانية بشقيها لله تعالى دعا الإسلام .

قال تعالى :

« يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون . الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون »(١) .

٣ — ولقد نعى القرآن الكريم كثيرا على من عدد الإله فاتخذ إلهين اثنين أو ثلاثة ، أو عبد شيئا من الخلق كالكواكب مثل الشمس والقمر ، أو عبد الأصنام ، وقد نبه المشركين على اختلاف مذاهبهم ، إلى النظر والتفكير فيما يوجب وحدة المعبود وحدة تامة كاملة .

قال تعالى :

« قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لابتغوا إلى ذى العرش سبيلا »(٢)

---

(١) سورة البقرة ٢١ ، ٢٢ .

(٢) سورة الإسراء ٤٢ .

وقال تعالى :

« لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون »(١)

وقال تعالى :

« ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون . عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون » (٢) .

وقال تعالى :

« قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله(٣) » .

ونبههم إلى وحدانيته سبحانه بنحو قوله :

« قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد(٤).

وقوله تعالى :

« قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين . لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين . قل أغير الله أبغى ربا وهو رب كل شيء »(٥) .

ولقد أجمعت المصادر الإسلامية على مفهوم واضح نفى لله سبحانه وتعالى ، لخصه العالم الإسلامى عبد القادر البغدادى فيما يلى :

---

(١) سورة الأنبياء ٢٢ .
(٢) سورة (المؤمنون) ٩١ ، ٩٢ .
(٣) سورة آل عمران ٦٤ .
(٤) سورة الإخلاص .
(٥) آيات من سورة الأنعام ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ .

١ — إن الله سبحانه وتعالى هو صانع العالم ، وإن له سبحانه صفات ثابتة اختصها بذاته ، وأن الحوادث كلها لا بد لها من محدث صانع هو قديم لم يزل ، وليس له صورة ولا أعضاء ولا يحويه مكان ولا يجرى عليه زمان ، ولا تلحقه الآلام واللذات وهو غنى عن خلقه ، وإنه واحد لا شريك له .

٢ — إن الله قادر على كل شيء بالاختراع من العدم ، وعلمه واحد يعلم به الموجودات بتفاصيلها من غير استدلال ، وسمعه وبصره محيطان بجميع المسموعات والمرئيات بغير أذن ولا حدقة ، وهو لم يزل رائيا لنفسه سامعا لكلام نفسه .

٣ — والله يراه المؤمنون فى الآخرة ولا يحدث شيء فى العالم إلا بإرادته. ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، والله حى بلا روح ولا اغتذاء ، وكلام الله صفة أزلية ،وهو كلام غير مخلوق ولا محدث ولا حادث(١) .

وقد أثبت العلم الحديث مفهوم الله سبحانه وتعالى على هذا النحو الذى يورده أحد العلماء المختصين فى الكيمياء فيقول واين أولت :

« إن الله كما نعرفه ليس مادة أو طاقة ، كما أنه ليس محدودا حتى نستطيع أن نخضعه لحكم التجربة والعقل المحدود ، بل على النقيض من ذلك نجد التصديق بوجود الله يقوم على أساس الإيمان ، وهو إيمان يستمد تأييدا علميا من الدلائل غير المباشرة التى تشير إلى وجود سبب أول أو إلى دافع مستمر منذ القدم .

إن الإيمان بالله يعد لازما لاكتمال وجود الإنسان وتمام فلسفته فى الحياة ، ولا شك أن الاعتقاد بوجود إله خالق لكل الأشياء يعطينا تفسيرا بسيطا سليما واضحا فى النشأة والإبداع والغرض والحكمة يساعدنا على تفسير كل ما يحدث من الظواهر .

---

(١) الفرق بين الفرق لعبد القادر البغدادى .

أما النظريات التي ترمى إلى تفسير الكون تفسيراً خلاف ذلك ، فإنها تعجز عن تفسير كيف بدأ الكون ، ثم ترجع ماحدث من الظواهر التالية للنشأة الأولى إلى محض المصادفة ، فالمصادفة فكرة يستعاض بها عن وجود الله ، بقصد إكمال الصورة والبعد عن التشويه ،ولكن فكرة وجود الله أقرب إلى العقل والمنطق من فكرة الصدفة ، ولا شك فى أن ذلك النظام البديع الذى يسود الكون يدل دلالة حتمية على وجود إله خلاق عليم ، وليس على وجود صدفة عمياء تخبط خبط عشواء ، وعلى ذلك فالمشتغل بالعلوم هو أول من يجب عليه التسليم تسليما منطقياً بوجود إله مبدع لا حدود لعلمه ولالقدرته، يحيط مخلوقاته برعايته سواء فى ذلك الكون المتسع أو كل ذرة أو جزئية من جزئيات هذا الكون فى تفاصيلها الدقيقة » .

ويقول كرسى موريسون :

« إن وجود الخالق تدل عليه تنظيمات لا نهاية لها تكون الحياة بدونها مستحيلة ، وأن وجود الإنسان على ظهر الأرض والمظاهر المفاخرة الذكائه إنما هى جزء من برنامج ينفذه بارىء الكون » .

وتوحيد الله تبارك وتعالى هو منطق الحرية والقوة والعمل ، وهو المصدر الأول لتحرير الإنسان من كل القيود والوثنيات ، وتحرير الإنسان من قيد الإنسان ، ومن العبودية الاجتماعية والعبودية الفكرية معاً ، ومن الرهبانية والزهادة ، ومن الترف والإباحية فى نفس الوقت ، وأبرز مفاهيم التوحيد هو تأكيد الإسلام على قيام العلاقة بين الإنسان وربه مباشرة دون وساطة ، حيث جعل الإسلام كمال النفس فى حسن اتصالها بالله . والرقابة على الإنسان وعمله لله وحده وليست من شخص أو هيئة أيا كانت .

١ — يقول باوتلمى سانتهار :

إن الإسلام قد أحدث رقياًعظيما، فقد أطاق العقل الإنسانى من قيوده التى كانت تأسره حول المعابد وبين أيدى الكهنة من ذوى الأديان المختلفة ، فارتفع إلى مستوى الاعتقاد بحياة وراء هذه الحياة ، وأن محمداً بتحريمه

الصور فى المساجد ، وكل ما يمثل الله قد خاص الفكر الإنسانى من وثنية القرون الأولى ، واضطر العالم أن يرجع إلى نفسه ، وأن يبحث عن الله خالقه .

٢ - ويقول ولفر وكابتول سميث :

ما من دين استطاع أن يوحى إلى المتدين به شعوراً بالعزة كالشعور الذى يخامر المسلم من غير تكلف ولا اصطناع .

٣ - ويقول مسمار :

إن التوحيد الذى هو أساس الدين الإسلامى كان السبب الأول فى نجاح دعوة محمد ، وإن إعلان محمد هذا التوحيد فى عصر ملت فيه الأمم خرافات علم اللاهوت كان أفضل ما جاء به وأفعله بالعقول ، حتى أنه ما كاد يفوه بالدعوة إلى توحيد الله حتى استنار العالم كله بدعوته .

٤ - ويقول روم لاندو :

إن الإيمان بالله جنب المعارف الإسلامية الانقسام إلى دينية أو عقلية ، ولقد كان مفهوم التوحيد فى الإسلام هو الفيصل الواضح الدقيق بينه وبين عشرات من النحل والمذاهب والعقائد ، وعلى أساسه رفض الإسلام التعدد والوثنية والاثنينية ، ورفض به المسلمون رأى أرسطو فى الله ، ورأى الفلسفات الهلينية فى تجاوزها ، والفلسفات الغنوصية فى قولها بالاتحاد والحلول ، ذلك أن إله الإسلام هو إله البشرية كلها ، وتشمل رعايته التى لا حد لها ورحمته الواسعة جميع الأمم والأقوام ، وليس كإله إسرائيل الذى يفضل شعبه على الشعوب الأخرى . وأجمع الباحثون المنصفون على حقيقة لا ريب فيها هى أن التوحيد هو الأساس الذى كان مصدر نجاح دعوة محمد .

٥ - ويقول رينيه ميليه :

لم يقرر الإسلام وساطة بين الله والناس يرجع إليها الحل والعقد فى كل الأمور ، ولم يستن نظام الصوامع وقضى على عادة العزوبة التى كانت

متبعة ومستفيضة ، وعلى عادة التنسك والخروج من الدنيا ، ثم إن الإسلام أرجع الدين إلى حالته الطبيعية ، ولم يأت بشيء من تلك العقائد الفاسفية بل قال بكل وضوح (لا إله إلا الله) عقيدة سهلة التناول وملائمة للفطرة وأعطت الحياة الدنيا قسطها من الاعتبار .

ومن الحق أن الإسلام صحح أخطاء الوثنية اليونانية التى كانت تقول بالصراع بين البشر والآلهة مع تعدد الآلهة . ومع ترقية الأبطال إلى مقام أنصاف الآلهة أو الآلهة ، ومن الحق أن تلك العداوة الضارية التى صورها اليونان بين البشر والآلهة هى زيف لا حد له قام على أساس مجموعة من الأساطير كأسطورة بروميثوس سارق النار والإله زيوس .

ويتصل بهذا المفهوم المأساة فى الأدب الهلينى والأدب الغربى كله الذى يصل بالقصة دائماً إلى نهاية سحق الآلهة للبشر ، وقد أورث هذا المفهوم الأدب الغربى كله طابع التشاؤم والخوف والحقد ، وكان مصدراً لظهور الدعوات الهدامة من الفرويدية والوجودية والهيبية التى تقوم على اليأس القاتل .

أما المسلمون فقد أعطاهم الإسلام مفهوماً رحيما متفائلا سمحاً يقوم على أساس إيمانهم برحمة الله وبره وعطائه ، حيث يقوم مفهوم الإيمان بقضاء الله مانعاً دون هذه الظاهرة الخطيرة التى عمقها فى الفكر الغربى والآداب الغربية ، نظرية الخطيئة المسيحية التى استمدت مصادرها من الفلسفات الهلينية وما عاصرها من فلسفات ، ولقد كان التوحيد هو العامل الأساسى فى إلغاء عبادة البطولة وعبادة الفرد ، ووضع الإنسان المبرز فى مكانه الحقيقى مع الحيلولة والامتناع عن وضع الأنبياء والرسل فى مقام الألوهية ، وتقرير مكانتهم الحقيقية فى مكان الوحى والتبليغ عن الله سبحانه .

وفى تقدير الباحثين أن قضاء الإسلام على الوثنية واجتثاثها من جذورها منذ أول يوم لدعوته ، هو العامل الأساسى فى ترسيخ التوحيد قاعدة لبناء

الحضارة الإسلامية(١) .

ثانياً : الإيمان بكتب الله المنزلة على الأنبياء سواء منها ما أنزل على محمد ﷺ وما أنزل على إخوانه الأنبياء السابقين ، لأن هذا الإيمان عنصر من عناصر الإسلام لا يتحقق إلا به ، فيجب الإيمان بإبراهيم وصحفه وموسى وتوراته ، وداوود وزبوره ، وعيسى وإنجيله ومحمد وقرآنه ؛ فاقتضى الأمر على المسلم الإيمان بكل ما أنزل الله من كتب على من اصطفى من رسله .

قال تعالى :

« آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير »(٢) .

وهذه الآيات هى جماع عقائد الإسلام الأساسية .

ثالثاً : الإيمان بجميع الرسل الذين أرسلهم الله إلى عباده من لدن آدم عليه السلام إلى محمد ﷺ ، لأن الله اصطفاهم من عباده وحملهم رسالته عن طريق ملائكته ووصيته إليهم لهداية الأمم التى أرسلوا إليها بالعقيدة والعمل الصالح ، دون تفريق بين أحد منهم أو الإيمان بالبعض دون البعض الآخر ، وبذلك تكتمل وحدة الرسالات الآلهية .

قال تعالى :

« وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون(٣) » .

---

(١) عالمية الإسلام — التوحيد للأستاذ أنور الجندى — بمجلة منبر الإسلام عدد رجب سنة ١٣٩٢ — أغسطس ١٩٧٣ .

(٢) سورة البقرة : ٢٨٥ .

(٣) سورة النحل ٤٣ .

وقال تعالى :

« وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين»(١) .

وقال تعالى :

« شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه »(٢) .

وقال تعالى : « وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ، قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى ،قالوا :أقررنا قال :فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين»(٣).

وقال تعالى :

« قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » .(٤)

وقال تعالى : فيمن يفرق فى الإيمان فيؤمن ببعض الرسل دون البعض الآخر :

« إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذالك سبيلا . أولئك هم الكافرون حقاً وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً »(٥) .

---

(١) سورة الأنبياء ٨ .

(٢) سورة الشورى ١٣ .

(٣) سورة آل عمران ٨١ .

(٤) سورة البقرة : ١٣٦ .

(٥) سورة النساء : ١٥٠ ، ١٥١ .

وقال تعالى فى شأن رسالة النبى محمد ﷺ وأنه بها تمت أسباب الكمال الدينى للإنسانية .

« اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً »(١) .

رابعاً : الإيمان بالملائكة جميعاً :

الملائكة هم أجسام نورانية خلقهم الله، سفراء الوحى بينه وبين رسله حتى يبلغوا رسالات الله إلى خلقه .

وقد قرر القرآن الكريم فيهم أنهم عالم غيبى ليس مادياً من طبيعته أن يبرز فى العالم المادى وهم ينفذون أوامر الله ، وأنهم ذوو وظائف وزعها عليهم ربهم سبحانه وتعالى ومن أمثلة هؤلاء الملائكة ما قصه الله علينا فى القرآن :

١ — قال تعالى عمن ينفذ أوامر الله سبحانه وتعالى :

« بل عباد مكرمون . لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون»(٢) .

٢ — وقال تعالى :

« لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون »(٣) .

٣ — وقال تعالى عمن كلف منهم بتبليغ الوحى والرسالات إلى أنبيائه ورسله .

« وإنه لتنزيل رب العالمين . نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين»(٤) .

---

(١) سورة المائدة : ٣ .

(٢) سورة الأنبياء : ٢٦ ، ٢٧ . (٣) سورة التحريم : ٦ .

(٤) سورة الشعراء ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤

٤ — وقال تعالى عمن يثبت بهم المؤمنين .

« إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا »(١) ؛

٥ — وقال تعالى عمن كلفوا بتبشير المؤمنين الذين أحسنوا فى الدنيا بحسن العاقبة « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون » (٢) .

٦ — وقال تعالى عمن كلف بقبض الأرواح عند الموت .

« قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم » (٣) .

٧ — وقال تعالى عمن كلف بحفظ الإنسان وتسجيل أعماله فى دنياه :

« وإن عليكم لحافظين . كراماً كاتبين . يعلمون ما تفعلون » (٤) .

عداوة اليهود لبعض الملائكة :

ولقد عادى اليهود جبريل عليه السلام لزعمهم أنه أمر أن يجعل النبوة فيهم فجعلها فى غيرهم ، أو لأنه لا يأتى إلا بالشدة والحرب والقتال ، أو لنزوله بالقرآن على النبى محمد صلى الله عليه وسلم مصدقاً لكتابهم وهم كارهون للقرآن ، ولذلك حرفوا التوراة (٥) .

فأخبر الله سبحانه وتعالى عنهم أن من كان عدوا لجبريل فلا حق له فى عداوته لأنه لم ينزل بالقرآن من تلقاء نفسه ، وإنما جاء بأمره سبحانه مصدقاً لما سبقه من الكتب وهادياً ومبشراً للمؤمنين ، فهو من حيث إنه مأمور وجب أن يكون معذوراً ، ومن حيث إتيانه بالهداية والبشارة وجب أن يكون مشكوراً ، وعداوة من هذا سبيله عداوة لله تعالى .

---

(١) سورة الأنفال : ١٢ .
(٢) سورة فصلت : ٣٠ .
(٣) سورة السجدة : ١١ .
(٤) سورة الأنفطار ١٠ ، ١١ ، ١٢ .
(٥) صفوة البيان لمعانى القرآن لفضيلة الأستاذ الشيخ حسنين مخلوف مفتى الديار المصرية سابقاً .

ولقد نعى عليهم القرآن الكريم تلك العداوة منهم لجبريل عليه السلام ، لأن فيها تفريقاً فى الإيمان بالملائكة الذين يجب الإيمان بهم جميعاً ، وليس إيماناً بالبعض وعداوة وكفراً بالبعض الآخر .

قال تعالى :

« قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقاً لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين . من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل فإن الله عدو للكافرين » (١) .

خامساً : الإيمان بيوم الحساب وهو يوم القيامة حيث يجازى كل على عمله من خير أو شر ، وإقرار الإسلام لمبدأ البعث والجزاء هو دعامة المسئولية الفردية فى الحياة الدنيا .

فلابد أن تكون الحياة الدنيا تكليفاً ومسئولية ، وأن يكون المسلم فيها فى معاناة الشر والخير ، ومن ثم فعليه أن يتصرف بإرادته الحرة وأن يواجه مسئوليته فى الآخرة .

قال تعالى :

« وأن ليس للإنسان إلا ما سعى . وأن سعيه سوف يرى . ثم يجزاه الجزاء الأوفى . وأن إلى ربك المنتهى » (٢) .

وقال تعالى :

« فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره . ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » (٣)

وقال تعالى عن نعيم الآخرة .

« ولمن خاف مقام ربه جنتان » (٤) .

---

(١) سورة البقرة : ٩٧ ، ٩٨ .

(٢) سورة النجم ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ .

(٣) سورة الزلزلة ٧ ، ٨ .

(٤) سورة الرحمن : ٤٦ .

وقال تعالى عن عذاب الآخرة .

« كلا لينبذن فى الحطمة . وما أدراك ما الحطمة . نار الله الموقدة . التى تطلع على الأفئدة » (١) .

وقال تعالى :

« ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين » (٢) .

كيف يطلب الإسلام من الناس جميعاً الإيمان بتلك العقائد :

إن الإسلام حينما يطلب من عامة البشر الإيمان بتلك العقائد .

١ — لا يكرههم عليها لأن طبيعة الإيمان تأبى الإكراه .

قال تعالى :

« لا إكراه فى الدين » (٣) .

وقال تعالى :

« ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » (٤) .

٢ — كذلك لا يحملهم على الإيمان بطريق الخوارق الحسية التى تدهش العقول وتلقى بها فى حظيرة الاعتقاد دون نظر واختيار .

قال تعالى :

« إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين » (٥)

---

(١) سورة الهمزة ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ .

(٢) سورة البقرة : ١٧٧ .

(٣) سورة البقرة : ٢٥٦ .

(٤) سورة يونس : ٩٩ .

(٥) سورة الشعراء ٤ .

٣ — ولكن كانت حجة الإسلام البرهان الذى يملأ القلب من ناحية ويمس شعوره الباطن وإحساسه الداخلى ، لذلك طلب من الإنسان النظر والتفكير فى هذا الكون بما يحتويه من أرض وما أودع فيه من أسرار ، وما بنى عليه من نظام محكم ، وأفرغ عليه من وحدة جعلته متماسك الحلقات لا يلحقه خالل ولا انتكاس ، مما يوجب الاعتراف بأن لهذا الكون خالقاً مهيمنا عليه مدبراً له متصرفاً فيه بالعلم الشامل والقدرة النافذة والحكمة البالغة حتى يصل إلى الغاية التى حددها له بعلمه وحكمته ، وهذا الطريق هو أكثر ما أرشد القرآن إليه ، ولا تكاد ترى سورة إلا وتدعو إلى التفكير والإرشاد إلى إعمال العقل .

قال تعالى :

« إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون » (١) .

وقال تعالى :

« والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون . والأرض فرشناها فنعم الماهدون . ومن كل شىء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون » (٢) .

وقال تعالى مشيراً إلى وجدان الإنسان الفطرى فى الاعتقاد بوجود الله :

« ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم » (٣) .

---

(١) سورة البقرة : ١٦٤ .
(٢) سورة الذاريات ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ .
(٣) سورة الزخرف : ٩ .

وقال تعالى :

« وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه ، وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض » (١) .

وقال تعالى مصوراً إحساس فرعون حينما أدركه الغرق ، إذ اعترف بوجود الله بعد أن كان قبل ذلك منكراً له ، بل وزاد ذلك بأن ادعى الألوهية :

« وجاوزنا ببنى إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغياً وعدوا ، حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين . آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين . فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وإن كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون »(٢)

حجة الإسلام فيما يطالب به البشر من إيمان :

إن حجة الإسلام فيما يطالب به البشر والناس جميعاً فى كل زمان ومكان من الإيمان به هو القرآن الكريم ، فهو المعجزة العقلية الدائمة الباقية على مر الزمان ، والتى تعمل عملها فى العقول وتدفعها إلى النظر .

ومعجزة القرآن باقية ببقاء الزمان ، أما معجزات الأنبياء ، فلا يستطاع إثباتها إلا بالقرآن العظيم ، وقد أيد الله حجية القرآن بجريانها على رسول أمى .

قال تعالى :

« وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون ، بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون . وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين ، أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن فى

---

(١) سورة فصلت : ٥١ .
(٢) سورة يونس : ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ .

ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون . قل كفى بالله بينى وبينكم شهيداً يعلم ما فى السموات والأرض والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون » (١) .

وللإسلام عناصر عالمية أخرى نجملها فى الآتى :

١ — المساواة فى الإسلام

أولا — المساواة بين بنى آدم فى نظر الإسلام بالنظر إلى عقيدته وشريعته :

كما يقوم الإسلام على التوحيد الخالص للإله الواحد ، يقيم وحدة الجنس البشرى جميعه . فالناس يتساوون جميعاً فى نظر الإسلام دون نظر إلى جنس أو لون أو جاه أو أى فارق آخر بينهم .

وإن درجات القرب من الله تتبع درجات القوة فى الإيمان والاستقامة على اتباع أحكام الشريعة التى فصلها فى كتابه الكريم .

قال تعالى :

« يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم خبير » (٢) .

وقال تعالى :

« ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوءاً يجز به ولا يجد له من دون الله ولياً ولانصيراً . ومن يعمل من الصالحات من ذكر أوأنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيراً » (٣) .

ولم يحاب القرآن الكريم العرب على حساب غيرهم من الشعوب أو يجعلهم شعب الله المختار . ولم يميزهم على سائر الشعوب أو يعتبرهم

---

(١) سورة العنكبوت ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ .
(٢) سورة الحجرات : ١٣ .
(٣) سورة النساء : ١٢٣ ، ١٢٤ .

أبناء الله وأحباءه بل ساوى بين الجميع وأعطى كل مخلوق على حساب عمله .

وليس هذا فحسب ، بل إن القرآن كشف ما انطوى عليه بعض الأعراب من مآخذ .

(ا) قال تعالى :

« الأعراب أشد كفراً ونفاقاً وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله والله عليم حكيم » (١) .

(ب) وقال تعالى :

« وممن حولكم من الأعراب منافقون ، ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم »(٢).

(ج) وقال تعالى :

« ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرماً ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء والله سميع عليم » (٣) .

(د) وقال تعالى :

« قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم » (٤) .

٢ ـ المساواة بين المرأة والرجل فى الحقوق والواجبات : إن الإسلام تتساوى أمامه مسئولية المرأة مع مسئولية الرجل من الوجهة الدينية فتكلف بالعقيدة وبالعمل الصالح كما يكلف الرجل بهما تماماً .

---

(١) سورة التوبة : ٩٧ .
(٢) سورة التوبة : ١٠١ .
(٣) سورة التوبة : ٩٨ .
(٤) سورة الحجرات : ١٤ .

ومسئوليتها فى ذلك مسئولية مستقلة لا تتأثر بمسئولية الرجل .

قال تعالى :

« ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيلا ادخلا النار مع الداخلين . وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت : رب ابن لى عندك بيتاً فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القوم الظالمين » (١) .

٣ — استقلال الولد متى بلغ سن الرشد عن والده فى المسئولية . إن الولد متى بلغ سن الرشد وهو اكتمال عقله تتقرر مسئوليته الدينية كاملة ومستقلة عن مسئولية والده .

قال تعالى :

« يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوماً لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً » (٢) .

ثانياً — منزلة الإنسان فى الإسلام وحريته فى أداء الخير والشر :

يقرر الإسلام أن الله خلق الإنسان مستعداً لفعل الخير والشر ، فهو بإمكانه إسعاد نفسه بالخير أو يشقيها بالشر وذلك فى الدنيا والآخرة .

قال تعالى :

« إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً » (٣) .

وقال تعالى :

« من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزيهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » (٤) .

---

(١) سورة التحريم : ١٠ ، ١١ .

(٢) سورة لقمان : ٣٣ .

(٣) سورة الإنسان : ٣

(٤) سورة النحل : ٩٧ .

من ذلك يتبين أن الإنسان خلقه الله بقدر من الحرية والاختيار بحيث يفعل الخير مختاراً فيثاب ، ويفعل الشر مختاراً فيعاقب ، وبتلك الحرية وهذا الاختيار كلفه الله وأرسل إليه الرسل لهدايته وإرشاده ، ثم تركه وما يختار لنفسه من خير أو شر ، وعلى هذا الأساس يكون جزاؤه يوم القيامة حيث يحاسب الناس ، فمن عمل خيراً نجا بنفسه ، ومن عمل شراً جوزى على ما فعل ، وهذا هو الأساس الذى قامت عليه التكاليف الشرعية فى الإسلام قال تعالى :

« هل يجزون إلا ما كانوا يعملون » (١) .

وقال تعالى :

« ونفس وما سواها . فألهمها فجورهاوتقواها .قد أفلح من زكاها. وقد خاب من دساها » (٢) .

ويتصل بحرية الإنسان واختياره مسألة القضاء والقدر طبقاً للآتى :

ثالثاً — القضاء والقدر فى الإسلام :

إن القرآن وإن ورد به ذكر القضاء والقدر لكنه ينكر على من ينتسب إليه الاحتجاج بهما والاعتماد عليهما كلية فى حياته بما يؤدى إلى ضعفه وانحلاله ، وقديما اعتذر المشركون عن شركهم بأنهم مجبورون بمشيئة الله على شركهم ، فأنكر الله عليهم ذلك بما منحهم من عقل وأرسل إليهم من رسل ليختاروا بأنفسهم طريق الهدى أو طريق الضلال .

قال تعالى :

« سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شىء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا ، قل هل عندكم

---

(١) سورة الأعراف : ١٤٧ .   (٢) سورة الشمس ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ .

من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون . قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين » (١)

قال تعالى :

« فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى . فسنيسره لليسرى . وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى . فسنيسره للعسرى » (٢) .

رابعاً ـ سماحة الإسلام واتفاقه مع الفطرة السليمة :

إن طبيعة الإسلام التى أعطته طابع العالمية أنه دين الفطرة ، وهذه الصفة من أبرز حقائق الإسلام ، فلا تجد فيه نصاً أو حكماً أو قاعدة تتعارض مع فطرة الله التى فطر الناس عليها ، أو تقف منها الطبيعة الإنسانية السليمة موقف التردد أو المعارضة .

كما أنه دين يتسع للحرية الفكرية العاقلة بألوانها المختلفة ، ولذلك فهو يساير الثقافات الصحيحة والحضارات النافعة التى يتفتق عنها عقل البشر فى صلاح الحياة وتقدمها ، مهما ارتقى العقل ونمت الحياة — بل إنه لفت الأنظار إلى ما فى الكون وأنه سخره لبنى الإنسان ، من كواكب ونجوم وأنهار وجبال ووديان ، وليستجلوا ما استطاعوا من خبايا أسراره التى لاتنتهى . قال تعالى : « هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعاً » (٣) .

لذلك ، فإن العقل الإنسانى حينما ارتقى واتسعت أمامه آفاق العلم ، لم يعد يقبل ما يضاد الفطرة ، لأنه حين عرف سنن الله فى الكون ، أحس بأن سنن الفطرة لا تتعارض ، ولذلك فقد وقف وقفة الشك من الأساطير والخرافات والسحر وكل التفسيرات التى لا تعطى إجابات واضحة صريحة

---

(١) سورة الأنعام : ١٤٨ ، ١٤٩ .

(٢) سورة الليل : ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ .

(٣) سورة البقرة : ٢٩ .

والإسلام ليس كذلك فإن أبرز ما لفت أنظار أصحاب العقول السليمة والفطر النقية إليه ، ذلك الوضوح الذى يكشف كل الحقائق ، ولا يدع أمراً منها خاصاً بأحد من الناس أو فئة من دون الناس .

ولقد اعترف الإسلام بفطرة الإنسان وبطبيعته القائمة على الخير والشر ورغباته وغرائزه فى الامتلاك والطعام والمرأة ففتح له الطريق إلى الاستجابة لهذه الرغبات بعد أن وضع لها ضوابط وحدوداً ليحمى بها الإنسان نفسه من الفساد والانحراف والتمزق ولكل ذلك فإن الإسلام أقام من الفطرة حقيقة ثابتة لا تستطيع أى قوى أن تغير مجراها ، ومن هنا استقرت أصول الدين والأخلاق والقيم فى الإسلام فلم ترتبط بالأزمان أو البيئات ولم تصبح نسبية لأنها ارتبطت بالإنسان نفسه .

والقرآن الكريم هو الذى أعلن ثبوت الفطرة من غير تبديل قبل عصر العلوم بسبعة قرون كاملة ، فإذا كان العلم يقرر اليوم اتساق الفطرة واطراد السنن واستحالة التناقض بينها فإن هذا من أصول الإسلام التى سجلها القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرناً من الزمان .

قال تعالى :

« فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله » (١) .

وقال تعالى :

« سنة الله التى خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا » (٢) .

« ولن تجد لسنة الله تحويلا » (٣) .

---

(١) سورة الروم : ٣٠ .
(٢) سورة الفتح : ٢٣ .
(٣) سورة فاطر : ٤٣ .

حتى لقد قام منهاج المعرفة الإسلامى على أساسين هما :

١ — سنن الله فى الكون والطبيعة .

٢ — سنن الله فى الإنسان والمجتمعات .

وهما أساسان متكاملان وليسا منفصلين ؛ أحدهما جزئى وقاصر على مجال العلم ،والآخر كامل وممهد لطرائق العلم وحافظ لاتجاهاته من أن تنصرف إلى الشر أو الظلم أو التدمير .

خامساً — الأخوة فى الجماعة الإسلامية :

رفع الإسلام درجة الجماعة الإنسانية عن أن يكون تجمعها وتعاونها راجعاً إلى غير المبادىء والمثل العليا ، فجعل العقيدة هى الوحدة المشتركة بينهم والروح السارية فيهم ، لأنه بوصفه ديناً عالميا لم يعتبر الجنسية ولا العنصرية ولا التوطن فى بلد معين هو أساس تكوين الدولة ، لأن فى ذلك تحديداً أو تضييقاً فى عالميته .

(ا) فكانت الأخوة الدينية بين المسلمين هى التعبير الصادق عن هذه الوحدة المشتركة .

« إنما المؤمنون إخوة » (١) :

كما قرر النبى صلى الله عليه وسلم هذه الأخوة فى حديثه إذ يقول :

« المسلم أخو المسلم » .

(ب) غلبت أخوة الإيمان كل صلة سواها حتى النسب ، فنسى المرء قبيلته وخرج على عشيرته ،وأصبحت صلة النسب عارية عن الفائدة والأثر إذا تجردت عن أخوة الإيمان ، فلا توارث بين المسلم وغير المسلم ولو أباه أو أخاه .

---

(١) سورة الحجرات : ١٠ .

قال تعالى :

« لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم » (١) .

(ج) ربطت هذه الأخوة بين المسلمين حتى أصبحوا أسرة واحدة كبيرة يفرح المسلم لفرح أخيه ويحزن لحزنه ويعاونه عند الحاجة ، ويرشده ويهديه إذا ضل ، ويرحمه إذا ضعف ، ويعامله بما يحب أن يعامل به ، ويحفظه فى ماله وعرضه حاضراً وغائباً ، ويسعى فى إصلاح ذات البين إن وقع هناك خلاف .

قال تعالى « واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها » (٢) .

وقال تعالى :

« هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين ، وألف بين قلوبهم لو انفقت ما فى الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم » (٣)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

سادساً — التكافل الاجتماعى فى الإسلام :

وهو شعور كل مواطن مسلم بأنه مسئول وحامل لتبعات نفسه وأخيه من المواطنين ، فكما يسأل عن نفسه يسأل أيضاً عن غيره . وهذا التكافل له شعبتان :

---

(١) سورة المجادلة : ٢٢ .

(٢) سورة آل عمران ١٠٣ .

(٣) سورة الأنفال : ٦٢ ، ٦٣ .

(ا) إحداهما مادية :

وسبيلهما مد يد المعونة للمحتاجين ،وإغاثة الملهوفين وتفريج كربة المكروبين وإشباع الجائعين ، وتأمين الخائفين ، والمساهمة فى إقامة المصالح العامة .

وقد دعا القرآن الكريم إلى هذا التعاون المادى ، وأطلق عليه عدداً من العناوين المحببة ، فهو تارة زكاة وجعلها ركناً من أركان الدين ، وتارة إحسان ، ومرة صدقة وأخرى إنفاق فى سبيل الله بوصفه فضيلة إنسانية — ، وينصرف إلى جميع أصناف المال من نقد وزرع وماشية ، ويجب للفقير على الغنى بشروط وأحكام مفصلة فى علوم الفقه الإسلامى المختلفة .

وثانيهما شعبة أدبية : وهى تعاون المسلمين المعنوى بالنصح والإرشاد والتوجيه ،وقد سماه القرآن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

قال تعالى :

« والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » (١) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

الدين النصيحة . قالوا : لمن يارسول الله ؟ قال : لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم . أخرجه الإمام مسلم .

سابعاً — العدل فى الإسلام :

عنى القرآن بمبدأ العدل حفظاً لكيان المجتمع البشرى كما حذر من الظلم ولو للأعداء الذين يحملون الكراهية والبغضاء للمسلمين ، لأن اطمئنان الناس على حقوقهم ومنع الغير من سلبها هى أهم دعائم السعادة التى يسعى

(١) سورة التوبة : ٧١ .

إليها البشر ، فإن العدل من أهم أهداف إرسال الرسل وإنزال الشرائع والأحكام .

١ — قال تعالى :

« ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى »(١)

وقال تعالى :

« إن الله يأمر بالعدل والإحسان » (٢) .

٣ — وقال تعالى :

« وإذا قلتم فاعدلوا » (٣) .

٤ — وقال تعالى :

« لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط » (٤) .

٥ — وقال تعالى منوها عن العدل فى شئون الأسرة عند تعدد الزوجات .

« فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة » (٥) .

٦ — وقال تعالى منوهاً عن العدل فى كتابة الوثائق التى تحفظ بها الديون :

« يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل » (٦) .

٧ — وقال تعالى آمراً بالعدل فى الشهادة :

---

(١) الآية ٨ من سورة المائدة .

(٢) الآية ٩٠ من سورة النحل .

(٣) الآية ١٥٢ من سورة الأنعام

(٤) الآية ٢٥ من سورة الحديد

(٥) الآية ٣ من سورة النساء .

(٦) سورة البقرة ٢٨٢ .

« كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين » (١) .

٨ — وقال تعالى آمراً بالعدل فى القضاء :

« إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » (٢) .

ثامناً — وحدة الإنسانية ووحدة العبادة فى الإسلام :

أعلن الإسلام منذ ظهوره وحدة الإنسانية ، وذلك بأن الناس من أب واحد، لذلك كانت وحدتهم فى الإنسانية نتيجة لهدف واحد دون أى تفرقة تعوق سعادة المجتمع ، فأحكامه على جميع أفراده دون نظر إلى غنى أو فقير أو أبيض أو أسود أو شريف أو حقير ، وكما وحد الإسلام بين المسلمين فى المعاملة ، وحد بينهم فى العبادة ، إذ أمرهم أن يعبدوا إلهاً واحداً هو الخالق الذى لا رب سواه ، وجعل تمايزهم وتفاضلهم بالتقوى .

قال تعالى :

« يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير » (٣) .

وقال تعالى :

« يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام»(٤)

---

(١) سورة النساء ١٣٥ .
(٢) سورة النساء : ٥٨ .
(٣) سورة الحجرات ١٣ .
(٤) سورة النساء : ١ .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع من خطبة كبيرة له :

« أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب »

إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، ليس لعربى فضل على عجمى إلا بالتقوى ألاهل بلغت : اللهم فاشهد . فليبلغ الشاهد منكم الغائب » .

وإذا احتفظ غير المسلمين بحالة السلم سالمناهم ، وتعاونا معهم على الخير ، ولكل دينه دون إضرار بأحد ولا انتقاص لحق أحد ، أو إكراه لأى مخلوق ، لأن الإسلام يرى أن حالة السلم هى الأصل فى علاقات الأمم والناس .

تاسعاً الإسلام والتمتع بلذائذ الحياة الحلال :

أباح الإسلام لمعتنقيه التمتع بنعم الحياة على وجه لا يخرج عن حد القصد والاعتدال .

قال تعالى :

« قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق » (١)

وقال تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا لا تحرِّمُوا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين. وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيباً واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون »(٢)

عاشراً — الأخلاق فى الإسلام :

إن شريعة الإسلام ، أحكامها عموماً ، تستند إلى الأخلاق ، لأن الأخلاق هى المعتصم والصمام الذى يتمسك به من أراد أن يكون مسلماً ، لأنها انفعال النفس وتأثرها بما ينبغى أن تكون عليه من حسن الفضائل

---

(١) سورة الأعراف : ٣٢ .

(٢) سورة المائدة : ٨٧ ، ٨٨ .

فتتحلى به ، وأن تعلم حقيقة الرذائل فتتخلى عنها ، ومن هنا كانت عناية الإسلام بالأخلاق عناية تفوق كل عناية ، وتوصيات الرسول صلوات الله وسلامه عليه أكبر شاهد ودليل على ذلك ، وإليك نماذج من ذلك :

١ — قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .أخرجه البخارى فى الأدب. والحاكم فى المستدرك والبيهقى فى شعب الإيمان عن أبى هريرة .

٢ — وقال صلوات الله وسلامه عليه .

« أثقل ما يوضع فى الميزان يوم القيامة تقوى الله وحسن الخلق ». أخرجه أبو داوود بمعناه .

٣ — وورد عن النبى صلى الله عليه وسلم أيضاً أن رجلا جاءه ذات مرة ووقف بين يديه وسأله : ما الدين يارسول الله ؟ فقال : حسن الخلق . فجاءه من قبل يمينه وسأله السؤال نفسه وكان الجواب حسن الخلق ، ثم جاءه من الشمال ومن الخلف وسأله وكان جواب الرسول صلوات الله وسلامه عليه هو نفس أجوبته السابقة .

والقرآن أورد ذلك فى آياته المحكمات الكثير أيضاً .

قال تعالى :

« قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله مالاتعلمون»(١)

آثار التحلى بالأخلاق الفاضلة :

إن التحلى بالأخلاق الفاضلة والتمسك بالقيم الحميدة ينضح أثره على النفوس ، فتطهير الباطن أساس كل صلاح ظاهرى ، لذلك كانت آثار الأخلاق الفاضلة على النفوس المتحلية بها هى تطهير النفوس من أمراضها

---

(١) سورة الأعراف : ٣٣ .

المستعصية كالحقد والحسد والنفاق والجبن والكذب والخيانة ، وجميع ماتعارف الناس عليه من سوء الأخلاق وفاسدها وآثارها الظاهرية .

وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذلك بقوله :

« ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب » أخرجه البخارى .

والمقصود من ذلك صلاح الباطن فينعكس أثره على صلاح الظاهر كما تقدم .

وتقوم الأخلاق فى مفهوم الإسلام على قاعدة التقوى ، وهى بذلك تختلف عن مفهوم الأخلاق فى الفلسفات اليونانية وغيرها التى تقوم فيها الأخلاق على مفهوم السعادة والحب أو غيرها . والتقوى هى الأساس الأول فى مفهوم الأخلاق الإسلامية تقوم على الاتقاء والامتناع عن كل ما حرمه الله ، فالتقوى فى مقابل استباحة المحرمات .

وهى تحمل معنى الكظم واجتناب كل خطأ يؤدى إلى تجاوز الضوابط والحدود ، وهى فى نفس الوقت عمل إيجابى ينبعث عنه الإيمان بالله والصلاة والصيام والزكاة والحج والجهاد وسائر الطاعات .

والإسلام يتفق مع طبيعة البشر وفطرتهم ، فهو يبيح الرغبات والشهوات النفسية ويجعلها مشروعة ما لم يكن فيها عدوان على أحد ، ولا ارتكاب لمحرم ، فالمسلم إذا ما أحس الحاجة إلى المرأة فالطريق إليها هو الزواج ، فإذا عجز عن الاستطاعة أجل تنفيذ الرغبة إلى أن يتيسر له ذلك دون أن يخل ذلك باقتناعه النفسى بإباحة الإسلام تحقيق رغبته ، فالإسلام يعترف بالرغبات ولايدعو إلى كبتها ، وإنما يدعو إلى ضبطها ،ويحول فى نفس الوقت دون خطر الإسراف فيها على الكيان الإنسانى والمجتمع البشرى . فتحريم الزنا فى الإسلام لا ينبعث من كراهية الجنس ، بل من احترام الجنس وتنزيهه عن العبث ، ومن احترام المرأة وتنزيهها عن أن تكون أداة لمتعة ساقطة ، وهكذا يقيم الإسلام قاعدة التوازن بين مختلف القوى فى الإنسان ، بين الرغبات

والضوابط ، وبين الروح والجسد وبين العقل والقلب ، فيحول دون الكبت والانطلاق ، وبين الترف والحرمان ، وبين الإباحة والتجمد ، فهو لا يقر المادية المفرطة ، ولا الروحانية المطلقة ، وإنما يوفق بينهما فى تناسق وتوازن ومواءمة تجعلهما متصلتين بالإنسان نفسه ، من حيث هو جسم وروح .

وليس هناك نظرة أصدق وأعمق صدقاً وأكثر عمقاً من نظرة الإسلام إلى الإنسان،حيث ينظر إليه نظرة متكاملة جامعة تقوم على التوازن ، وهو من أجل ذلك يبيح له كل رغباته ومطالبه بعد أن يعترف بها ، ولكنه يحيطها بسياج من الضوابط ، حتى لا يكون عبداً لأهوائه وشهواته ، وبحيث يكون قادراً دائماً أن ينفك عنها ، وأن يحمل راية الجهاد والمقاومة إذا ما تعرض وطنه للخطر ، ذلك أنه ليس أفعل فى هدم الأمم من إسرافها فى الاتجاه نحو التحلل والإباحيات التى تحطم قوى الإنسان القادرة على المقاومة والفعل .

* * *

كلمة ختامية

راينا مما سبق إيراده بعض عناصر العالمية فى الإسلام ، ولنقتصر على ذلك ، لأنه مما لا جدال فيه أن كل ما دعا إليه الإسلام يتسم بالعالمية حتى فريضة الجهاد نفسها تتسم بالعالمية أيضاً ، وبالجملة فإن مبادىء الإسلام قائمة على العدل والتسامح نحو المسلمين ونحو من سالمهم من أهل الأديان ، ولما كان المسلم هو حامل رسالة إلى الناس فإنه يظل حياته كلها فى رباط ، ولا يستسلم للدعة واللين حتى لا تستباح أرضه ولا تنتهك حرماته :

ويقول الدكتور إسماعيل الفاروقى :

الحق أن علمية علم الأديان لا تستطيع أن تعالج الإسلام دون اعتبار أن هذا الدين هو دين الله ، أى فوق الحقائق الطبيعية والاجتماعية والعلمية ، فهو ليس من صنع البشر ، ولا شك أن الإسلام دين الله ودين الفطرة والنظر السديد .

* * *

الفصل الثالث

قيام الرسول محمد ﷺ

والمسلمين بالدعوة إلى الإسلام

كيف تولى الرسول صلى الله عليه وسلم نشر دعوة الإسلام إلى البشر جميعاً :

١ — تولى النبي صلى الله عليه وسلم دعوة التوحيد بنفسه (١) بين ظهراني المشركين ، وبين أحكام الإسلام للمؤمنين ، وهذا تطبيق لقول الحق سبحانه وتعالى :

« هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ، ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين ، وآخرين منهم لما يلحقوا بهم » (٢) .

وكانت دعوته صلوات الله وسلامه عليه لمن يلاقيهم سواء كانوا أفراداً أم جماعات .

٢ — أرسل الرسول صلوات الله وسلامه عليه جماعات من أصحابه الذين فقهوا أحكام الإسلام إلى الجماعات والقبائل البعيدة التي اعتنقت الإسلام يعلمون من آمن ، ويقومون بواجب الهداية لمن بقى منهم على شركه أو تباطأت به سبل الهداية .

وقد دفع المسلمون الثمن غالياً فى ذلك لأن بعضاً من الأعراب كان يغدر بهؤلاء المسلمين الفقهاء ، فقتلوا غدراً ستة من المؤمنين الذين أرسلهم النبي إليهم . كما قتلوا مرة أخرى سبعين من خيار الصحابة ممن أرسلهم الرسول صلى الله عليه وسلم لهذه المهمة السامية .

---

(١) كتاب الدعوة إلى الإسلام للأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة .

(٢) سورة الجمعة الآية ٢ ، ٣ .

ولكن ذلك لم يفت فى عضد النبى صلى الله عليه وسلم أو يضعف من عزيمة المسلمين لأن الرسول عليه الصلاة والسلام وأصحابه كانوا يريدون نشر الدعوة مهما صادفها من عقبات .

٣ — عندما دخل الناس أفواجاً فى دين الله بعد فتح مكة وأصبحت الجزيرة العربية تحت سلطان الإسلام دانت بعض القبائل الكتابية لقوة الإسلام فأعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، فكان الرسول صلى الله عليه وسلم يرسل إليهم الدعاة يدعونهم إلى الإسلام ويعلمونهم أحكامه .

٤ — تجاوز الرسول صلى الله عليه وسلم حدود الجزيرة العربية بدعوة الإسلام ، لذلك أرسل كتبه الهادية إلى غير العرب فى أقاليمهم المختلفة قاصيها ودانيها ، سهلها ونجدها ، فأرسل تلك الكتب إلى الآتى ذكرهم يدعوهم إلى الإسلام :

(ا) إلى هرقل ملك الرومان .

(ب) إلى النجاشى ملك الحبشة .

(ج) إلى كسرى ملك فارس .

(د) إلى المقوقس عظيم مصر .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يختار الرسل الذين يحملون كتبه ممن فيهم حكمة وعقل وحصافة .

وهكذا نجد الرسول صلى الله عليه وسلم قام بالتبليغ الكامل لرسالة ربه ، استجابة لأمره سبحانه وتعالى فى قوله :

١ — « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس » (١) .

---

(١) سورة المائدة : ٦٧ .

وقوله جل وعلا :

« وادع إلى ربك ، إنك لعلى هدى مستقيم » (١)

٣ — وقال تعالى :

« يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً . وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً » (٢) .

خلفاء الرسول فى الدعوة إلى الإسلام :

لما كان الإسلام هو الدين الذى تطالب به الأجيال كلها فى مشارق الأرض ومغاربها حتى قيام الساعة ، لهذا أوجب الله تعالى تعليم طائفة من الدعاة ليقوموا بالخلافة عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وذلك فى قوله تعالى « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » (٣) .

وذلك لأن العقول وحدها لا تكفى فى الهداية إذا تركت وشأنها فكثيراً ما تضل كما أن الأفهام قد تنوء تحت لجاجة الأهواء والشهوات .

قال تعالى :

« قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين » (٤) .

وهذه الآية الكريمة تدل على عدة أمور خطيرة يجب تفهمها جيداً .

أولا : أن دعوة المؤمنين إلى الله تعالى هى من الاتباع للنبى صلى الله عليه وسلم وأن من تخاذل عن الدعوة لا يعد تابعاً للنبى صلى الله عليه وسلم .

---

(١) سورة الحج : ٦٧ .
(٢) سورة الأحزاب : ٤٥ ، ٤٦ .
(٣) سورة آل عمران : ١٠٤ .
(٤) سورة يوسف : ١٠٨ .

ثانياً : أن تكليف النبي صلى الله عليه وسلم تبليغ رسالة ربه هو تكليف لأمته لا يتخلى عنه مسلم صادق الإيمان .

ثالثاً : أن يكون الداعى له بصر بالأمور يأتيها من طرقها المسلوكة فى رفق ليناً فى دعوته ، لا تأخذه فى الحق هوادة . وليس للباطل عنده إرادة .

رابعاً : أن الآية الكريمة فى جملتها تدل على أن الإيمان وحده لا يكفى فى اتباع النبي صلى الله عليه وسلم بل لابد لكمال الاتباع من الدعوة إلى الله سالكاً سبيله صلوات الله وسلامه عليه .

النصوص التى وردت صريحة مطالبة الأمة بالتبليغ كل على مقدار علمه فى التوجيه والإرشاد .

أولا — من القرآن الكريم :

١ — قال تعالى :

« وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون » (١)

فى هذه الآية توجيه للمؤمنين وحث لهم على أن يجيئوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وبعد وفاته يجيئون لمن يخلفه فى أمر أمته ممن ينصبون للهداية والدعوة ، وذلك ليتعرفوا منهم على حقائق الدين وليتفهموها ويعودوا إلى أقوامهم يعلمونهم ما تعلموه .

٢ — قال تعالى :

« ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون . ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا

---

(١) سورة التوبة : ١٢٢ .

من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم » (١) .

وهذه الآية الكريمة تدل على عدة أمور :

أولا : وجوب الدعوة إلى الخير ، وأى خير أعظم من الدعوة إلى الإسلام الذى هو دين الله ، سبحانه وتعالى ، لأنه الحق الذى فيه إصلاح البشر فى دنياهم وأخراهم .

ثانياً : بعد دعوة الخير يكون العمل على إيجاد جماعة فاضلة بين المسلمين تدعو إلى المعروف الذى تؤمن به وتنهى عن المنكر الذى تأباه وترفضه .

ثالثاً : إن السكوت عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يؤدى إلى سيادة الشر فى الجماعة ، وإذا ساد الشر فى الجماعة هلكت فى الدنيا والآخرة .

رابعاً : إن الدعوة إلى الإسلام هى أخذ بمبدأ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فلا يوجد معروف تدركه العقول وتقر به الأفهام أكثر من الدعوة إلى الوحدانية الكاملة لله فى ذاته وصفاته .

٣ — قال تعالى :

« إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون . إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم » (٢) .

فلقد ندد الله تعالى بالذين يكتمون العلم وخصوصاً علم الكتاب — ولا شك أن الذين لا يدعون بدعاية الله يكتمون الحق الذى أنزله الله سبحانه وتعالى — ليعم هذا الوجود الإعلام به .

٥ — إن من المقررات الشرعية فى الدلالات القرآنية أن كل أمر للنبى صلى الله عليه وسلم هو أمر لأمته ، إلا أن يقوم الدليل على تخصيص التكليف بالنبى صلى الله عليه وسلم ، وقد جاء الأمر بالتبليغ موجهاً للنبى ، وكذلك بالدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، فكان هذا أمرا للمسلمين

---

(١) سورة آل عمران : ١٠٤ ، ١٠٥ (٢) سورة البقرة : ١٥٩ ، ١٦٠

كافة للقيام بذلك الواجب المقدس ، إذ لا دليل على أنه خاص بالنبى ، بل قام الدليل على عموم التكليف ، ولنتأس نحن معاشر المسلمين بالرسول صلى الله عليه وسلم ، فإنه بمقتضى هذه الأسوة يكون من الحق ، لا بل من الواجب علينا أن نقتدى به فى هديه ودعوة الناس والأمم إلى الإيمان بالله واتباعه فى كل ما اتجه إليه من وسائل الدعوة إلى الإيمان بالله ورسوله .

قال تعالى :

« لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً » (١) .

ـ قال تعالى :

« وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً ، يعبدوننى لا يشركون بى شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون » (٢) .

فلقد وصف الله المؤمنين بأنه استخلفهم فى الأرض ، أى جعلهم خلفاء له ولنبيه محمد صلى الله عليه وسلم كما استخلف الذين من قبلهم من المؤمنين عن أنبيائهم ، ومقتضى هذه الخلافة أن يقوموا بما كانوا يقومون به من واجب التبليغ والدعوة إلى الله تعالى .

كما أن حقيقة الإيمان والعمل الصالح تستلزم الآتى :

أولا : أن المؤمنين الصادقين يقومون بالعمل الصالح ويبلغون دعوة الله ، لأنهم خلفاء الله فى الأرض وخلفاء النبى صلى الله عليه وسلم سيد أولى العزم من الرسل فى الدعوة إلى الله تعالى ، فعليهم إبلاغ حكمته وأقواله إلى البشر الذين لم تصلهم رسالته ولا يعرفون حقيقة الإسلام حتى الآن .

---

(١) سورة الأحزاب : ٢١ .

(٢) سورة النور : ٥٥ .

ثانياً : وعد الله سبحانه وتعالى المؤمنين الصادقين بأن يمكن لهم دينهم الذى ارتضوه وارتضاه الله تعالى ، وليس ذلك التمكين بغير جهد مبذول ، ولا بغير دعوة مستمره دائبة لا تفتر ولا تسكن ، بل عمل مستمر فى سبيل الدعوة إلى الله .

ثالثاً : أن هذه الدعوة إلى الله فوق أنها أداء لواجب هى سبيل لسيادة الأمن لأن الله يبدلهم من بعد خوفهم أمناً ، وبذلك يكون المسلمون بدعوتهم المستمرة إلى الله سادة لا تتداعى عليهم الأمم لتفرض عليهم الذلة والاستعباد ، بل يكونون أعزة أقوياء .

ثانياً من السنة :

وردت أحاديث كثيرة داعية إلى التبليغ والدعوة إلى الله بمعرفة المسلمين ومنها ما يأتى :

١ — جاء فى خطبة النبى صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع وهو ينادى الناس فى عرفات ببيان موجز للأحكام الإسلامية « ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب » فتلك دعوة عامة لمن شهد من المؤمنين ، أن يعلم من غاب عنه سواء أن كان من أهل جيله أم ممن يجيئون بعده من الأجيال ، لا فرق بين قريب منه ، وبعيد عنه .

والمشاهدة التى توجب الإعلام تشمل من حضر النبى صلى الله عليه وسلم وأشرقت عليه أنواره بلقائه بالحس .

وكذلك من علم علم القرآن فبعلمه قد صارت أنوار النبوة بين جنبيه فإنه قد شاهد الرسول بقلبه ، وإن لم يشاهده بعينه ،فكان عليه التبليغ والدعوة إلى الله ، لأنه تلقى التكليف عنه وعن الله فيجب أن يبلغ ذلك إلى الناس كافة .

٢ — صرح النبى صلى الله عليه وسلم بأنه يجب أن يعم قوله وتنشر هدايته بالرواية عنه وتبليغ قوله وشرعه ، ولقد روى الإمام الشافعى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« نضر الله تعالى عبداً سمع مقالتى فحفظها ووعاها وأداها ، فرب حامل فقه غير فقيه ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه »

فهذا الحديث يحث على أن تنقل أقوال النبى صلى الله عليه وسلم من بعده،وأن أقواله صلوات الله وسلامه عليه هى رسالته ، ويدل الحديث أيضاً على وجوب النصيحة وإخلاص العمل لله تعالى ، وأى عمل أجل فى الإخلاص لله تعالى من أن يبلغ العالم رسالة الله وأن يحمل ما حمل النبيون ويقوم بما يجب عليه من التبليغ اتباعا لهم وأخذاً بهديهم وسلوكاً لسبيلهم الذى هو سبيل الله تعالى .

٣ — أن النبى صلى الله عليه وسلم جعل خيرية الأجيال بمقدار دعوتهم للإسلام والأخذ بتعاليمه ، لذلك كان صحابته خيرة هذه الأمة ، لأنهم شاهدوا وعاينوا وحملوا رسالته وبلغوها ونشروا أمرها فى الآفاق .

فلقد روى الشافعى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقف بالجابية بالشام خطيباً،وقال أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام فينا كمقامى فيكم فقال :

« أكرموا أصحابى ، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، ثم يظهر الكذب حتى أن الرجل ليحلف ولا يستحلف ، ويشهد ولا يستشهد ، ألا فمن سرته بحبوجه الجنة فليلزم الجماعة ، فإن الشيطان مع الفذ ، وهو من الاثنين أبعد ، ولا يخلون رجل بامرأة فإن الشيطان ثالثهما ، ومن سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن »

فالأفضلية فى نظر الفاروق على حسب قوة التبليغ وحمل الأحكام الإسلامية .

٤ — والنبى صلى الله عليه وسلم كان يحث المؤمنين على أن يكونوا هداة مرشدين مبينين ، فإن هداية النفوس لا تقل عن الجهاد فى سبيل الله فضلا ، لذلك فهو يقول للإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه : لأن يهدى الله تعالى بك رجلا واحداً خير مما طلعت عليه الشمس وغربت .

٥ — أن الخلفاء الراشدين وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى رضوان الله عليهم كانوا يرسلون العمال إلى الأقاليم دعاة إلى الإسلام ، ومرشدين إلى وحدانية الله فوق إقامة العدل ومنع الفساد فى الأرض .

يقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى ولاته « إنى ما أرسلتكم لتضربوا أبشار الناس ولكن لتعلموهم أمر دينهم » ، ومن تعليمهم أمور الدين أن يبينوا لغير المؤمنين حقائق الإسلام ، وهم أحرار بعد ذلك فى الدخول فيه طبقاً لما يقضى به قوله تعالى . « فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » (١) .

٦ — لما خشى والى بيت المال أن يخلو بيت مال الخراج والجزية من المال ، وفكر ألا يسقط الجزية عمن يسلم ، أرسل إليه عمر بن العزيز ، وقد كان خليفة المسلمين وقتئذ ، يلومه على ذلك ، وقال له فى كتابه إليه « إن الله أرسل محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم هادياً ولم يرسله جابياً »

ومن هذا الكتاب الحكيم تتبين الأمور الآتية :

أحدها : أن الدعوة إلى الإسلام هى الهداية الكاملة ، فهى عمل الرسل وعمل خلفائهم .

ثانيها : أن كل ما ينافيها حرام يمنع .

ثالثها : إجماع الصحابة على وجوب الدعوة إلى الإسلام ، ثم إجماع التابعين من بعدهم على ذلك ، فهما إجماعان يؤكد أحدهما الآخر ولا ينقض هذا الإجماع بتقاصر الهمم من بعد ذلك .

---

(١) سورة الكهف : ٢٩ .

الفصل الرابع

واجب المسلمين في الوقت الحاضر

أمام الدعوة إلى الاسلام

لما كان دين الله هو دين الإسلام وكان واجب المسلمين إبلاغه إلى الناس جميعاً فى شمال الدنيا وجنوبها شرقيها وغربيها قاصيها ودانيها كان على ولاة الأمر من المسلمين أن يقوموا بالدعوة إليه وأن يوصلوها لجميع أصقاع العالم بشتى الطرق والوسائل . ويقع هذا العبء أول ما يقع على الآتى ذكرهم :

أولا : على علماء المسلمين فى هذا القرن ، إذ يجب عليهم أن يجردوا منهم البعوث الصالحين للقيام بالدعوة فى الخارج ، فى آسيا وأفريقيا وأستراليا وأوروبا والأمريكتين للتبشير بالإسلام وتوضيحه إلى سكان تلك البقاع ، على أن يكون الاهتمام بالتبشير الإسلامى بشدة فى الدول الغربية أولا ، أى فى أوروبا وأمريكا الشمالية والجنوبية وأستراليا ثم يأتى بعد ذلك الاهتمام بأفريقيا وآسيا .

ثانياً : على أغنياء المسلمين . إذ الواجب عليهم أن يتبرعوا بسخاء كما يتبرع الأغنياء الآخرون من الملل الأخرى ، فلابد من إيقاظ الهمم وحث الأغنياء على هذا الواجب .

ثالثاً : على الحكومات الإسلامية وخصوصاً تلك التى أفاض الله عليها ينابيع البترول إذ يجب عليها أن ترصد فى ميزانيتها مبالغ وفيرة للدعوة الدينية ، وأن تقوم بالصرف بسخاء على المبعوثين الإسلاميين إلى الدول غير الإسلامية التى يعملون فيها ، كما يجب عليها أن تمنح أبناء هذه الدول من

المسلمين المنح التعليمية واستقبالهم فى المعاهد الإسلامية بها ، ليتلقوا العلوم الدينية من ينابيعها الصافية فى البلاد الإسلامية ، وليتفقهوا فى أمور دينهم ، حتى إذا ما رجعوا إلى قومهم قاموا بإرشادهم . وبث الدعوة الإسلامية بينهم ، فكانوا مشاعل تضىء لهم بنور الإيمان فيتبدد لهم ظلام الكفر والطغيان .

الدعائم التى يمكن أن تقوم عليها الدعوة إلى الإسلام :

١ — أن يكون التبشير بالإسلام على مستوى عال من الكفاءة وبأرقى وسائل الإعلام ، وبمختلف اللغات الأجنبية حيث تعرض المبادى الإسلامية عرضا واضحاً صادقاً مخلصاً لا زيف فيه ولا إسراف ، حتى يستجيب الناس إلى الدعوة فى صدق وإخلاص .

٢ — اتباع المنهج القرآنى والمسلك النبوى فى الدعوة إلى الإسلام كما قال تعالى :

« ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتى هى أحسن » (١)

وكلمة الحكمة هى وضع الأمور فى نصابها ، واتباع الوسائل الحديثة فى فى استجلاب الأنصار ، وقيادة الناس والجماهير والأتباع ، وإفهام الناس وخصوصا فى أوروبا وأمريكا الشمالية والجنوبية ، بأن الإسلام لا يجعل من العرب شعباً مختاراً ، يفضل غيره بسلالة معينة أو دم خاص ، بل إن الله اختار هذا الدين لعباده مشتملا على تعاليم راشدة وشريعة عادلة ، ثم وكل إلى العرب أن يحملوا هذه التعاليم والشرائع ليعملوا بها وليعلموها من شاء .

٣ — القدوة الحسنة فى الدعاة إلى الإسلام ، والقدوة الحسنة هى أهم الدعائم ، فالمسلمون الذين يطوفون الآن فى المشارق والمغارب فى أمريكا وفى أوروبا وفى اليابان وفى أفريقيا لو كانوا صورة صادقة للإسلام الصافى

---

(١) سورة النحل : ١٣٥ .

استجاب لهم كثيرون ، لكنهم يحملون أسماء إسلامية فقط ويتصرفون تصرفات تحتسب على الإسلام والمسلمين .

٤ — تأليف القلوب : فإن تأليفها بالأموال أساس من الأسس الإسلامية التي جاء بها القرآن ، فقد جعل المؤلفة قلوبهم مصرفاً من مصارف الزكاة والصدقات ، وهو ليس شراء للذمم وإنما هو إظهار لمروءة الإسلام ولتعاليمه فى معاونة المحتاجين ، وعلاج لضعف النفوس . وعلى أغنياء المسلمين ، أن يسهموا فى ذلك بأموالهم .

والتبشير المسيحى فى البلاد التى يدخلها يقوم بتقديم الخدمات قبل أى شيء ، استهدافاً لتأليف القلوب فى تلك البلاد ، فتراهم يقدمون الخدمات كتطبيب المرضى ثم الغذاء والكساء ثم يبنون المدارس والعيادات الطبية وبجوارها الكنائس (١) .

ومن طرق الدعوة ومن وسائل التبشير بالإسلام الآتى :

١ — استئجار بعض الصحف والمجلات الغربية فى هذه الدول ، بل وإنشاء مجلات إسلامية، وخاصة للأطفال تشرح الإسلام على بساطته وجماله .

٢ — الاتصال بالعلماء والأدباء الغربيين وإطلاعهم على الإسلام من مصادره ومن منبعيه الفياضين وهما الكتاب والسنة .

٣ — تأليف الكتب والنشرات المبسطة أو الرسائل الصغيرة المبسطة التى تشتمل على حقائق الإسلام ، وتترجم إلى لغة الأقوام المراد تبشيرها ودعوتهم إلى الإسلام ، بحيث تكون هذه الكتب والنشرات والرسائل موضحة لحقائق الإسلام من ناحية العقيدة ومن ناحية العبادة ، ومن ناحية التكليفات الخاصة بالمجتمع ، فتكتب باللغات الأوربية واليابانية والإفريقية كلها .

---

(١) كتاب التبشير والاستشراق للمؤلف طبعة مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ١٩٧٧ .

٤ — التعاون مع الغربيين الذين أسلموا لوضع المخططات لنشر الإسلام ، والاستعانة بهم فى نشر الدعوة إلى الإسلام بين قومهم .

٥ — إنشاء المعاهد الإسلامية فى البلاد التى يتوجه إليها الدعاة الإسلاميون ، وأن تكون مزودة بتفسيرات من القرآن الكريم بلغة تلك البلاد ، وكذلك بتفسيرات من الأحاديث النبوية بتلك اللغات أيضاً .

٦ — تقوية الإذاعات العربية لإيصال الإسلام إلى أسماع جميع الغربيين بأساليب حديثة ومشرقة .

٧ — إعلام الغربيين بما جاء فى كتبهم من تحريف وتناقض ومعوقات عن التقدم ، والرقى ، وما جاء فى كتبهم من توحيد الإله ونبوة المسيح وبعثة الرسول محمد عليهما الصلاة والسلام .

٨ — إفهام الدول الشيوعية بأن الإسلام ليس أفيونا للجماهير كما زعم لهم الزاعمون بدليل أن مسيو جارودى وهو شيوعى فرنسى عاش ردحاً من الزمن فى جبهة التحرير الجزائرية اعترف بأن الدين الإسلامى هو الذى أوقد شرارة هذا الكفاح العزيز الغالى وغذاها على مدى الأيام والسنين وأن الإسلام يستحيل أن يوصف بأنه مخدر للشعوب(١) .

٩ — الاستعانة بالسينما والمسرح لعرض التمثيليات الإسلامية بعيدا عن شخصيات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والصحابة رضوان الله عليهم بعد مراجعتها من الجهات الدينية المختصة .

١٠ — لابد أن ينتظم طرق الدعوة إلى الإسلام الدافع الدينى للدعوة ، لأنه لا شك هو الأساس قبل التنظيم وقبل الهيئات التى تنظم هذه الدعاية إلى الإسلام ، فلابد من الإيمان الصادق وإذا لم يوجد هذا الانبعاث فلا يمكن أن ينجح أى تنظيم .

---

(١) هذا الفيلسوف والمفكر الفرنسى هداه الله إلى الإسلام أخيراً بعد رحلة طويلة فى البحث والتقصى استمرت سنين كثيرة .

تم الكتاب

بعون الله تعالى

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم



المراجع

١ — القرآن الكريم .
٢ — صحيح البخارى
٣ — صحيح الإمام مسلم .
٤ — صفوة البيان لمعاني القرآن لفضيلة الأستاذ الشيخ حسنين محمد مخلوف مفتى الديار المصرية سابقاً .
٥ — تفسير القرآن الكريم لفضيلة الأستاذ الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر السابق .
٦ — كتاب الفتاوى لفضيلة الأستاذ الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر السابق .
٧ — كتاب الإسلام عقيدة وشريعة للأستاذ الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر السابق .
٨ — العهد القديم والعهد الجديد .
٩ — محاضرات فى النصرانية لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة .
١٠ — الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية بقلم حكيم الإسلام الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده .
١١ — كتاب إظهار الحق للإمام رحمة الله بن خليل الرحمن الهندى .
١٢ — كتاب الفارق بين المخلوق والخالق للأستاذ الحاج عبد الرحمن أفندى باجة جى زاده .
١٣ — مصادر المسيحية وأصول النصرانية رسالة لاهوتية للأستاذ محمد أفندى حبيب .
١٤ — كتاب مقارنة الأديان — المسيحية — للدكتور أحمد شلبي .
١٥ — كتاب حديث الأيام فى قصة الموت والقيام للأستاذ محيي الدين سعيد البغدادى .

١٦ — كتاب سر الأزل للقس توفيق جيد .
١٧ — كتاب الحق للقمص باسيليوس إسحق .
١٨ — كتاب التثليث والتوحيد للأستاذ يسى منصور .
١٩ — كتاب (الله ذاته ونوع وحدانيته) للأستاذ عوض سمعان .
٢٠ — كتاب أوربا والإسلام للدكتور عبد الحليم محمود .
٢١ — كتاب مروج الأخبار فى تراجم الأبرار لبطرس قرماج .
٢٢ — كتاب محمد نبى الإسلام فى التوراة والإنجيل والقرآن للمؤلف
٢٣ — كتاب الإنجيل والصليب للأب عبد الأحد داوود الأشورى . وكان قسيساً نصرانيا قبل إسلامه .
٢٤ — كتاب الأديان فى كفة الميزان للأستاذ محمد فؤاد الهاشمى —وكان قسيساً نصرانيا قبل إسلامه .
٢٥ — كتاب الله واحد أم ثالوث للأستاذ محمد مجدى مرجان — وكان شماساً نصرانيا قبل إسلامه .
٢٦ — كتاب الدعوة إلى الإسلام لفضيلة الأستاذ محمد أبو زهرة .
٢٧ — كتاب المسيح إله أم إنسان للأستاذ محمد مجدى مرجان .
٢٨ — كتاب الإسلام نور الأكوان — المنارات الساطعة فى ظلمات الدنيا الحالكة للأستاذ محمد زكى الدين النجار بطهطا — وكان مسيحياً قبل إسلامه .
٢٩ — كتاب إقامة البرهان على نزول عيسى فى آخر الزمان للمحدث الشيخ عبد الله بن الصديق الغمارى الحسنى الإدريسى خريج جامعة القرويين بفاس .
٣٠ — حياة المسيح للأستاذ عباس محمود العقاد .
٣١ — الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام تأليف الدكتور على عبد الواحد وافى رئيس قسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية بجامعة القاهرة سابقاً .
٣٢ — إنجيل القديس برنابا .
٣٣ — كتاب القرآن — وصفة هدايته ، أثر إعجازه للمرحوم الأستاذ

محمد عبد العزيز الخولى مطبوعات جامعة الوعظ والدعوة الإسلامية ومجلة التقوى .

٣٤ - كتاب ظهور المسيحية للأسقف بارنز .

٣٥ - هذا هو الحق تأليف المرحوم الأستاذ محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب .

٣٦ - أبحاث الأستاذ محي الدين سعيد البغدادى فى مجلة الإسلام سنة ١٩٣٦ إلى سنة ١٩٣٧ .

٣٧ - أبحاث الأستاذ أحمد حسين المحامى المنشورة بمجلة الوعى الإسلامى سنة ١٩٦٧ وبناير سنة ١٩٦٨ .

٣٨ - بحث الدعوة الإسلامية فى ندوة لواء الإسلام المنشورة بالعدد الرابع من مجلة لواء الإسلام السنة الخامسة عشرة ذو الحجة سنة ١٣٨٠ مايو سنة ١٩٦٠ .

٣٩ - بحث هل رفع المسيح حياً إلى السماء فى ندوة لواء الإسلام العدد الرابع من السنة السابعة عشرة غرة ذى الحجة سنة ١٣٨١ - ٢٥ أبريل سنة ١٩٦٣ .

٤٠ - مجلة لواء الإسلام العدد الأول من السنة العاشرة رمضان سنة ١٣٧٥ إبريل سنة ١٩٥٦ فى تفسير بعض آيات القرآن الكريم لفضيلة الشيخ محمد أبو زهرة ، وكذلك العدد الأول من السنة السادسة عشرة رمضان سنة ١٣٨١ - فبراير سنة ١٩٦٢

٤١ - عالمية الإسلام - أبحاث الأستاذ أنور الجندى - مجلة منبر الإسلام رجب سنة ١٣٩٢ أغسطس سنة ١٩٧٢ وما بعدها .

٤٢ - كتاب سلاسل المناظرة الإسلامية - النصرانية بين شيخ وقسيس بقلم الشيخ عبد الله العلمى الغزى الدمشقى أستاذ دروس تفسير القرآن والتهذيب الإسلامى فى الجامع الأموى بدمشق سابقاً .

٤٣ - كتاب التبشير والاستشراق للمؤلف طبعة مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر سنة ١٩٧٧ .

الأزهر
مجمع البحوث الإسلامية
إدارة البحوث والنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الأستاذ المستشار محمد عزت الطهطاوى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . . . . وبعـــد :

فبالإشارة إلى طلبكم الخاص بفحص أصول كتابكم (النصرانية والإسلام) نفيد بأن نتيجة الفحص أثبتت صلاحيته للطباعة والنشر لموضوعيته وإفادته .

والله المو فـــــق

واالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تحريراً فى ١٩٧٧/٦/٤

مدير
إدارة البحوث والنشر
محمد أمين البدوى
عبد المهيمن محمد الفقى

(صورة طبق الأصل)

الفهرس

* * *

صورة خطاب مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر مؤرخ فى ١٩٧٧/٦/٤ بصلاحية الكتاب للطباعة والنشر .